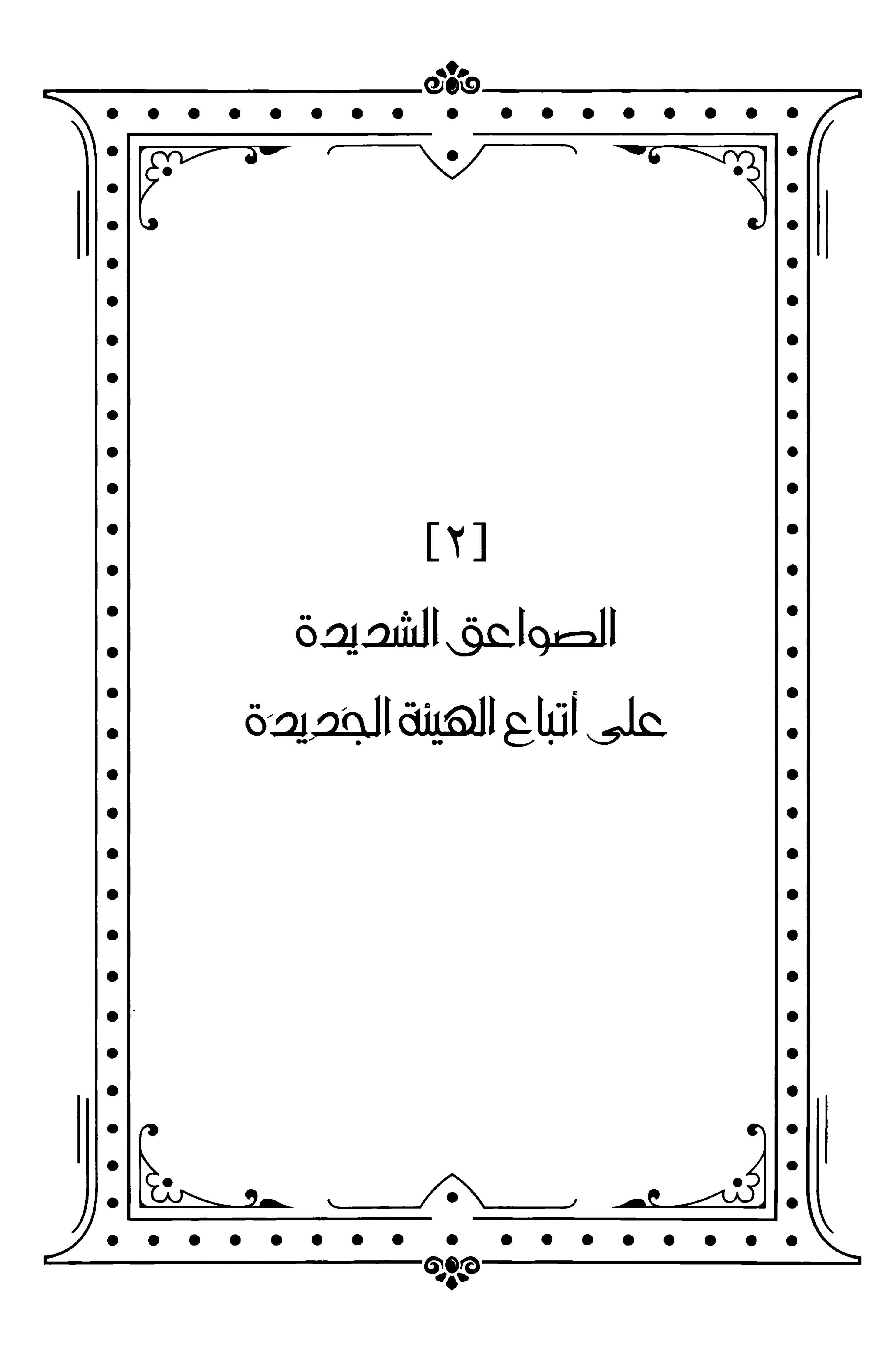
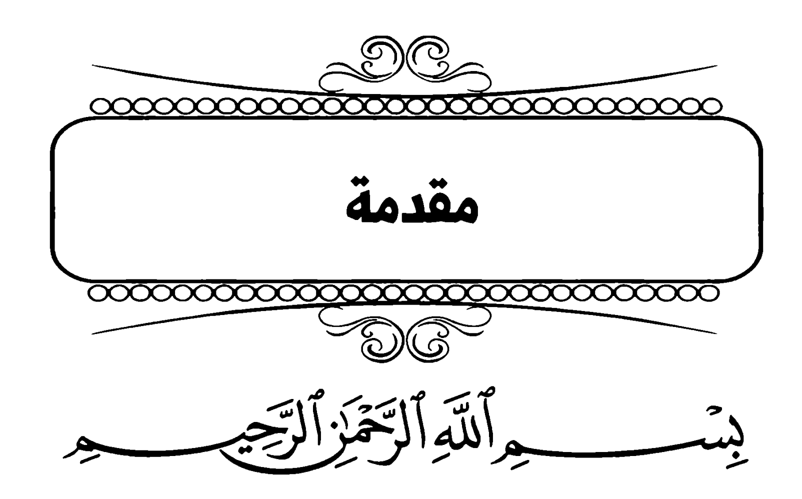


[٢]

الصواعق الشديدة
على أتباع الهيئة الجَدِيدَة



مقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده..

قُرِئ عليَّ هذا الكتاب الموسوم بـ«الصواعق الشديدة علىٰ أتباع الهيئة الجَدِيدَة»، فوجدت ما أبداه مؤلفه فضيلة الشيخ/ حِمُود بن عبد الله التويجري، من الرد علىٰ من زعم أن الأرض تدور، وأن الشَّمس لا تجري؛ هو عين الصواب.

قاله الفقير إلىٰ عفو الله

محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف

مفتي الديار السعودية، ورئيس القضاة

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

في ٢٠/ ٨ سنة ١٣٨٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين؛ صلَّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد رأيت مقالًا لمحمد محمود الصواف(١)، نُشر في ثلاثة أعداد من جريدة «الدعوة»، عدد (٥٤ و٥٥ و٥٦) - العدد (الأول) في (١٠صفر سنة ١٣٨٦هـ)، والثاني في (١٧) منه، والثالث في (٢٤) منه.

---

(١) هو أحد دعاة العراق، وعضو المجلس التأسيسي لـ«رابطة العالم الإسلامي»، وعضو «المجلس الأعلىٰ للمساجد»، وعضو «المجمع الفقهي» بالرابطة، ولد في مدينة «الموصل» بالعراق سنة (١٣٣٣هـ)، ودرس بالمدرسة الفيصلية، وحصل علىٰ إجازتها العلمية عام (١٣٥٥هـ)، والتحق بالأزهر عام (١٣٥٨هـ). اشتغل بالعمل الشعبي، والتوجيه الإسلامي في المساجد والجمعيات، فانتسب إلىٰ جمعية «الشبان المسلمين» بـ«الموصل»، وأنشأ جمعية «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فيها، كما أسَّسَ مع شيخ علماء العراق أمجد الزهاوي جمعية «الأخوة الإسلامية» التي قامت بدور رئيسٍ في مقاومة المحتل، والدعوة إلىٰ الله، توفي سنة (١٤١٣هـ). المصدر: «تكملة معجم المؤلفين» لمحمد خير بن رمضان (ص٥٤٦).

وقد عارض الصوافُ بمقاله هذا ما قرره الشيخ الفاضل عبد العزيز بن عبد الله بن باز من جريان الشَّمس، وسكون الأرض وثباتها، وما قاله الشيخ عبد العزيز بن باز هو الحق والصواب، وما قالَهُ الصوافُ هو الباطل والضلال البعيد.

وليس تعقب الصواف مقصورًا علىٰ الشيخ عبد العزيز بن باز فحسب، بل هو -والعياذ بالله- معارضة للآيات المُحْكَمات، والأحاديث الصحيحة الدالة علىٰ جريان الشَّمس وعدم استقرارها، كما سأذكره -إن شاء الله تعالىٰ-، وقد رأيت أن أكتب علىٰ كلامه ما تيسر؛ تحقيقًا للحق، ونصحًا للخلق.

سائلًا من المولىٰ جَلَّجَلَالُهُ أن ينصر دينه، ويُعلي كلمته، ويُحِق الحق، ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

* * *

فصل

وأول من قال: «إن الشَّمس هي المركز الثابت الذي تدور عليه السيارات من الكواكب، وإن الأرض من جملة الكواكب السيارة التي تدور علىٰ الشَّمس»، هو: فيثاغورس، الفيلسوف اليوناني، وكان زمانه قبل زمان المسيح بنحوٍ من خمس مئة سنة. وقيل: ست مئة.

وذهب كبير الفلاسفة ومُقدَّمهم بطليموس -وكان زمانه قبل المسيح بنحو مئة وخمسين سنة- إلىٰ أن الأرض هي المركز الثابت، وإن الشَّمس والقمر، وسائر الكواكب تدور علىٰ الأرض.

وأهْل الهَيْئةِ القديمة يقولون بهذا القول، وهو الحق الذي تدل عليه الآيات، والأحاديث الصحيحة، وأقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

وأما قول فيثاغورس؛ فكان مهجورًا نحوًا من ألف وثمان مئة سنة، حتىٰ ظهر الفلَكِيُّ البولوني[(١)] «**كوبرنيك**» في القرن العاشر من الهجرة، فقرَّرَ رأي فيثاغورس، وأيده بالأدلة الرياضية.

ولمَّا كان في أثناء القرن الثاني عشر من الهجرة، ظهر هِرشل الإنكليزي، وأتباعُه من فلاسفة الإفرنج، أصحاب الرصد والزِّيج[(٢)] الجديد؛ فنصروا قول فيثاغورس، وردوا ما خالفه، وشاع قولهم منذ زمانهم إلىٰ زماننا هذا، وتلقاه كثيرٌ من المسلمين بالقبول؛ تقليدًا لأعداء الله تعالىٰ، وذلك بسبب سيطرة الإنجليز، وبعض الدول الأوربية علىٰ كثيرٍ مِن بلاد الإسلام في آخر القرن الثالث عشر من الهجرة، وأكثر القرن الرابع عشر؛ فامتزج أهل تلك البلاد

(١) نسبة إلىٰ دولة بولندا.

(٢) «الزِّيج»: هو جدول عند الفلكيِّين يُعرَف به سير الكواكب، ومنه يعرفون التقويم الفلكي.

بأعداء الله تعالىٰ امتزاجًا تامًّا، وظهر النَّشْؤُ منهم متثقِّفين بالثقافة الإفرنجية، يحذُونَ حَذْوَ أعداء الله تعالىٰ في هيئاتهم، وأنظمتهم، وقوانينهم، ويسارعون إلىٰ قبول آرائهم وظنونهم وتخرُّصَاتهم، ويتمسكون بها أعظم مما يتمسكون بنصوص الكتاب والسنة.

وكثير منهم كانوا يسافرون إلىٰ الجامعات الأوربية، ويرتَوُونَ مِن تعاليمها الآجنة(١) المسمومة عِللًا بعد نهل(٢)، حتىٰ فشت فيهم الزندقة والإلحاد، والاستخفاف بشأن القرآن العظيم؛ فكان كثير منهم يحملونه علىٰ ما يوافق آراء الإفرنج وأقوالهم الباطلة، كما هو موجود في كثير من مصنفاتهم، فأدخلوا بذلك علىٰ المسلمين شرًّا كثيرًا؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهؤلاء الذين ذكرنا مِن فلاسفة الإفرنج، وهم: «كوبرنيك، وهرشل» وأتباعهما، يقال لهم: أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة.

قال محمود شكري الآلوسي(٣) في مقدمة كتابه الذي سماه «**ما دل عليه**

---

(١) «الآجن»: هو الماء المتغير لونًا وطعمًا؛ فليس صافيًا، والمعنىٰ: أن العلوم الأوروبية مَشُوبة بالأفكار والعقائد الفاسدة.

(٢) النَّهَل: الشُّرب الأول بعد شدة ظمإ.

(٣) محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحُسَيْنِي، أبو المعالي، مؤرخ، عالم بالأدب والدِّين، مِن الدُّعاة إلىٰ الإصلاح.

وُلِد في «رصافة» - بغداد سنة (١٢٧٣هـ)، وأخذ العلم عن أبيه وعمِّه وغيرهما، وتصدر =

القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»: «قد شاع في عصرنا قول فيثاغورس الفيلسوف الشهير، في هيئة الأفلاك، ونصره الفلاسفة المتأخرون بعد أن كان عاطلًا مهجورًا، وهو القول بحركة الأرض اليومية والسنوية علىٰ الشَّمس، وأنها هي مركز نظامها، وأن الأرض إحدىٰ الكواكب السيارة، وأنها سابحة في الجو، معلَّقَة بسلاسل الجاذبية، وقائمة بها كسائر الكواكب، لا أنها كما ذهب إليه بطليموس في الأفلاك كالمسامير في الباب».

قال: «وقد سماها الفلاسفة المتأخرون «الهيئة الجَدِيدَة»؛ لكونها شاعت في العصر المتأخر، وإلا فالقول بها متقدم جدًّا».

وذكر **الآلوسي -أيضًا- في (صفحة ٢٣)**: أن المتأخرين ممن انتظم في سلك الفلاسفة كهرشل وأتباعه أصحاب الرصد والزيج الجديد، تخيلوا خلاف ما ذهب إليه الأولون في أمر الهيئة، وقالوا بأن الشَّمس مركز، والأرض، وكذا النجوم دائرة حولها.

وذكر **الآلوسي -أيضًا- في (صفحة ٢٩)**: ما ذهب إليه أصحاب الزيج الجديد من أن الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا، وأنها مركز العالم، وأن الأرض وكذا سائر السيارات والثوابت تتحرك عليها.

=

للتدريس في داره، وفي بعض المساجد، وتوفي سنة (١٣٤٢هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٧٢).

وقال -أيضًا- في (صفحة ٣٣): «والمُنَجِّمُون يقسمون النجوم إلىٰ: ثوابت، وسيارات، والسيارات عند المتقدمين سبع بإجماعهم.

وعند المنجمين اليوم، وهم أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة: أن الشَّمس في وسط الكواكب التي تدور حولها، وأنها أعظم من الأرض بألف ألف مرة، وثلاث مئة وثمانية وعشرين ألف مرة، وأن لها حركة علىٰ نفسها.

وقد استنبط بعض علمائهم مَن تحول، كلفها الذي يظهر علىٰ ظهرها، ورجوعه في أزمنة مخصوصة، أنها تدور علىٰ نفسها في خمسة وعشرين يومًا واثنتي عشرة ساعة، وجزموا بأن ليس لها حركة حول الأرض، بل للأرض حركة حولها، وأن الأرض إحدىٰ السيارات، وهي عندهم: «عطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ، ووسنة -وقد كشفَها رجل منهم يقال له: «**أولبوس**» في حدود سنة (ثلاث وعشرين ومئتين وألف للهجرة)-، ونبتون -وقد كشفها رجل منهم يقال له: «**هاردنق**» في حدود سنة (عشرين ومئتين وألف للهجرة)-، وسيرس -وقد كشفها رجل منهم يقال له: «**بياظي**» في حدود سنة (ست عشرة ومئتين وألف للهجرة)- وبلاس -وقد كشفها «**أولبوس**» أيضًا في حدود سنة (سبع عشرة ومئتين وألف)-، والمشتري، وزحل، وأورانوس -وقد كشفها رجل منهم يقال: له «**هرشل**» في حدود سنة (سبع وتسعين ومئة وألف للهجرة).

ولم يعدوا القمر من السيارات، بل من سيارات السيارات؛ لأنه يدور

حول الأرض، ودورانها حول الشَّمس، وهو عندهم دون عظم الأرض بتسع وأربعين مرة.

وزعموا أنَّ بُعد الشَّمس عن الأرض (أربعة وثلاثون ألف ألف فرسخ فرنسي)، وهو المقدر بمسافة (ساعة وخمس مئة ألف فرسخ)، ومع هذا يصل نورها إلينا في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية.

وأن البُعد الأبعَد للقمر عنها (أحد وتسعون ألفًا، وأربع مئة وخمسون فرسخًا).

والبعد الأقرب له (ثمانون ألفًا ومئة وخمسة فراسخ)؛ فيكون البعد الأوسط نحو (ستة وثمانين ألف فرسخ).

وكانوا يزعمون مِن قبلُ أنْ ليس للشمس حركة علىٰ كوكب آخر، وإنما لها حركة علىٰ نفسها فقط، ثم أدركوا أن لها حركةً علىٰ كوكب من كواكب الثريا، وجوَّزُوا أن يكون لذلك الكوكب حركة علىٰ كوكب آخر أبعد منه، وهكذا إلىٰ ما لا يعلمه إلا الله تعالىٰ؛ فإن سَعة الجو غير متناهية عندهم، وفيه مِن الكواكب ما لا يتناهىٰ أيضًا».

إلىٰ أن قال: «ولهم تقسيمات أُخَر؛ باعتبارات أُخر، بنوا عليها ما بنوا، ولا يكاد يسلم لهم إلا ما لم يلزم منه محذور في الدين». انتهىٰ.

وإذَا عُلِم ما ذكرنا هَهُنا عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، الذين من أولهم

«كوبرنيك» البولوني في القرن العاشر، و«هرشل» الإنكليزي، وأتباعه في القرن الثاني عشر، والقرن الثالث عشر من الهجرة، وأن أصله مأخوذ عن فيثاغورس اليوناني؛ فليعلم -أيضًا- أن قولهم في سكون الشَّمس ودوران الأرض عليها قول باطل، معلوم البطلان عند كل مَن نوَّرَ الله قلبه بنور العلم والإيمان.

والأدلة علىٰ بطلانه كثيرة جدًّا، وأنا أذكر ههنا ما تيسر من ذلك، وبالله المستعان.

فأما الأدلة من القرآن، ففي اثنين وعشرين موضعًا منه، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٤]. قال قتادة(١): «يعني نفسه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»(٢).

الدليل الأول:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ [يس: ٣٨].

---

(١) هو الحافظ، قدوة المُفسِّرين والمُحَدِّثين، أبو الخطَّاب قَتادَة بن دِعَامة السَّدُوسِي، الضَّرير الأكْمَه، وُلِد (٦٠هـ)، روَىٰ عن: أنس بن مالك، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسعيد بن المسيب، وعكرمة مولىٰ ابن عباس، مات بـ«واسِط» في الطَّاعُون» (سنة ١١٧هـ)، انظر: «طبقات ابن سعد» (٧/ ٢٢٩)، «تهذيب الكمال» للمزي (٣/ ١٥٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٦٩).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/ ٤١٧).

قال الراغب الأصفهاني[١]: «الجري المَرُّ السَّريع»[٢].

وقال الجوهري[٣]: «الجارية الشَّمس والجارية السفينة»[٤].

وقال ابن منظور[٥] **في** «**لسان العرب**»: «جرت الشَّمس وسائر النجوم سارت من المشرق إلىٰ المغرب، والجارية الشَّمس سميت بذلك لجريها من

---

(١) هو أبو القَاسِم الحُسَين بن محمد بن المفضل، المعروف بالرَّاغب الأصفهاني -أو الأصبهاني-، اختُلف فيه؛ فعَدَّه رَهطٌ مِن الشِّيعة بأنَّه مِن أعلَامِهم، وعدَّه آخرون بأنَّه معتزلي؛ حتَّىٰ قال الزركلي: «اشتُهِر، حتَّىٰ كان يُقْرَن بالإِمَام الغَزالي»، توفي (٥٠٢هـ)، انظر: «الأعلام» (٢/ ٢٢٥)، و«أعيان الشيعة» لمحسن الأمين العامِلي الشيعي (ص٢٢٠).

(٢) «مفردات غريب القرآن» (ص٩٢).

(٣) هو إسماعيل بن حماد الجوهري، إمام اللغة، وأول من حاول الطيران، وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، أخذ العربية عن: أبي سعيد السيرافي، وأبي علي الفارسي، وخاله صاحب «ديوان الأدب» أبو إبراهيم الفارابي، توفي (٣٩٣هـ) وقيل: (٤٠٠هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٨٢).

(٤) «الصحاح» (٦/ ٢٣٠٢).

(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن حبقة الأنصاري، الإفريقي، كان ينسب إلىٰ رويفع بن ثابت الأنصاري، من صحابة رسول الله، وهو صاحب «لسان العرب» في اللغة، وُلِد ابن منظور في القاهرة، وقيل: في طرابلس سنة (٦٣٠هـ)، وتوفي في مصر سنة (٧١١هـ)، انظر: مقدمة كتابه «لسان العرب»، دار «صادر» - بيروت، ط. الثالثة (١٤١٤هـ).

القُطْر إلىٰ القُطر»[1].

ثم ذكر عن صاحب «التهذيب»[2] أنه قال: «الجارية عين الشَّمس في السماء، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾»[3].

والجارية الريح، قال الشاعر:

فَيَوْمًا تَرَانِي فِي الفَرِيقِ معْقَّلًا وَيَوْمًا أُبَارِي فِي الرِّيَاحِ الجَوَارِيَا

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ [التكوير: ١٥، ١٦]، يعني النجوم.

وجرت السفينة جريًا كذلك.

والجارية السفينة صفة غالبة.

وفي التنزيل: ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١﴾ [الحاقة: ١١]، وفيه: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الرحمن: ٢٤]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١]».

ثم ذكر عن الليث أنه قال: «الخيل تجري، والرياح تجري، والشَّمس تجري جريًا إلا الماء فإنه يجري جريه؛ أي: بكسر الجيم، والجراء للخيل

---

(١) «لسان العرب» (١٤/ ١٤٠-١٤١).

(٢) هو الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري، الهروي، المتوفىٰ سنة (٣٧٠هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣١٦).

(٣) «تهذيب اللغة» (٤/ ٤١).

خاصة، وأنشد:

غمــر الجــراء إذا قصــرت عنانــه

وفرس ذو أجاري؛ أي: ذو فنون في الجري». انتهىٰ.

وقد ذكر الله تعالىٰ عن السفن والرياح نظير ما ذكره عن الشَّمس من المَر السريع، فقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الجاثية: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هود: ٤١، ٤٢] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٣، ١٤] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾﴾ [الذاريات: ٣].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنىٰ.

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «والشَّمس تجري لا مستقر لها»(١).

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٧)، و«تفسير البغوي» (٧/ ١٨)، وغيرهما.

قال البغوي: «أي: لا قرار لها ولا وقوف، فهي جارية أبدًا»(١).

وقال القرطبي: «أي: أنها تجري في الليل والنهار، لا وقوف لها ولا قرار، إلىٰ أن يكورها الله يوم القيامة»(٢).

وقال ابن كثير: «أي: لا قرار لها ولا سكون، بل هي سائرة ليلًا ونهارًا لا تفتر ولا تقف، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣]؛ أي: لا يفتران ولا يقفان إلىٰ يوم القيامة». انتهىٰ(٣).

وكفىٰ بهذه الآية حجة علىٰ إبطال ما يزعمه كوبرنيك، وهرشل، وأتباعهما من أَهْلِ الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، ومَن يقلدهم ويأخذ بأقوالهم من المسلمين.

الدليل الثاني:

قوله تعالىٰ في سورة «الرعد»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢] الآية.

الدليل الثالث:

قوله تعالىٰ في سورة «لقمان»: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ

---

(١) «تفسير البغوي» (٧/ ١٨).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٨).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٧٧).

ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [لقمان: ٢٩].

الدليل الرابع:

قوله تعالىٰ في سورة «فاطر»: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [فاطر: ١٣] الآية.

الدليل الخامس:

قوله تعالىٰ في سورة «الزمر»: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٥].

ففي هذه الآيات كلها النص علىٰ جريان الشَّمس والقمر والرد علىٰ من قال أن الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا وأنها مركز العالم.

قال الراغب الأصفهاني: «قوله يكور الليل إشارة إلىٰ جريان الشَّمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما». انتهىٰ(١).

(١) «مفردات غريب القرآن» (ص٤٤٣).

الدليل السادس:

قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣].

الدليل السابع:

قوله تعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠].

قال الراغب الأصفهاني: «**السبح**: المَر السريع في الماء وفي الهواء، يقال: سبح سبحًا، وسباحة، واستعير لمر النجوم في الفلك، نحو: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾، ولجَرْيِ الفرس، نحو: ﴿وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾﴾ [النازعات: ٣]، ولسرعة الذهاب في العمل، نحو: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾﴾ [المزَّمل: ٧]». انتهىٰ[1].

وقال ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «قوله: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾، يعني الليل، والنهار، والشَّمس، والقمر، كلهم يَسْبَحُون؛ أيْ: يدورون في فلك السماء. قاله ابن عباس، وعكرمة، والضحاك[2]،

(١) «مفردات غريب القرآن» (ص٢٢١).

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي، صاحب التفسير، من الطبقة الخامسة، من صغار التابعين، وكان صدوقًا كثير الإرسال، أخذ عن أنس، وابن عباس، وعطاء بن رباح، له باع كبير في التفسير والقصص، توفي بعد المئة هجرية، قيل: خمسًا، وقيل: ستًّا، انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٩٨).

والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغير واحد من السلف: «في فلكَة كفلكةِ المِغْزَل».

وقال مجاهد: الفلَك كحديدة الرَّحَىٰ، أو كفلكة المِغزل لا يدور المغزل إلا بها، ولا تدور إلا به». انتهىٰ[1].

وروىٰ ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ **قال:** «في فلكة مثل فلكة المغزل»[2].

وروىٰ -أيضًا- من طريق عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾، **قال:** «يَدُورُونَ في أبوابِ السماء كما يدور المِغْزَل في الفلَكَة»[3].

وروىٰ -أيضًا- من طريق علي بن أبي طلحة[4] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٧٩).

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٤٥١٣).

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٤٥١٤).

(٤) علي بن أبي طلحة، هو علي سالم بن المخارق الهاشمي، مولىٰ بني هاشم، فأعتقه العباس وسكن الشام، يروي عن مجاهد، وأبي الوداك، وأخذ التفسير عن ابن عباس عن مجاهد، وكان يرىٰ السيف، واعتمده البخاري وابن أبي حاتم في التفسير، توفي (١٤٣هـ)، انظر: «تهذيب التهذيب» (٧/ ٢٨٨-٢٨٩)، و«ميزان الاعتدال» (٥/ ١٦٣).

قوله: ﴿فِي فَلَكٍ﴾ يقول دوران، وقوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يعني يجرون»(١).

وروىٰ -أيضًا- من طريق عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدًا يقول: «﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ قال: النجوم، والشَّمس، والقمر فلكٌ كفلكة المغزل.

وقال: مثل ذلك الحُسْبَان يعني حسبان الرَّحَىٰ، وهو سَفُّودهَا القائم الذي تدور عليه، وكان مجاهد يفسر قوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمن: ٥] بهذا.

قال مجاهد: ولا يدور المغزل إلا بالفلكة، ولا تدور الفلكة إلا بالمغزل، ولا يدور الحسبان إلا بالرحىٰ، ولا تدور الرحىٰ إلا بالحسبان.

قال: فكذلك النجوم، والشَّمس، والقمر هي في فلك لا يَدُمْنَ إلا به، ولا يدوم إلا بهن. قال: فنقر لي بإصبعه. قال: فقال مجاهد: يَدُمْن كذلك كما نقر. قال: فالحسبان والفلك يصيران إلىٰ شيءٍ واحد، غير أن الحسبان في الرَّحَىٰ والفلك في المغزل»(٢).

قال شَيخُ الإِسْلامِ، أَبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «قوله: لا تدوم إلا به؛ أي: لا تدور إلا به، ومنه الدوامة بالضم والتشديد، وهي فلكة يرميها الصبي بخيط فتدوم علىٰ الأرض؛ أي: تدور ومنه، تدويم الطير وهو

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٤٥١٣).

(٢) «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (٤/ ١٢١١).

تحليقه ودورانه في طيرانه ليرتفع إلىٰ السماء.

وقوله: نقر بإصبعه. يعني نقر بها في الأرض، وأدارها ليشبه بذلك دوران الفلك». انتهىٰ(١).

وروىٰ ابن أبي حاتم عن الحسن البصري في قوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠] **قال:** «يعني استدارتهم».

وروىٰ -أيضًا- عن الضحاك في قوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾، **قال:** «يدور ويذهب».

وروىٰ -أيضًا- عنه، قال: «الفُلك السرعة، والجري في الاستدارة، ويسبحون: يعملون».

وقال البغوي في «تفسيره»: «﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء، وإنما قال يسبحون، ولم يقل تسبح علىٰ ما يقال؛ لما لا يعقل؛ لأنه ذكر عنها فعل العقلاء من الجري والسبح، فذكر علىٰ ما يعقل.

والفَلَك: مدار النجوم الذي يضمها، والفلك في كلام العرب: كل شيء مستدير. وجمعه: أفلاك. ومنه: فلكة المغزل.

وقال الحسن: الفلَك: طاحونة كهيئة فلكة المغزل.

---

(١) «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٢٦٢).

يريد أن الذي تجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة.

قال الضحاك: فلكها: مجراها وسرعة سيرها.

قال مجاهد: كهيئة حديد الرحىٰ.

وقال بعضهم: الفلَك: السماء الذي فيه ذلك الكوكب، فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه، وهو معنىٰ قول قتادة.

وقال الكلبي: الفلك: استدارة السماء». انتهىٰ(١).

وفي الآيتين اللَّتَيْنِ ذكَرْنَا من سورة «الأنبياء» وسورة «يس» رد علىٰ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة الذين ينكرون جريان الشَّمس، ويزعمون أنها ثابتة لا تتحرك.

الدليل الثامن:

قوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣٣].

قال الراغب الأصفهاني: «**الدأب**: إدامة السير، دأب في السير دأبًا»، قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾»(٢).

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «الدُّؤُوب المبالغة في السير، وأدْأَبَ

---

(١) «تفسير البغوي» (٥/ ٣١٧).

(٢) «مفردات غريب القرآن» (ص١٧٤).

الرجلُ الدابةَ إدْآبًا إذا أتعبها»[١].

وقال ابن كثير في «تفسيره»: «﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾؛ أي: يسيران لا يفتران ليلًا ولا نهارًا»[٢].

وقال في موضع آخر: «أي: لا يفتران ولا يقفان إلىٰ يوم القيامة». انتهىٰ[٣].

وقال القرطبي: «الدؤوب مرور الشيء في العمل علىٰ عادة جارية.

وقيل: دائبين في السير امتثالًا لأمر الله، والمعنىٰ: يجريان إلىٰ يوم القيامة لا يفتران». انتهىٰ[٤].

وكفىٰ بهذه الآية حُجة علىٰ من أنكر جريان الشَّمس من فلاسفة الإفرنج، ومَن يقلدهم مِن جُهَّال المسلمين.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ﴾ دليل علىٰ أن الشَّمس والقمر يجريان ويدوران علىٰ الأرض؛ لقيام معايش العباد ومصالحهم، ولهذا امتن الله عليهم بذلك في هذه الآية، وفي غيرها من الآيات التي سيأتي ذكرها.

---

(١) «لسان العرب» (١/ ٣٦٩).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٧٧).

(٣) المصدر السابق.

(٤) «تفسير القرطبي» (٩/ ٣٦٧).

وكذلك امتن عليهم بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: ٧١ - ٧٣].

الدليل التاسع:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

ووجه الاستدلال بهذه الآية علىٰ سَيْرِ الشَّمس: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر أن الليل يطلب النهار طلبًا حثيثًا؛ أي: سريعًا.

والنهار هو ضوء الشَّمس، وهو تابع لها، يسير بسيرها؛ فدَلَّ علىٰ أنها تسير دائمًا ولا تستقر.

وفي الآية دليلٌ آخر علىٰ سير الشَّمس، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [النحل: ١٢]، فإن التسخير المذكور ههنا هو تسخيرها تجري لمصالح العباد، كما نص الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ ذلك في قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾، وقوله تعالىٰ في الآيات الأربع التي

تقدم ذكرها: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾.

الدليل العاشر:

قوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾ [النحل: ١٢].

الدليل الحادي عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١﴾ [العنكبوت: ٦١].

والمعنىٰ في هذه الآيات الثلاث واحد، وهو: أن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ سخَّرَ الشَّمس والقمر، والنجوم، والليل والنهار، وجعلها تجري دائمًا علىٰ الأرض؛ لقيام معايش العباد ومصالحهم، فتبارك الله رب العالمين، الذي سخر لعباده ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه.

الدليل الثاني عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وهذه الآية من أوضح الأدلة علىٰ سَيْرِ الشَّمس ودورانها علىٰ الأرض، وأن الله تعالىٰ سخَّرَها تأتي من المشرق كل يوم وتذهب نحو المغرب، ولو

كانت قارَّةً لا تزول عن مكانها كما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لكان الإخبار عن الإتيان بها من المشرق لغوًا لا معنىٰ له، ولا فائدة في ذكره؛ ولكان ينبغي أن يقول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لِخَصْمِه (إن الله يأتي بالأرض من المغرب فأت بها من المشرق)؛ فقاتل الله أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، الذين قلبوا الحقيقة، وعكسوا القضية بلا برهان، بل بمجرد الظن والحُسْبَان.

وإنه لينطبق عليهم قول الله تعالىٰ في أشباههم مِن المتخرِّصين: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨ - ٣٠].

الدليل الثالث عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٨].

والبزوغ: الطلوع. والأفول: الغيبوبة.

وهذه الآية مِن أوضح الأدلة علىٰ سير الشَّمس ودورانها علىٰ الأرض.

وقد ذكر الله تعالىٰ عن القمر مِن البزوغ والأفول نظير ما ذكر عن الشَّمس.

وذكر -أيضًا- عن الكوكب من الأفول نظير ما ذكره عن الشَّمس والقمر؛ فأثبت المسلمون ما أثبته الله للكل، مِن السير والدوران حول الأرض، وأثبت

ذلك -أيضًا- أَهْل الهَيْئةِ القديمة.

وخالَفَ في بعض ذلك كوبرنيك، وهرشل، وأتباعهما من فلاسفة الإفرنج، ومَن يقلدهم ويَحْذُو حذْوَهُم من المسلمين؛ فأثبتوا للقمر السير والدوران على الأرض، وأثبتوا للكواكب السيارة السير والدوران على الشَّمس، ونفوا عن الشَّمس السَّيْرَ بالكُلِّية.

ولازِمُ ذلك: نفي ما أثبته الله تعالىٰ لها من البزوغ والأفول؛ وذلك كُفْر لا شك فيه، لما فيه من تكذيب ما أخبر الله به في كتابه.

ومَن أثبت السير والبزوغ والأفول للقمر؛ لزِمَهُ أن يثبت ذلك للشمس، وإن لم يفعل؛ فقد فرَّق بين متماثلين، وآمن ببعض الكتاب وكَفَر ببعض.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة: ٨٥، ٨٦].

الدليل الرابع عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] الآية.

وقد فسَّر الدلوك بزوال الشَّمس عن وسط السماء، وفسر بغروبها، وكلاهما يدل على سير الشَّمس.

قال البغوي: «أصل الدلوك الميل، والشَّمس تميل إذا زالت وغربت». انتهىٰ[(١)].

الدليل الخامس عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٧] **الآية.**

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وسعيد بن جبير، وقتادة، وزيد بن أسلم[(٢)]: «تزاور، أي: تميل»[(٣)].

الدليل السادس عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] **الآية.**

---

(١) «تفسير البغوي» (٥/ ١١٤).

(٢) هو عبد الرحمن زيد بن أسلم العُمَري المدني، كان صاحب قرآن وتفسير، ومفسر من أتباع التابعين، روىٰ عن أبيه المفسِّر زيد بن أسلم، وروىٰ عنه: عبد الرزاق الصنعاني صاحب التفسير، وابن وَهْب، توفي (١٨٢هـ)، انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٤٩)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٦/ ١٧٧)، و«طبقات المفسرين» للداودي (١/ ٢٦٥).

(٣) «تفسير الطبري» (١٧/ ٦٢٠).

الدليل السابع عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ [الكهف: ٩٠].

الدليل الثامن عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] الآية.

الدليل التاسع عشر:

قوله تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩].

ووجه الاستدلال بهذه الآية، والآيات الست قبلها: أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أضاف الطلوع، والغروب، والدلوك، والتزاور إلىٰ الشَّمس؛ فدل علىٰ أنها هي التي تسير وتدور علىٰ الأرض، فتطلع عليها من ناحية المشرق، وتزول إذا توسطت السماء، وتغرب من الناحية الأخرىٰ.

ولو كانت الشَّمس قارَّة ساكنة كما يزعمه أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، ومَن يقلدهم ويحذو حذوهم؛ لكانت إضافة هذه الأشياء إليها لغوًا لا معنىٰ له، ولا فائدة فِي ذِكْرِه.

ولا يخفىٰ، أن هذا من لوازم القول باستقرار الشَّمس وثَباتها، وهو قولٌ وخِيمٌ لا يصدر مِن أحدٍ يُؤمِن بالله وكتابه.

الدليل العشرون:

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس: ١، ٢]، وفي هذه الآية دليل علىٰ أن الشَّمس تسِير، والقمر يتلوها تابعًا لها.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**تلاها**: تبعها»، رواه ابن أبي حاتم، والحاكم[(١)] في «مستدركه»، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[(٢)].

وكذا قال مجاهد: «**تلاها**: تبعها»[(٣)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أنه قال**: «يتلو النهار»[(٤)].

---

(١) هو الإمام، الحافظ، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن حمدون أو (حمدويه) ابن نعيم، المعروف بابن البيع، ولُقِّبَ بالحَاكِم؛ لتَولِّيه القضَاء مرَّةً بعد مرَّة، ثُم اعتزَل منصبه ليتفرَّغ للعِلْم والتَّصْنِيف، وُلِدَ (٣٢١هـ)، طافَ الآفاق، وصنَّفَ الكتب الكِبَار والصِّغار، وأخَذَ عن نحو أَلْفَيْ شخص، ومِن مشايخه: الدارقطني، وابن أبي الفوارس، وغيرهما، توفي (٤٠٥هـ)، انظر: «السير» (١٣/ ١٠٤)، و«ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٠٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٣٨).

(٣) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٥٢).

(٤) المصدر السابق.

وقال قتادة: «إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشَّمس رُؤِيَ الهلال»(١).

وقال ابن زيد: «هو يتلوها في النصف الأول من الشهر، ثم هي تتلوه، وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر»(٢).

الدليل الحادي والعشرون:

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمن: ٥].

الدليل الثاني والعشرون:

قوله تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقد تقدم قريبًا قول مجاهد: «إن ذلك كحسبان الرحىٰ، وهو سفُّودها القائم الذي تدور عليه»(٣).

قال: «ولا يدور الحسبان إلا بالرحىٰ، ولا تدور الرحىٰ إلا بالحسبان»(٤).

قال: «فكذلك النجوم والشَّمس والقمر هي في فلك، لا يَدُمْنَ إلا به، ولا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤١٠).

(٣) تقدَّم.

(٤) تقدم.

يدوم إلا بهن»(١).

قال: «والحسبان والفلك يصيران إلىٰ شيءٍ واحد، غير أن الحسبان في الرَّحَىٰ، والفلك في المغزل»، رواه ابن أبي حاتم.

وذكره البخاري في «صحيحه» مختصرًا، فقال: «وقال مجاهد: بحسبان كحسبان الرحىٰ»(٢).

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «مراده أنهما يجريان علىٰ حسب الحركة الرحوية الدورية، وعلىٰ وضعها»(٣).

وقيل: **الحسبان مصدر كالحساب؛ أي**: جعل الشَّمس والقمر يجريان بحساب مقدر معلوم لا يجاوزانه في منازل لا يعدوانها.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ [الرحمن: ٥]، **قال**: «بحساب ومنازل»، رواه الحاكم في «مستدركه»، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٤).

ولا منافاة بين القولين، فإن الشَّمس والقمر يجريان بحساب ومنازل، وفي

(١) تقدَّم.

(٢) «صحيح البخاري» (٨/ ١٤٤).

(٣) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٦/ ٢٩٨).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٦٨).

فلك مستدير كاستدارة الرحىٰ، والله أعلم.

وقد قرن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهو العليم الخبير بين الشَّمس والقمر في أكثر هذه المواضع التي ذكرنا، وأخبر أنَّ كُلًّا منهما يجري ويسبح في الفلك؛ فاعترف أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة بذلك في القمر، وأنكروه في الشَّمس؛ فكان مثلهم في ذلك مثل اليهود، يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، وليس لهم علىٰ التفريق دليل أبدًا إلا أن يكون من التخرُّصَات الكاذبة، والتَّوَهُّمات الفاسدة.

ونقول لهم: ما أمر الله نبيه محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يقوله لسلفهم: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

* * *

فصل

وأمَّا دلالة السُّنة علىٰ جريان الشَّمس، ففي أحاديث كثيرة، نذكر منها ما تيسر إن شاء الله تعالىٰ:

الحديث الأول:

عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال:** قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأبي ذر حين غربت الشَّمس: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلاَ**

يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨]»، متفق عليه واللفظ للبخاري، ورواه الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي(١)، والترمذي بنحوه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(٢).

قال: «وفي الباب عن صفوان بن عَسَّال(٣)، وحذيفة بن أسيد(٤)، وأنس، وأبي موسىٰ». انتهىٰ(٥).

وفي رواية لمسلم، أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ

---

(١) هو الإمام الحافظ سليمان بن داود بن الجارود، الفارسي الأصل، المعروف بـ«أبي داود الطيالسي»، صاحب «المسند»، توفي (٢٠٣) وقيل: (٢٠٤). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣٧٨)، و«طبقات ابن سعد» (٧/ ٢٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩).

(٣) هو الصحابي الجليل، صفوان بن عسال بن عامر المرادي، غزا مع رسول الله اثنتي عشرة غزوة، توفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حدود (٤٠هـ). انظر: «طبقات ابن سعد» (٦/ ٢٧)، و«أسد الغابة» (٣/ ٢٤).

(٤) هو الصحابي الجليل، حذيفة بن أسيد بن خالد، يكنىٰ أبا سريحة الغفاري، بايع تحت الشجرة، نزل الكوفة وتوفي بها وصلىٰ عليه زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٩٩).

(٥) «سنن الترمذي» (٤/ ٤٩).

إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارجعي ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»(١).

وفي هذا الحديث الصحيح أوضح دليل علىٰ أن الشَّمس تجري وتدور علىٰ الأرض، وفيه ردٌّ علىٰ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة الذين يزعمون أن الشَّمس ثابتة لا تجري ولا تتحرك.

الحديث الثاني:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ، وَلَا أَحَدٌ قَدْ بَنَىٰ بُيُوتًا، وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا، وَلَا أَحَدٌ قَدِ اشْتَرَىٰ غَنَمًا - أَوْ خَلِفَاتٍ - وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلَادَهَا**»، قَالَ: «**فَغَزَا فَأَدْنَىٰ لِلْقَرْيَةِ**

---

(١) أخرجها مسلم (١٥٩) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللهُمَّ، احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّىٰ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ»، الحديث رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم(١).

الحديث الثالث:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ لِبَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ بْنِ نُونٍ لَيَالِيَ سَارَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**»، رواه الإمام أحمد، وإسناده صحيح علىٰ شرط البخاري(٢).

وهذا الحديث والذي قبله مِن أقوىٰ الأدلة علىٰ سير الشَّمس؛ ولهذا قال لها يُوشَع بنُ نُونٍ: «**إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ**»، ثم دعا الله تعالىٰ أن يحبسها عليه؛ فحُبِسَت؛ فهذا نصٌّ صريح في أن الشَّمس هي التي تسير وتدور علىٰ الأرض.

ولو كان الأمر علىٰ ما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لكان ينبغي ليوشع بن نون أن يخاطب الأرض، ويدعو الله تعالىٰ أن يحبسها عليه.

وعلىٰ قولهم؛ يكون خطاب يوشع للشمس خطأ، ودعاؤه بأن تُحبس عليه لغوًا، وإخبار النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك مقرَّرًا له خلاف الصواب.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٥) (٨٢٩٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٢).

هذا مقتضىٰ قولهم الباطل، وهو مما يُنَزَّه عنه آحاد العُقَلاء فضلًا عن أنبياء الله المعصومين؛ فقاتَلَ اللهُ أهْلَ الهَيْئةِ الجَدِيدَة أنَّىٰ يؤفكون.

الحديث الرابع:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَرَ الشَّمْسَ فَتَأَخَّرَتْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ»، رواه الطبراني[(١)] في «الأوسط»، قال الهيثمي[(٢)]: «وإسناده حسن»[(٣)].

وفيه دليل علىٰ جريان الشَّمس، وفيه -أيضًا- الرد علىٰ أهْل الهَيْئةِ

---

(١) هو الإمام الحافظ، الرحال، صاحب المعاجم الثلاثة، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي الطبراني، ولد (٢٦٠هـ)، كان مِن فرسان العلم، بَقِيَ في ارتحال، ولقِيَ الرِّجال ستة عشر عامًا، وكتب عمَّن أقبل وأدبر، وجمع وصنَّف، وعمِّر طويلًا، وازدحم عليه المحدِّثون مِن الأقطار، من شيوخه: عبد الله بن أحمد بن حنبل، والنسائي، وغيرهما، ومِمَّن أخذ عنه: ابن مردويه، وأبو نعيم، وابن منده، وغيرهم، توفي (٣٦٠هـ)، انظر: «السير» (١٦/ ١١٩)، و«طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٩)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٢٧٠).

(٢) هو الحافظ، نور الدين، أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي، القاهري، الشافعي، وُلِدَ (٧٣٥هـ)، صَحِبَ الشَّيخ زَيْن الدِّين العِرَاقي وهو صغير، ورَحَل معه جميع رَحلَاته، وحَجَّ معه جميع حجَّاته، ولم يَكُن يفارقه حضَرًا ولا سفَرًا، ورافَقَهُ في جَمِيع مَسْمُوعِه بمصر، والحرمين، وبيت المقدس، توفي (٨٠٧هـ)، انظر: «إنباء الغمر» (٥/ ٢٥٦)، و«شذرات الذهب» (٧/ ٧٠)، و«طبقات المحدثين» (ص١١٥).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٢٤).

الجَدِيدَة الذين يزعمون أن الشَّمس لا تجري، ولا تتحرك.

الحديث الخامس:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدَّق أُميَّة[1] في شيء من شعره، فقال:

رَجُلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ ... وَالنَّسْرُ لِلأُخْرَىٰ وَلَيْثٌ مُرْصَدُ

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**صَدَقَ**»، وقال:

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... حَمْرَاءَ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ

تَأبَىٰ فَمَا تَطْلُعْ لَنَا فِي رِسْلِهَا ... إِلَّا مُعَذَّبَةً وإِلَّا تُجْلَدُ

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَدَقَ**»، رواه الإمام أحمد، وابنه عبد الله في «زوائد المسند»، وفي كتاب «السنة»، وابن خزيمة[2] في كتاب «التوحيد»، وأبو

---

(١) هو أُمَيَّة بن أبي الصَّلت الثقفي، ويقال له: أبو الحكم، شاعر جاهلي، ومِن رؤساء ثقيف، اشتهر بالحنيفية والتوحيد، وكان من الدعاة إلىٰ نبذ الأصنام وتوحيد الإله، توفي في السنة الخامسة من الهجرة و(٦٢٦م). انظر: «البداية والنهاية» (٢/ ٢٨٠).

(٢) هو الحافظ الحُجة الفقيه، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري الشافعي، ولد (٢٢٣هـ)، عُرِف بشُفوف نظَرِه في باب التَّعارُض والتَّرجيح في أصول الفقه، حيث كان بارعًا في إيجاد أوْجُه الجَمْع بين النُّصوص الصَّحِيحَة المُتعَارضة في الظَّاهر، سَمِع مِن البخاري، ومسلم، والذُّهْلِي، وغيرهم، كما هو روَىٰ عنه مجموعة من مشايخه أيضًا، توفي (٣١١هـ)، انظر: «تذكرة الحفاظ» (ص٧٢٢)، و«طبقات الشافعية» (١٣/ ١١١)، و«السير» (٩/ ٢٣٦).

يعلىٰ[1]، والطبراني، ورواته ثقات[2].

وفي بعض طرقه عند ابن خزيمة تصريح محمد بن إسحاق أن شيخه حدَّثه بذلك؛ فزَالَ ما يُخْشَىٰ مِن تدليسه.

قال ابن خزيمة: «**قوله:** وإلا تجلد. معناه اطلعي، كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا».

قلت: قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الذي أشار إليه ابن خزيمة هو ما رواه أبو بكر ابن الأنباري[3] في كتاب «المصاحف» بإسناده عن عكرمة، قال: قلت لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أرأيت ما جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أُمَية بن أبي الصَّلت

---

(١) هو الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، أبو يعلىٰ، أحمد بن علي بن المُثَنَّىٰ بن يحيىٰ بن عيسىٰ بن هلال التميمي المَوْصِلِي، مُحَدِّث الموصل، وصاحب «المسند» و«المعجم»، وُلد (٢١٠هـ)، فهو أبر مِن النَّسائي بخمس سنين، وأعلىٰ إسنادًا منه، انتهىٰ إليه علو الإسناد، وازدحم عليه أصحاب الحديث، وعاش سبعًا وتسعين سنة، حتىٰ توفي (٣٠٧هـ)، انظر: «طبقات الحفاظ» (٣٠٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ١٧٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٥٦) (٢٣١٤)، وأبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده» (٢٤٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١١٦١٧).

(٣) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن، المعروف بابن الأنباري، أو أبو بكر الأنباري، الإمام، الحافظ، النحوي، اللغوي، كان يحفظ ٣٠٠ ألف بيت شاهد في القرآن، ومئة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها، توفي (٣٢٨هـ). انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٣/ ٤٢).

آمَنَ شِعرُه وكفَر قلبُه. فقال: هو حق، فما أنكرتم من ذلك؟

قلت: قوله في الشَّمس: إلَّا مُعذبة وإلا تُجْلَدُ.

فقال: والذي نفسي بيده، ما طلعت الشَّمس قط حتىٰ ينخسها سبعون ألف ملك، فيقولون لها: اطلعي. فتقول: لا أطلع علىٰ قومٍ يعبدونني من دون الله. فيأتيها ملَكٌ عن الله عَزَّوَجَلَّ يأمرها بالطلوع، فتشتعل لضياء بني آدم، فيأتيها شيطانٌ يُريد أن يصدها عن الطُّلوع، فتطلع بين قرنيه؛ فيُحرِقه الله تحتها»(١).

وروىٰ أبو نعيم(٢) في «الحلية» من طريق الأوزاعي(٣) عن عبدة -يعني

---

(١) رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ٩)، وإسناده ضعيف، انظر: «فيض القدير» للمناوي (١/ ٥٧)، و«كشف الخفاء» للعجلوني (١/ ١٩).

(٢) هو الإمام الثِّقة، المؤرِّخ، أبو نُعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ المهراني الأصبهاني، وُلِد (٣٣٦هـ)، مِن شيوخه: الطبراني، وقد أخذ عنه: الخطيب البغدادي، وكانَ أبوه مِن عُلمَاء المحدِّثين والرَّحالِين؛ فاسْتجَاز له جماعة مِن كِبَار المسندين، توفي (٤٣٠هـ)، انظر: «معجم البلدان» (١/ ٢١٠)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٤٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤٥٣).

(٣) هو شيخ الإسلام، المُحدِّث، الفقيه، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأَوْزَاعِي، واسمه: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، كان مولده في حياة الصحابة (٨٨هـ)، وحدَّثَ عن: عطاء بن أبي رباح، وعمرو بن شعيب، ومكحول، وقتادة، والزهري، ويحيىٰ بن أبي كثير، ومحمد بن سيرين، وابن المنكدر، روَىٰ عنه: ابن شهاب الزهري، ويحيىٰ بن أبي كثير -وهما من شيوخه-، وشُعبة، وسفيان الثَّوري، وتوفي (١٥٧هـ)، انظر: «طبقات ابن سعد» (٧/ ٤٨٨)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ١٧٨)، =

ابن أبي لبابة[١]-، قال: «مَا ظَهرَت الشَّمْسُ قَطُّ حَتَّىٰ تَضْرِبَ مَرَّة أَوْ مَرَّتَيْنِ، حَتَّىٰ تَجْذِبَ جَذْبًا، تقُولُ: إنِّي أُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ»[٢].

الحديث السادس:

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَأَخِّرُوا الصَّلَاةَ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَأَخِّرُوا الصَّلَاةَ حَتَّىٰ تَغِيبَ**»، متفق عليه[٣].

الحديث السابع:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **قال**: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ العَصْرِ حَتَّىٰ تَغِيبَ الشَّمْسُ**»، متفق عليه[٤].

=

و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٠٧).

(١) الإمام عبدة بن أبي لبابة، أبو القاسم الأسدي ثم الغاضري، مولاهم التاجر، نزل دمشق، وحدَّث عن ابن عمر، وعلقمة، وسويد بن غفلة، وروىٰ عنه: الأوزاعي، وشعبة، وسفيان، مات في حدود (١٢٧هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٢٩)، و«التاريخ الكبير» (٨/ ٤٠٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١١٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٦).

الحديث الثامن:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «لَا صَلَاةَ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّىٰ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ»**، رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده»، وإسناده صحيح(١).

الحديث التاسع:

عن عبد الله الصنابحي(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«تَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا ارْتَفَعَتْ فَارَقَهَا، ثُمَّ إِذَا اسْتَوَتْ قَارَنَهَا، فَإِذَا زَالَتْ فَارَقَهَا، فَإِذَا دَنَتْ لِلْغُرُوبِ قَارَنَهَا، فَإِذَا غَرَبَتْ فَارَقَهَا»**، رواه مالك، والشافعي، وأحمد، والنسائي، بأسانيد صحيحة علىٰ شرط الشيخين(٣).

الحديث العاشر:

عن عمرو بن عبسة السُّلَمي(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قلت: يا رسول الله، أيُّ

---

(١) أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٢٥٨٥).

(٢) عبد الله الصنابحي، اختُلف في صحبته، وذكره ابن سعد (٧/ ٤٢٦)، والبغوي في «معجم الصحابة» (٤/ ١٨٥)، وجزم بصحبته ابن معين كما في «سؤالات ابن محرز» (٢/ ١٥٣).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٤٤)، والشافعي في «مسنده» (٨٠٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٥٤٢)، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٠٤٨).

(٤) هو الصحابي الجليل، عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة، وهو أبو نجيح البجلي، أحد =

الليل أسمع؟ قال: «جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَصَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ، حَتَّىٰ تُصَلِّيَ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَقْصِرْ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَتَرْتَفِعَ قِيسَ رُمْحٍ، أَوْ رُمْحَيْنِ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَيُصَلِّي لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ، حَتَّىٰ يَعْدِلَ الرُّمْحُ ظِلَّهُ، ثُمَّ أَقْصِرْ، فَإِنَّ جَهَنَّمَ تُسْجَرُ، وَتُفْتَحُ أَبْوَابُهَا، فَإِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ، فَصَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ حَتَّىٰ تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ، حَتَّىٰ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَيُصَلِّي لَهَا الْكُفَّارُ»، الحديث رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، وهذا لفظه والنسائي، والترمذي مختصرًا، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب(١).

وفي إضافة الطلوع، والارتفاع، والزَّوال، والدُّنُو، والغروب إلىٰ الشَّمس دليل علىٰ أنها تجري وتدور علىٰ الأرض، ولو كانت ثابتة في موضعها كما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لكان ينبغي أن تجعل هذه الأفعال للأرض، وهذا لا يقوله عاقل.

والأحاديث التي فيها ذكر طلوع الشَّمس، وزوالها، وغروبها، وطلوعها في

=

السابقين، ويقال له: ربع الإسلام، قال الذهبي: لعله مات بعد سنة ستين. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٦٠).

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢)، وأبو داود (١٢٧٧).

آخر الزمان من مغربها كثيرة جدًّا، وفيما ذكرته ههنا كفاية لمن أراد الله هدايته، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

وقد روىٰ ابن أبي حاتم بإسناد صحيح، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «الشَّمس بمنزلة الساقية، تجري بالنهار في السماء في فلَكِها، فإذا غربت جرت بالليل في فلَكِها تحت الأرض، حتىٰ تطلع من مشرقها، قال: وكذلك القمر»(١).

* * *

فصل

وإذا علم أن جريان الشَّمس ثابت بالدلائل القطعية من نصوص الكتاب والسنة؛ فليعلم -أيضًا- أنه ثابت بالمشاهدة مِن سيرها في البروج والمنازل، كما يسير القمر وسائر الكواكب السيارة فيها.

ففي أوَّل بُرج الحَمَل تكون الشَّمس سائرة في خط الاستواء؛ وحينئذ يكون بينها وبين كلٍّ مِن القُطبَين تِسْعُون درجة، ثم تميل بعد ذلك شيئًا فشيئًا إلىٰ جهة القطب الشمالي، وينتهي بعدها عن خط الاستواء في أول بُرج السَّرَطان، وذلك نحو من ثلاث وعشرين درجة؛ وحينئذ يكون بينها وبين القطب الشمالي سبع وستون درجة، وبينها وبين القطب الجنوبي مئة وثلاث عشرة درجة، ثم ترجع

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣١٣٦).

شيئًا فشيئًا، حتىٰ تصل إلىٰ خط الاستواء في أول بُرج المِيزَان؛ وحينئذ يكون بينها وبين كلٍّ مِن القُطبين تسعون درجة، ثم تميل بعد ذلك شيئًا فشيئًا إلىٰ جهة القطب الجنوبي.

وينتهي بعدها عن خط الاستواء في أول بُرج الجَدْي، وذلك نحو من ثلاث وعشرين درجة؛ وحينئذ يكون بينها وبين القطب الجنوبي سبع وستون درجة، وبينها وبين القطب الشمالي مئة وثلاث عشرة درجة.

ثم ترجع شيئًا فشيئًا حتىٰ تصل إلىٰ خط الاستواء في أول برج الحمَل، وهكذا هي سائرة علىٰ الدوام.

ولها في كل ثلاثة عشر يومًا منزلة من المنازل الثمان والعشرين تقارنها في مسيرها، ثم تتخلف عنها، وتقارن التي تليها، وهكذا هي علىٰ الدوام.

وأمَّا القمر؛ فله في كل يوم وليلة منزلة من المنازل يقارنها في مسيره.

ولو كانت الشَّمس ساكنة ثابتة كما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لما كانت تدور علىٰ البروج والمنازل، وتكون في خط الاستواء تارة، وتميل نحو الشمال تارة، ونحو الجنوب تارة، وتقرب من القطب الشمالي في الصيف، وتبعد عنه في الشتاء، وتقرب من القطب الجنوبي في الشتاء، وتبعد عنه في الصيف، وتتوسط بين القطبين في فصلي الربيع والخريف.

وسيرها في البروج والمنازل، وميلها نحو الجنوب في الشتاء، ونحو

الشمال في الصيف، ورجوعها إلىٰ خط الاستواء في فصلي الربيع والخريف معلوم عند كل عاقل، ولا ينكره إلَّا مَن هو ذاهب العقل، أو معاند يكابر في المحسوسات، ويباهت في الضروريات.

وقد تقدم قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿بِحُسۡبَانٖ ٥﴾ قال: «بحساب ومنازل»، رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

* * *

فصل
في ذكر الأدلة على ثبات الأرض واستقرارها

فأما الأدلة من القرآن ففي عدة آيات:

الآية الأولىٰ:

قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر: ٤١].

وهذه الآية من أوضح الأدلة علىٰ ثبات الأرض واستقرارها، ولو كانت تجري وتدور علىٰ الشَّمس كما زعمه أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة؛ لكانت تزول من مكان إلىٰ مكان، وهذا خلاف نص الآية الكريمة.

الآية الثانية:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥].

قال البغوي: «قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قامَتا علىٰ غير عمد بأمره»(١).

وقال ابن كثير علىٰ قوله تعالىٰ: «﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾، كقوله تعالىٰ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥] وقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١].

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا اجتهد في اليمين، قال: «والذي تقوم السماء والأرض بأمره»، أي: هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها»(٢).

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «ويجيء القيام بمعنىٰ الوقوف والثبات، يقال: للماشي: قِفْ لِي؛ أي: تحبس مكانك حتىٰ آتيك، وكذلك: قُمْ لي، بمعنىٰ قِفْ لي؛ وعليه فسَّروا قوله سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ [البقرة: ٢٠]، قال أهل اللغة والتفسير: قاموا هنا بمعنىٰ وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين. ومنه التوقف في الأمر، وهو الوقوف عنده من غير مجاوزة له»(٣).

---

(١) «تفسير البغوي» (٦/ ٢٦٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣١٠).

(٣) «لسان العرب» (١٢/ ٤٩٧).

قال: «ومنه قامت الدابة، إذا وقفت عن السير، وقام عندهم الحق؛ أي: ثبت ولم يبرح، ومنه قولهم: أقام بالمكان هو بمعنى الثبات، ويقال: قام الماء، إذا ثبت متحيرًا لا يجد منفذًا، وإذا جمد أيضًا»(١).

قلت: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾، فمعناه الوقوف والثبات وعدم الحركة والدوران، والله أعلم.

الآية الثالثة:

قوله تعالىٰ في سورة «المؤمن»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [غافر: ٦٤] الآية.

قال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «**أي**: جَعَلَهُما لكم مُستقَرًّا بساطًا مهادًا، تعيشون عليها، وتتصرَّفُون فيها، وتمشون في مناكبها، وأرساها بالجبال؛ لئلَّا تميد بكم: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾؛ أي: سقفًا للعالم محفوظًا»(٢).

الآية الرابعة:

قوله تعالىٰ في سورة «النمل»: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ [النمل: ٦١] الآية.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٥٦).

قال ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «يقول: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾؛ أي: قارة ساكنة ثابتة، لا تميد، ولا تتحرك بأهلها، ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك؛ لَمَا طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادًا بساطًا، ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [غافر: ٦٤]»(١).

وقال البغوي: «قرارًا لا تميد بأهلها»(٢).

قلت: والقرار معناه في لغة العرب الثبات والسكون.

قال في القاموس وشرحه: «قَرَّ بالمكان يَقِرُّ بالكسر والفتح، قرارًا وقُرورًا وقَرًّا وتَقِرَّة، ثبت وسكن؛ فهو قارٌّ كاستقَرَّ، وتقَارَّ، وهو مستقِرٌّ». انتهىٰ(٣).

ثم قال ابن كثير علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ [النمل: ٦١]: «أي: جبالًا شامخة ترسي الأرض وتثبتها؛ لئلَّا تَمِيد بِكُم»(٤).

وقال القرطبي علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾: «يعني جبالًا ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة»(٥).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٠٣).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/ ١٧١).

(٣) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٥٩٢) بتصرف.

(٤) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٠٣).

(٥) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٢٢).

الآية الخامسة:

قوله تعالىٰ في سورة «النحل»: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النحل: ١٥].

الآية السادسة:

قوله تعالىٰ في سورة «الأنبياء»: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١] **الآية.**

الآية السابعة:

قوله تعالىٰ في سورة «لقمان»: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠] الآية.

وفي كلٍّ مِن هذه الآيات دليلٌ علىٰ استقرار الأرض وسُكونِهَا.

قال الراغب الأصفهاني: «**المَيد:** اضطراب الشيء العظيم، كاضطراب الأرض، قال: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾»(١).

وقال ابن الجوزي في تفسير سورة «النحل»: «قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾؛ أي: نصَبَ فيها جبالًا ثوابت: ﴿أَن تَمِيدَ﴾؛ أي: لئلَّا تميد، وقال

---

(١) «مفردات غريب القرآن» (ص٤٧٧).

الزَّجَّاج[(١)]: كراهة أن تميد، يقال: مَادَ الرجل يميد ميدًا إذا أدير به. وقال ابن قُتَيبة[(٢)]: الميد الحركة والميل، يقال: فلان يميد في مشيته؛ أي: يتكفأ»[(٣)].

وقال البغوي: «**قوله تعالىٰ:** ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾؛ أي: لئلَّا تميد بكم؛ أي: تتحرك وتميل، والميد هو الاضطراب والتكفؤ، ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر: مَيد.

قال وَهْب: لَمَّا خلق الله الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة: إن هذه غير مقرة أحدًا علىٰ ظهرها، فأصبحت وقد أُرْسِيَت بالجبال؛ فلم تدر الملائكة

---

(١) هو الإمام، نحوي زمانه، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري، الزَّجَّاج، البغدادي، مصنف كتاب «معاني القرآن»، وله تآليف جمة، لَزِمَ المبرد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهمًا، فنصحه وعلَّمه، مات سنة (إحدىٰ عشرة وثلاث مئة)، وقيل: مات في تاسع عشر جمادىٰ الآخرة سنة عشرة. انظر: «طبقات النحويين واللغويين» (١١٢-١١١)، و«تاريخ بغداد» (٦/ ٩٣ ٨٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٦٠).

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ويقال له: القُتَبِي، الإمام، الأديب الشهير، حدث عن: إسحاق بن راهويه، ومحمد بن زياد بن عبيد الله الزيادي، ولي قضاء الدينور، وكان رأسًا في علم اللسان العربي، والأخبار وأيام الناس، توفي سنة (٢٧٦هـ). انظر: «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي (١١٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٩٦).

(٣) «زاد المسير» (٤/ ٤٣٥).

مِمَّ خلقت الجبال»(١).

قلت: وقد روىٰ عبد الرزاق عن معمر(٢) عن قتادة عن الحسن نحوه.

وروىٰ سعيد عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد نحو ذلك أيضًا.

وروىٰ ابن جرير عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «لما خلق الله الأرض قمصت، وقالت: تخلق علَيَّ آدمَ وذُريَّته يُلْقُونَ علَيَّ نَتنَهم، ويعملون علَيَّ بالخطايا؟ فأرساها الله بالجبال، فمنها ما ترون، ومنها ما لا ترون، وكان أول قرار الأرض كلحم الجزور، إذا نحر يختلج لحمه»(٣).

ويشهد لهذه الآثار ما رواه الإمام أحمد، والترمذي، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ**»، الحديث(٤).

---

(١) «تفسير البغوي» (٥/ ١٣).

(٢) هو معمر بن المثنَّىٰ التيمي البصري، النحوي اللغوي، وُلِدَ (١١٠هـ) في ليلة وفاة الحسن البصري، حدَّثَ عن: هِشَام بن عُرْوَة، ورُؤْبَة بن العجَّاج، وأبي عمرو بن العَلاء، وحدَّث عنه: ابن المديني، والقاسم بن سلام، والمازني، كان إباضِيًّا، قال ابن المَدِينِي: «كان لَا يَحْكِي عن العرَب إلَّا الشَّيء الصَّحِيح»، انظر: «تاريخ بغداد» (١٣/ ٢٥٢، ٢٥٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٤٤٦).

(٣) «تفسير الطبري» (١٧/ ١٨٣) بتصرف.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٢٤) (١٢٢٧٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٧٠).

وقال ابن كثير في تفسير سورة «النحل»: «ذكَرَ تعالىٰ الأرض وما ألقىٰ فيها من الرواسي الشامخات، والجبال الراسيات؛ لتقر الأرض ولا تميد؛ أي: تضطرب بما عليها من الحَيوانات، فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك»(١).

وقال -أيضًا- في تفسير سورة «الأنبياء»: «قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾؛ أي: جبالًا، أرسىٰ الأرض بها، وقرَّرَها، وثقَّلها؛ لئلَّا تميد بالناس؛ أي: تضطرب وتتحرك؛ فلا يحصل لهم قرار عليها»(٢).

وقال -أيضًا- في تفسير سورة «لقمان» علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: «يعني الجبال أرست الأرض، وثقَّلَتها؛ لئلَّا تضطرب بأهلها علىٰ وجه الماء، ولهذا قال: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾؛ أي: لئلَّا تميد بكم»(٣).

وقال القرطبي في تفسير سورة «الأنبياء»: «وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾؛ أي: جبالًا ثوابت: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]؛ أي: لئلَّا تميد بهم، ولا تتحرك؛ ليتم القرار عليها. قاله الكوفِيُّون.

وقال البصريون: المعني كراهية أن تميد، والميد التحرك والدوران، يقال: مَادَ رأسه؛ أي: دَارَ»(٤).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٦٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٤٠).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٣٢).

(٤) «تفسير القرطبي» (١١/ ٢٨٥).

وقال الشوكاني في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾: «الميد التحرك والدوران؛ أي: لئلَّا تتحرك وتدور بهم»(١).

الآية الثامنة:

قوله تعالىٰ في سورة «الرعد»: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا﴾ [الرعد: ٣] الآية.

قال ابن كثير: «أي: جعَلهَا مُتَّسعَة ممتدة في الطول والعرض، وأرساها بجبالٍ راسياتٍ شامخات»(٢).

وقال البغوي عند قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [فُصِّلَت: ١٠]: «جبالًا ثابتة واحدتها راسية»(٣).

وقال القرطبي عند قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: «أي: جبالًا ثوابت، واحدها راسية؛ لأن الأرض ترسو بها؛ أي: تثبت، والإرساء: الثبوت»(٤).

---

(١) «فتح القدير» (٣/ ٥٨٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٣١).

(٣) «تفسير البغوي» (٤/ ٢٩٣).

(٤) «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٨٠).

الآية التاسعة:

قوله تعالىٰ في سورة «الحجر»: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الحِجر: ١٩] الآية.

قال البغوي علىٰ قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: «بسطناها علىٰ وجه الماء: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾، جبالًا ثوابت، وقد كانت الأرض تميد إلىٰ أن أرساها الله بالجبال»(١).

الآية العاشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «فصلت»: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فُصِّلَت: ١٠] الآية.

قال البغوي: «﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض: ﴿رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ثوابت»(٢).

قال القرطبي: «واحدها راسية؛ لأنَّ الأرض ترسو بها؛ أي: تثبت، والإرساء: الثبوت»(٣).

---

(١) «تفسير البغوي» (٤/ ٣٧٤) بتصرف.

(٢) «تفسير البغوي» (٧/ ١٦٥).

(٣) «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٨٠).

الآية الحادية عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «ق»: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [ق: ٧] الآية.

قال البغوي علىٰ قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: بسَطْناهَا علىٰ وجه الماء: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا شوامخ[1]»[2].

وقال ابن كثير علىٰ قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: «أي: وسعناها وفرشناها، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾، وهي الجبال؛ لئلَّا تَمِيدَ بأهلها، وتضطرب، فإنَّها مقرة علىٰ تيار الماء المحيط بها مِن جَمِيع جوَانبِهَا»[3].

الآية الثانية عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «المرسلات»: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ [المرسلات: ٢٥ - ٢٧].

قال ابن كثير علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾: «يعني الجبال رسَّىٰ بها الأرض؛ لئلَّا تميد وتضطرب»[4].

---

(١) في «تفسير البغوي» قال: «جبالًا ثوابت».

(٢) «تفسير البغوي» (٤/ ٣٧٤).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٩٦).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٩٩).

الآية الثالثة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «النازعات»: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات: ٣٠ - ٣٣].

قال ابن كثير علىٰ قوله: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾: «أي: قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم»(١).

«وقوله: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾؛ **أي:** دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرىٰ أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبَّتَ جبالها؛ لتستقر بأهلها، ويقر قرارها كل ذلك متاعًا لخلقه، ولِمَا يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار، إلىٰ أن ينتهي الأمد، وينقضِي الأجَل»(٢).

الآية الرابعة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «النبأ»: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾

[النبأ: ٦، ٧].

قال ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تعالَىٰ- علىٰ قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾:

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣١٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣١٧).

«أي: مُمهَّدة للخلائق، ذَلولًا لهم، قارة ساكنة ثابتة: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾؛ أي: جعلها لها أوتادًا أرساها بها، وثبَّتها، وقرَّرها حتىٰ سكنَتْ، ولم تضطرب بمن عليها»(١).

وقال القرطبي علىٰ قوله: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾: «أي: لتسكن ولا تتكفأ بأهلها»(٢).

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «وأوتاد الأرض: الجبال؛ لأنها تُثَبِّتُها»(٣).

الآية الخامسة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «الزخرف»: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾ [الزُّخرُف: ١٠].

قال ابن كثير علىٰ قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾: «أي: فراشًا قرارًا، ثابتة تسيرون عليها، وتقومون وتنامون وتتصرفون، مع أنها مخلوقة علىٰ تيَّار الماء، لكنه أرساها بالجبال؛ لئلَّا تمِيد هكذا ولا هكذا»(٤).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٢).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٩/ ١٧١).

(٣) «لسان العرب» (٣/ ٤٤٥).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢١٩).

الآية السادسة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «الذاريات»: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الذاريات: ٤٨].

قال ابن كثير: «أي: جعلناها فراشًا للمخلوقات: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾؛ أي: وجعلناها مهدًا لأهلها»(١).

وقال في «البداية والنهاية»: «وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾؛ أي: بسَطْناهَا، وجعلناها مهدًا؛ أي: قارة ساكنة غير مضطربة ولا مائدة بكم»(٢).

وقال البغوي علىٰ قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾: «بسطناها ومهدناها لكم، ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ الباسطون نحن.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: نِعْمَ ما وَطَّأْتُ لعِبَادي»(٣).

الآية السابعة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢] الآية.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٢٤).

(٢) «البداية والنهاية» (١/ ١٧).

(٣) «تفسير البغوي» (٧/ ٣٧٩).

قال ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «شرَعَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في بيان وَحْدَانيَّة أُلوهِيَّته، بأنه تعالىٰ هو المنعم علىٰ عبيده بإخراجهم من العدم إلىٰ الوجود، وإسباغه عليهم النِّعَم الظَّاهرة والباطنة؛ بأنْ جَعل لهم الأرض فراشًا؛ أي: مهدًا كالفِرَاش، مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾، وهو السقف»(١).

قال: «ومِن أشبه آية بهذه الآية: قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]. الآية، **قال:** «ومَضْمُونُه أنه الخَالِق الرَّازق، مالِكُ الدارِ وساكنيها ورازِقُهم؛ فبهذا يستحق أن يُعبَد وحده، ولا يُشرَك به غيره، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]»(٢).

قلت: وقد استدَلَّ الرَّازي(٣) بهذه الآية علىٰ سكون الأرض وثباتها،

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٩٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الرازي المعروف بالفخر الرازي، كان أشعريًّا، عالمًا بالتفسير، والفلك، والرياضيات، والفلسفة والكلام، وله ردود علىٰ الفلاسفة والمتكلمين نصر بها مذهب أهل السنة والجماعة، وقد اعترف في آخر عمره، حيث قال: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن»، توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: «الكامل في التاريخ» (١٢/ ١٢٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٥٠٠).

وسيأتي كلَامُه مع الأدلة العقلية علىٰ ثبات الأرض إن شاء الله تعالىٰ.

الآية الثامنة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «نوح»: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ١٩، ٢٠].

قال البغوي علىٰ قوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾: «فرَشَها وبسَطها لكم»(١).

وقال ابن كثير: «أي: بسَطهَا ومهَّدها، وقرَّرها وثبَّتها بالجبال الرَّاسيات الشُّم الشامخات، ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: خلقها لكم لتستقروا عليها، وتسلكوا فيها أين شئتم مِن نوَاحيها وأرجائها وأقطارها»(٢).

الآية التاسعة عشرة:

قوله تعالىٰ في سورة «الملك»: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [المُلك: ١٥].

قال ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «ذكر نعمته علىٰ خلقه في تسخيره لهم الأرض، وتَذْلِيله إيَّاها لهم، بأنْ جعَلها قارَّة ساكنة، لا تميد ولا تضطرب؛ بما

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٢٣١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٣٤).

جعل فيها من الجبال»(١).

وقال القرطبي في «تفسيره»: «**وقيل**: أيْ ثبَّتها بالجبال؛ لئلَّا تزول بأهلها ولو كانت تتكفأ مُتَمَايِلَة لِمَا كانت منقادة لنا»(٢).

قلت: قد زَعم أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة ومَن يقلِّدهم ويَحْذُو حَذْوَهم من المسلمين أنَّ الأرض تَسِير في الثَّانية أكثر مِن ثلَاثين كيلومترًا، وأنها تقطع في اليوم الواحد أكثر من خمس مئة ألف فَرْسَخ.

ولو كان الأمر علىٰ ما زعموه مِن سَيْر الأرض بهذه السرعة الهائلة؛ لَمَا كانت ذلولًا للخلائق، ولا فراشًا، ولا مهدًا، ولَمَا استقر علىٰ ظهرها شيء من البِنَاء والشَّجر، فضْلًا عن الحيوانات، وذلك لشدة مَخْرِهَا(٣) للهواء، وشدة صدم الهواء لوجهها.

واعتبر ذلك بالطائرة النفَّاثة التي لا تبلغ في سرعة سيرها عُشْرَ عُشرِ العُشْر مِمَّا زعَمُوه في سرعة سير الأرض.

هل يقول عاقل: إنه يمكن أن يستقر حيوان علىٰ ظهر الطائرة النفاثة وهي سائرة؟ كلَّا، لا يقول ذلك عاقل أبدًا.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٧٩).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢١٥).

(٣) «**المَخْر**»: الجرَيَان.

وإذا كان استقرار الحيوانات علىٰ ظهر الطائرة في حال سيرها مستحِيلًا؛ فكذلك الاستقرار علىٰ ظهر الأرض لو كانت تسير بالسُّرعة الهائلة التي زعموها بطريقِ الأَوْلَىٰ، ولَما كانت الأرض ذلولًا للخلائق، وفراشًا ومهدًا لهم، دل ذلك علىٰ أنها ثابت ساكنة.

فهذه الآية والآيات الخمس قبلها من أوضح الأدلة علىٰ سكون الأرض وثباتها.

الآية العشرون:

قوله تعالىٰ في سورة «الملك»: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [المُلك: ١٦].

قال ابن كثير: «أي: تذهب وتَجِيء وتضطرب»[(١)].

وقال البغوي: «**قال الحسَن:** تتحرَّك بأهلها. وقيل: تهوِي بهم»[(٢)].

وقال الراغب الأصفهاني: «المَوْر الجرَيان السريع، يقال: مارَ يَمُور مَوْرًا»، قال: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرًا ٩﴾ [الطور: ٩]، ومار الدم علىٰ وجهه. والمَوْر: التراب المتردد بالرِّيح، وناقة تمور في سيرها؛ فهِيَ موارة»[(٣)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٨٠).

(٢) «تفسير البغوي» (٨/ ١٧٨).

(٣) «مفردات غريب القرآن» (ص٤٧٨).

وقال الجوهريُّ، والهَرَوِيُّ[١] **وغيرُهمَا من أئمة اللُّغة:** «مار الشيء يمور مورًا إذا جاء وذهب»[٢].

وقال ابن الأثير[٣]: **«وفي حديث: قُسٍّ، ونجُوم تَمُور؛ أي: تذهب وتجيء»**[٤].

قلت: والمعنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦﴾، **كالمعنىٰ في قوله تعالىٰ:** ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾.

قال مجاهد في تفسير هذه الآية: «تدور دورًا»[٥].

---

(١) هو أبو منصور، المعروف بالأزهري صاحب «تهذيب اللغة»، وقد تقدمت ترجمته، وليس أبا إسماعيل الهروي الحافظ المعروف.

(٢) «الصحاح» (٢/ ٢٨٠)، و«تهذيب اللغة» للأزهري الهروي (٥/ ١٦٠).

(٣) هو الإمام، العلامة، المحدث، الأديب، النسَّابة، عز الدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري، الشيباني، ابن الشيخ الأثير أبي الكرم، المعروف بابن الأثير، مصنف «التاريخ الكبير» الملقب بـ«الكامل»، ومصنف «معرفة الصحابة» الملقب بـ«أسد الغابة»، توفي (٦٣٠هـ). انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٧٩)، و«تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٩٩-١٤٠٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٥٣).

(٤) «النهاية في غريب الأثر» (٤/ ٨١١).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٢).

وقال الضحاك: «استدارتها وتحركها لأمر الله، وموج بعضها في بعض»[١].

قال ابن كثير: «وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة.

قال: «وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ بيت الأعشىٰ، فقال:

كَأَنَّ مشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا ... مَوْرُ السَّحَابَةِ لا رَيْثٌ وَلا عَجَلُ[٢]

قلت: ومثل ذلك قول كعب بن زهير[٣] في الرِّيح.

عَفته رياحُ الصيف بعدي بمَورها ... وأبرته الجوزاء بالوَبل والديم

وقال البغويُّ في «تفسيره»: «﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾؛ أي: تدور كدَورَان الرَّحَىٰ، وتتكفأ بأهلها تكفؤ السَّفينة. قال قتادة: تتحرك. وقال عطاء الخراساني: تختلف أجزاؤها بعضها في بعض. وقيل: تضطرب.

والمور يجمع هذه المعاني، فهو في اللغة: الذَّهاب والمَجِيء والتَّردُّد والدَّوَران والاضطِرَاب». انتهىٰ[٤].

إذا علم هذا فآية سورة الملك دالَّة علىٰ أنَّ الأرض قارَّة ساكنة، لا تدور،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٣١)، والبيت أورده الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٣١).

(٣) الشاعر المخضرم، كعب بن زهير بن أبي سُلمىٰ المزني، أبو المضرّب صاحب قصيدة «بانت سعاد»، عاش الجاهلية ثم أسلم ومدح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، توفي (٣٨هـ). انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ١٢٣).

(٤) «تفسير البغوي» (٧/ ٣٨٧).

فتذهب وتجيء؛ ولهذا امتن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ عباده بتذليلها لهم، وحذَّرَهُم مِن عقوبته بأنْ يَخْسِفَ بهم الأرض، ويجعلها تمور بهم.

ولو كان الأمر علىٰ ما يزعمه أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، ومَن يقلدهم مِن العَصْرِيِّين؛ لكانت الأرض تمور دائمًا كما تمور النجوم، والسحاب، والرِّيح، ولم يبق للتَّخويف بمَوْرِهَا فائدة.

الآية الحادية والعشرون:

قوله تعالىٰ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: ٦٥].

الآية الثانية والعشرون:

قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩] الكِسْف القِطْع.

الآية الثالثة والعشرون:

قوله تعالىٰ إخبارًا عن مُشْرِكِي قريش أنَّهم قالوا: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢].

الآية الرابعة والعشرون:

قوله تعالىٰ إخبارًا عن قوم شُعَيب أنَّهم قالوا: ﴿ **فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾** ﴾ [الشعراء: ١٨٧].

الآية الخامسة والعشرون:

قوله تعالىٰ: ﴿ **وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾** ﴾ [الأنفال: ٣٢].

ووجه الاستدلال بهذه الآيات الخمس علىٰ استِقْرَار الأرض وسُكونها أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعَل الأرض مرْكَزًا للأثقال، ومستقرًّا لِمَا ينزل من السماء، فلو سقطت السماء؛ لوقعت علىٰ الأرض، ولو سقط منها شيء؛ لم يستقر إلَّا في الأرض.

ولو كانت الأرض تجري وتدور علىٰ الشَّمس، كما زعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لكانت الشَّمس هي المركز والمستقر للأثقال، وهذا تكذيب للقرآن.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ **إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾** ﴾

[التكوير: ١، ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ **إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾** ﴾ [الانفطار: ١، ٢].

قال البغوي وغيره في قوله تعالىٰ: ﴿ **وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾** ﴾ [التكوير: ٢]:

«أي: تناثرت من السماء وتساقطت علىٰ الأرض»[١]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾».

وروىٰ ابنُ أبي حاتم بإسنادٍ ضعيف، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: **«يُكور الله الشَّمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحًا دبورا فيضرمها نارًا»**[٢].

وكذا ذكر البغويُّ في «تفسيره» عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قال ابن كثير: «وكذا قال عامر الشَّعبي[٣]»[٤].

قلت: ويَشْهَد لهذا الأثر ما رواه البخارِيُّ في «صحيحه»: حدثنا مُسَدَّد حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا عبد الله الداناج، قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الشَّمْسُ**

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩١٥٧).

(٣) هو الإمام الحافظ عامر بن شراحيل الشعبي، أدْرَك خَلْقًا مِن الصَّحابة والتابعين، فروَىٰ عن: سعد بن أبي وقاص، وأبي موسىٰ، وأبي هريرة، وعائشة، وعلقمة، وشُرَيح القاضي، وغيرهم مِن الصَّحابة والتَّابِعين، وُلِد بعد خلافة عُمر بست سنين، وتوفي (١٠٤هـ)، انظر: «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٩٤)، و«تاريخ البخاري» (٦/ ٤٥٠)، و«السير» (٤/ ٢٩٤).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٩).

وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

ورواه البزار(٢) عن إبراهيم بن زياد البغدادي عن يونس بن محمد عن عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال: سمعت أبا سلَمة بن عبد الرحمن زَمَن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد -مسجد الكوفة-، وجاء الحسَن فجلس إليه فحدَّث، قال حدثنا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الشَّمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة**»، فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدِّثُك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول: وما ذنبهما؟!

إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

وروىٰ الحافظ أبو يعلىٰ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ**»، قال الهيثمي: «فيه ضعفاء قد وُثِّقُوا»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٠).

(٢) هو الشيخ الإمام، الحافظ الكبير، أبو بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، البصري، البزار، صاحب «المسند» الكبير، ولد سنة نيف عشرة ومئتين، أخذ عن: عبد الأعلىٰ بن حماد، وعبد الله بن شبيب، وأحمد بن المقدام العجلي، وغيرهم، وأخذ عنه: ابن قانع، وأبو القاسم الطبراني، وأبو الشيخ الأصبهاني، وغيرهم، توفي (٢٩٢هـ)، انظر: «السير» (١٣/ ٥٥٤)، «الأعلام» (١/ ١٨٩)، «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٣٥).

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده» (٤١١٦).

قلت: وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشهد له ويُقَوِّيه.

وروىٰ ابن أبي حاتم عن الشَّعبي أنه سمع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩]: وجهنم هو هذا البحر الأخضر تنتثر الكواكب فيه، وتكور فيه الشَّمس والقمر، ثم يوقد؛ فيكون هو جهنم)»(١).

وروىٰ الإمام أحمد، وابن جرير، والحاكم في «مستدركه» عن يعلي بن أمية(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّم**»، قال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٣).

وفي الآيات من سورتي «التكوير»، و«الانفطار» مع هذه الأحاديث دليل علىٰ أنَّ الأرض هي المركز والمستقر للأثقال، وذلك يدلُّ علىٰ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٣٩٤).

(٢) هو الصحابي الجليل، يَعْلَىٰ بن أُمية بن أبي عبيدة التميمي المكِّي، حليف قريش، وهو يعلىٰ بن منية بنت غزوان، أخت عتبة بن غزوان، أسلم يوم الفتح وحَسُن إسلامه، وشهد الطائف وتَبُوك، وله عدة أحاديث، وكان يفتي بمكة، وولِيَ اليمَن لعثمان، وكان مِمَّن خرج مع عائشة، وطلحة، والزبير نوبة الجمل في الطَّلَب بدم عثمان الشَّهيد، وتوفي في آخر خلافة معاوية. انظر: «أسد الغابة» (٥/ ١٢٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٠٠).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٢٣) (١٧٩٨٩)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٦٢).

سكونها وثَباتها كما تقدم تقرِيرُه.

وفيها ردٌّ علىٰ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة القائلين بحرَكةِ الأرض ودوَرانِهَا، وعلىٰ مَن يقلدهم ويحذو حذْوَهُم مِن المسلمين.

* * *

فصل

وأما الأحاديث الدالة علىٰ استقرار الأرض وسكونها:

فالأول منها:

حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ»**، الحديث رواه الإمام أحمد، والترمذي[(١)].

وهذا الحديث نصٌّ في استقرار الأرض وسكونها.

الحديث الثاني:

عن صفوان بن عسَّال المُرادي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ذكر بابًا من قِبَل المغرب، مسِيرَةُ عَرضِه أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٢٤) (١٢٢٧٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٧٠).

عامًا، خلقه الله يوم خلق السموات والأرض مفتوحًا يعني للتوبة، لا يُغلق حتىٰ تطلع الشَّمس منه»، رواه الإمام أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح(١).

وفي رواية لهما: «إن الله عَزَّوَجَلَّ جَعَلَ بِالمَغْرِبِ بَابًا عَرْضُهُ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ عَامًا لِلتَّوْبَةِ لا يُغْلَقُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨] **الآية**»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(٢).

وقد رواه ابن ماجه في «سننه» بإسناد صحيح، ولفظه: «**إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً فَلاَ يَزَالُ ذَلِكَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**»(٣).

وهذا الحديث الصحيح من أقوىٰ الأدلة علىٰ أن الأرض قارة ساكنة لا تدور ولا تفارق موضعها أبدًا.

وهذا مستفاد مِن النَّصِّ علَىٰ أن باب التوبة ثابت في ناحية المغرب، لا

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٣٩) (١٨١١٨)، والترمذي (٣٥٣٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٧٧).

(٢) «سنن الترمذي» (٥/ ٥٤٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٠)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٢٨٩).

يُزايِلُه ولا يغلق حتىٰ تطلع الشَّمس مِن قِبَلِه.

ولو كان الأمر علىٰ ما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لكانت وجهة ذلك الباب تختلف بحسب دوران الأرض، فتكون من ناحية المغرب تارة، ومن ناحية المشرق أخرىٰ، وعلىٰ مسَامتة(١) الرأس تارة، وفي الجهة المقابلة لذلك أخرىٰ، وفيما بين هذه الجهات تارات؛ بحسب دوران الأرض وسَيْرِهَا علىٰ حد زعمهم الكاذب، وهذا إبطالٌ للنص بغير دليل شرعي، بل بمجرد الظنون الكاذبة، والتَّوهُّمات الخاطئة.

الحديث الثالث:

قال أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي(٢) في «أخبار مكة»: «حدثني جَدِّي عن سعيد بن سالم، قال: أخبرني ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب مولىٰ ابن عباس(٣) عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا

---

(١) أي: مقابلة أو مواجهة الرأس.

(٢) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، الغساني، المكي، صاحب «أخبار مكة»، كان مؤرخًا، وهو أول من حاول كتابة تاريخ مكة، وقد أثنىٰ عليه كثير من أكابر العلماء والمُحدِّثين، توفي (٢٥٠هـ). انظر: «الفهرست» لابن النديم (ص٢٩٤-٢٩٥).

(٣) هو مولىٰ ابن عباس، كريب بن أبي مسلم، الإمام، الحُجة، أبو رشدين، الهاشمي، العباسي، الحجازي، أدرك عثمان، وأرسل عن الفضل بن عباس، وحدَّث عن مولاه ابن عباس، وأم الفضل أمه، وأختها ميمونة، وأسامة وطائفة، كان ثقةً حسن الحديث، توفي (٩٨هـ). انظر: «طبقات ابن سعد» (٥/ ٢٩٣)، و«تاريخ ابن عساكر» (١٤/ ٢٧٢)، =

قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**البَيْتُ الَّذِي فِي السَّماءِ يُقالُ: لَهُ الضُّرَاح، وَهُوَ مِثْل بِنَاء هَذَا البَيْتِ الْحَرَام، وَلَوْ سَقَطَ لسَقَطَ عَلَيْهِ، يَدْخُلُهُ كُل يَوْمٍ سَبعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ فِيه أَبَدًا**»(١).

ورواه الطبراني، فقال: أنبأنا الحسَن بن علوية القطان، حدثنا إسماعيل بن عيسىٰ العطار، حدثنا إسحاق بن بشر أبو حذيفة، حدثنا ابن جريج، عن صفوان بن سليم، عن كريب عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**البَيْتُ المَعْمُورُ فِي السَّماءِ يُقَال: له الضُّرَاح، وَهُو علَىٰ مِثْلِ البَيْتِ الحَرَام بحِيَالِه، لَو سَقَط لسقطَ علَيْهِ، يَدْخُلهُ كُل يومٍ سَبعُونَ أَلْفَ ملَكٍ، ثُمَّ لا يرَوْنَهُ قَطُّ، وإنَّ لَهُ فِي السَّمَاءِ حُرْمَةٌ علَىٰ قَدْرِ حُرْمَةِ مَكَّة. يَعني فِي الأَرْضِ**»(٢).

قال ابن كثير: «وهكذا قال العوفي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والربيع بن أنس، والسُّدِّي، وغير واحد.

وقال قتادة: «ذُكِرَ لنا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومًا لأصحابه: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الْبَيْتُ المَعْمُور؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ فِي السَّمَاءِ بحِيَالِ الكَعْبَةِ، لَو خَرَّ لخَرَّ عَليْهَا يُصَلِّي فِيه كُل يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ ملَكٍ، إذَا**

=

و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٧٩).

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٢١٤).

خرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِر مَا علَيْهِم»[(١)].

وروىٰ ابن أبي حاتم، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**في السماء السابعة بيت يقال: له المعمور بحيال الكعبة**»[(٢)].

وقال ابن جرير: «حدَّثنا هناد بن السري حدثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عُرْعُرَة أنَّ رجلًا قال لعَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء يقال له: الضراح، وهو بحيال الكعبة مِن فوقها، حُرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبدًا»[(٣)].

ثم رواه ابن جرير من حديث علي بن ربيعة، وأبي الطُّفيل أن ابن الكواء[(٤)] سأل عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن البيت المعمور؟ قال: مسجد في السماء يقال: له الضراح، يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبدًا[(٥)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٢٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٦٧٣).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٥).

(٤) هو عبد الله بن الكواء اليشكري، من بني يشكر، من رؤوس الخوارج. قال البخاري: لا يصح حديثه. وقال ابن حجر: وله أخبار كثيرة مع علي، وكان يلزمه ويعنته في الأسئلة، وقد رجع عن مذهب الخوارج، وعاود صحبة علِي. انظر: «لسان الميزان» (٤٣٨٥).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٥).

ورواه أبو الوليد الأزرقي في «أخبار مكة» فقال: «حدثني جدي، قال حدثني سفيان بن عيينة(١) عن ابن أبي حسين عن أبي الطفيل قال: سأل ابن الكواء عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَا البَيْتُ المَعمُور؟ قال: هو الضُّرَاح، وهُوَ حِذَاء هَذا البَيْت، وهُو في السَّمَاء السَّادِسَة، يَدخُله كُل يَوْمٍ سَبعُونَ أَلْفَ ملَكٍ لَا يَعُودُونَ فِيه أبدًا»(٢).

وقال -أيضًا-: حَدَّثني أبو محمد قال حدثنا أبو عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي قال حدثنا سفيان بن عيينة بنحوه، إلَّا أنه قال: «في السَّماء السَّابعة»، وقال: «لا يعودون إليه أبدًا إلىٰ يوم القيامة»(٣).

---

(١) هو الإمام الكبير أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي، سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولىٰ محمد بن مزاحم، أخي الضحاك ابن مزاحم، ولد في الكوفة (١٠٧هـ)، وطلب الحديث، وهو حَدَث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علمًا جَمًّا، وأتقن، وجوَّد وجمَع وصنَّف، وعَمَّر دهرًا، سمع من: ابن شهاب الزهري، وعاصم بن أبي النجود، وأبي إسحاق السبيعي وطائفة، وحدَّث عنه: الأعمش، وابن جريج، وشُعبة وهؤلاء من شيوخه، وحدَّث عنه من تلامذته: حماد بن زيد، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيىٰ القطان، والشافعي، وعبد الرزاق، والحُمَيدي، وسعيد بن منصور، ويحيىٰ بن معين، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، توفي (١٩٨هـ). انظر: «طبقات ابن سعد» (٥/ ٤٩٧)، و«التاريخ الكبير» (٤/ ٩٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٥٤).

(٢) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٥).

(٣) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٦).

وقال -أيضًا-: «حدثني جدي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن وهب بن منبه[(١)] أنه وَجَد في التوراة بيتًا في السماء بحيال الكعبة فوق قبتها اسمه الضراح، وهو البيت المعمور، يَرِدُه كل يوم سبعون ألف ملَك، لا يعودون إليه أبدًا»[(٢)].

قال الجوهري: «**الضُّراح بالضم**: بيت في السماء، وهو البيت المعمور عن ابن عباس»[(٣)].

وقال ابن الأثير: «الضُّراح بيت في السماء حيال الكعبة، ويروىٰ الضريح، وهو: البيت المعمور، من المضارحة، وهي المقابلة، والمضارعة، وقد جاء ذكره في حديث علِيٍّ، ومجاهد، ومَن رواه بالصاد فقد صحَّف»[(٤)].

---

(١) هو الأسوار، الإمام، العلَّامة، القصصي، وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني الذِّماري الصنعاني، أخو همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه، ولد في زمن عثمان عام (٣٤هـ)، وأخذ عن ابن عباس، وأبي هريرة - إن صح-، وأبي سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص علىٰ خلاف فيه، وطاووس.. حتىٰ إنه ينزل ويَروِي عن عمرو بن دينار، وأخيه هَمَّام، وعمرو بن شُعَيب، وحدَّث عنه ولداه: عبد الله وعبد الرحمن، وعمرو بن دينار، وسماك بن الفضل، وغيرهم، وتوفي (١١٤هـ). انظر: «طبقات ابن سعد» (٥/ ٥٤٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٤٤).

(٢) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٥).

(٣) «الصحاح» (١/ ٣٨٦).

(٤) «النهاية في غريب الأثر» (٣/ ١٧١).

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «الضُّراح بالضم بيت في السماء مقابل الكعبة في الأرض، قيل هو البيت المعمور عن ابن عباس، وفي الحديث: «الضراح بيت في السماء حيال الكعبة».

ويُروىٰ: الضريح وهو البيت المعمور، من المضارحة، وهي: المقابلة والمضارعة، وقد جاء ذكره في حديث علي ومجاهد»(١).

وقال صاحب «القاموس»: «الضُّراح كغُرَاب، البيت المعمور في السماء الرابعة». انتهىٰ(٢).

وقوله: «في السماء الرابعة» غلط، إما منه أو مِمَّن دُونَه؛ مِن النُّسَّاخ أو الطَّابعين؛ لأنه قد ثبت في «الصَّحِيحَيْن» وغيرهما أن البيت المعمور في السماء السابعة، والله أعلم.

وفي حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وما ذكرنا معه من الآثار المتعاضدة دليل علىٰ استقرار الأرض وسكونها.

وهذا مستفاد من النص علىٰ أن الكعبة بحيال البيت المعمور في السماء، وإن البيت المعمور لو سقط؛ لسقط علىٰ الكعبة.

ولو كان الأمر علىٰ ما يزعمه أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة؛ لما كان البيت المعمور

---

(١) «لسان العرب» (٢/ ٥٢٧).

(٢) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٢٩٥).

بحيال الكعبة، ولو خر لم يخر عليها، بل يَخِرُّ علىٰ الشَّمس؛ لأنها هي المستقرَّة والمركز الذي تدور عليه الأفلاك علىٰ حد زعمهم الكاذب، ويلزم علىٰ هذا تكذيب الحديث والآثار المذكورة ههنا بغير مستنَدٍ صَحِيح.

الحديث الرابع:

عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **عن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَرَّمَ هَذَا الْبَلَدَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَصَاغَهُ يَوْمَ صَاغَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَمَا حِيَالُهُ مِنَ السَّمَاءِ حَرَامٌ، وَأَنَّهُ لَمْ يَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَ كَمَا كَانَ»**، رواه الطبراني، وأبو نعيم في «الحلية» من طريقه، ولبعضه شواهد في «الصَّحِيحَيْن» وغيرهما من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأبي شريح الخزاعي[(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(٢)].

وفيه دليل علىٰ استقرار الأرض وسكونها، وهذا مستفاد من النص علىٰ تحريم ما حيال حرم مكة من السماء.

ولو كانت الأرض تدور كما يزعمه أهل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة؛ لَمَا كان حرَم السماء بحيال حَرَم الأرض في كل وقت، بل يكون بحياله تارة، وبحيال غيره

(١) هو الصحابي الجليل، أبو شريح الخزاعي، خويلد بن عمرو بن صخر بن عبد العزىٰ، وقيل: عمرو بن خويلد، أسلم قبل الفتح، ونزل المدينة، ومات بها سنة (٦٨هـ). انظر: «أسد الغابة» (١/ ٣٣٤)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٧/ ٢٠٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٠٢٥)، وأبو نعيم «الحلية» (٤/ ١٩).

تارات، وهذا تكذيب للحديث بلا برهان.

الحديث الخامس:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّ رُصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ -وأشار إلىٰ مِثْلِ الجُمْجُمة- أُرْسِلَتْ مِن السَّماء إلىٰ الأرْض، وَهي مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، لَبَلَغَتِ الأرْضَ قَبْلَ اللَّيْل**»، الحديث رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن جرير، والبيهقي[١]، وقال الترمذي: هذا حديث إسناده حسن صحيح[٢].

ووجه الاستدلال بهذا الحديث علىٰ استقرار الأرض وثباتها: أن الله تعالىٰ جعل الأرض مركزًا للأثقال، ومستقرًّا لما ينزل من السماء، ولو كانت الأرض تجري وتدور علىٰ الشَّمس كما زعمه أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة؛ لكانت الشَّمس هي المركز والمستقر للأثقال، وهذا تكذيب لهذا الحديث الصحيح.

---

(١) هو الحافظ الفقيه أبو بكر أحمد بن الحسين بن علِي بن عبد الله بن موسىٰ البيهقي، بَيْهَق بنيسابور، وُلِد (٣٨٤هـ)، مِن أبرز شيوخه: الحاكم صاحب «المستدرك»، والمَرْوَزِي، وغيرهما، وقد اشتهر بالتصانيف الكثيرة النافعة في الفقه والحديث، وغير ذلك، وكان مُحَدِّث زمانه، وشيخ السُّنة في وقته، وأوْحَد زمانه في الحِفْظ والإتقان. وقد عمَّر طويلًا، مِمَّا مَكَّن عددًا كبيرًا للاستفادة منه، توفي (٤٥٨هـ)، انظر: «طبقات الشافعية» (٣/ ٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٦٤).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٩٧) (٦٨٥٦)، والترمذي (٢٥٨٨)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٩).

وفي الحديث دليل آخر علىٰ استقرار الأرض وثباتها، وذلك مستفاد من النص علىٰ أن بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة.

والنص شامل لوجه الأرض من جميع الجهات؛ لأنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطلق ولم يخص جهة منها دون الجهة الأخرىٰ؛ فدل عموم النص علىٰ أن المسافة بين السماء والأرض خمس مئة سنة من كل جهة.

وقد قرَّر الإمام أبو الحسين ابن المنادي[١] أن بعد ما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد، ووافقه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تَيمِيَّةَ وغيره علىٰ ذلك.

وفي حديث عبد الله بن عمرو الذي ذكرنا دليل لما قالوه.

وكذلك ما سيأتي من حديث أبي هريرة، وابن مسعود، والعباس، وأبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في تقدير المسافة بين السماء والأرض.

وقد قرَّرُوا -أيضًا- أن السماء مستديرة، وأنها علىٰ مثال الكرة، وأنها محيطة بالأرض من جميع جهاتها، وأن الأرض كُرَوِيَّة الشكل، وهي في وسط كرة السماء، وحكَىٰ غيرُ واحدٍ الإجماعَ علىٰ ذلك، كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

وهذا مع النص علىٰ أن المسافة بين السماء والأرض خمس مئة سنة يدل

(١) سيأتي ذكره قريبًا، ويُعرِّفه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

علىٰ أن الأرض ثابتة لا تفارق موضعها.

قال شَيخُ الإسْلامِ أبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «اعلم أن الأرض قد اتفقوا علىٰ أنها كروية الشكل، وهي في الماء بأكثرها؛ إذ اليابس السُّدُس وزيادة بقليل، والماء -أيضًا- مقبب من كل جانب للأرض.

والماء الذي فوقها بينه وبين السماء كما بيننا وبينها مما يلي رؤوسنا.

وليس تحت وجه الأرض إلا وسطها، ونهاية التحت المركز؛ فلا يكون لنا جهة بينة إلا جهتان: العلو والسفل، وإنما تختلف الجهات باختلاف الإنسان.

فعلو الأرض وجهها من كل جانب، وأسفلها ما تحت وجهها، ونهاية المركز هو الذي يسمىٰ: محط الأثقال.

فمن وجه الأرض والماء من كل وجهة إلىٰ المركز يكون هبوطًا، ومنه إلىٰ وجهها صعودًا.

وإذا كانت سماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها، فالثانية كروية، وكذا الباقي.

والكرسي فوق الأفلاك كلها، والعرش فوق الكرسي.

ونسبة الأفلاك وما فيها بالنسبة إلىٰ الكرسي كحلقة في فلاة، والجملة بالنسبة إلىٰ العرش كحلقة في فلاة.

والأفلاك مستديرة؛ بالكتاب، والسُّنة، والإجماع، فإن لفظ الفلك يدل علىٰ الاستدارة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣]، قال ابن عباس: «في فلكة كفلكة المغزل»(١).

ومنه قولهم: تفلَّك ثدي الجارية إذا استدار»(٢).

وأهْل الهَيْئةِ والحساب متفقون علىٰ ذلك.

وقال الشيخ أيضًا: «السموات مستديرة عند علماء المسلمين، وقد حكىٰ إجماعَ المسلمين علىٰ ذلك غيرُ واحدٍ من العلماء أئمة الإسلام، مثل أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي أحد الأعيان الكبار من الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد، وله نحو أربع مئة مصنَّف.

وحكَىٰ الإجماع علىٰ ذلك الإمام أبو محمد ابن حزم، وأبو الفرج ابن الجوزي.

وروىٰ العلماء ذلك بالأسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين، وذكروا ذلك من كتاب الله، وسُنة رسوله، وبسطوا القول في ذلك بالدلائل السَّمعية، وإن كان قد أقيم علىٰ ذلك -أيضًا- دلائل حسابية.

ولا أعلم في علماء المسلمين المعروفين مَن أنكر ذلك إلَّا فرقة يسيرة من

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٧٩).

(٢) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (٥/ ١٥٠).

أهل الجدَل لمَّا ناظروا المُنَجِّمين؛ فأفسدوا عليهم فاسد مذهبهم في الأحوال والتأثير، خلطوا الكلام معهم بالمناظرة في الحساب، وقالوا على سبيل التجويز: يجوز أن تكون مربَّعة، أو مُسَدَّسة، أو غير ذلك، ولم ينفوا أن تكون مستديرة، لكن جوَّزوا ضد ذلك، وما علمت من قال إنها غير مستديرة، وجزَمَ بذلك إلا مَن لا يُؤْبَهُ له مِن الجُهَّال.

ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **وغيره من السلف:**«في فلكة مثل فلكة المغزل»(١)، وهذا صريح بالاستدارة والدوران.

وأصل ذلك: أن الفلك في اللغة هو الشيء المستدير، يقال: تفلك ثدي الجارية، إذا استدار، ويقال لفلكة المغزل المستديرة: فلكة؛ لاستدارتها.

فقد اتفق أهل التفسير واللغة على أن الفلك هو المستدير.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٥١٣).

والمعرفة لمعاني كتاب الله إنما تؤخذ من هذين الطريقين:

* من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف.

* ومن اللغة التي نـزل القرآن بها، وهي لغة العرب.

وقال تعالىٰ: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [الزُّمَر: ٥]، قالوا: والتكوير التدوير، يقال: كورت العمامة، إذا دورتها.

ويقال للمستدير: كارة، وأصله كوَرة، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا.

ويقال -أيضًا-: كرة، وأصله كورة، وإنما حذفت عين الكلمة كما قيل في ثبة وقلة.

والليل والنهار وسائر أحوال الزمان تابعة للحركة، فإن الزمان مقدار الحركة، والحركة قائمة بالجسم المتحرك، فإذا كان الزمان التابع للحركة التابعة للجسم موصوفًا بالاستدارة؛ كان الجسم أولىٰ بالاستِدَارة»(١).

ثم ذكر الشيخ ما يدل علىٰ استدارة الأفلاك، إلىٰ أن قال: «والحِسُّ مع العقل يدل علىٰ ذلك، فإنه مع تأمُّل دوران الكواكب القريبة من القطب في مدارٍ ضيق حول القطب الشمالي، ثم دوران الكواكب المتوسطة في السماء في مدار

---

(١) «مجموع فتاوىٰ شيح الإسلام» (٦/ ٥٨٧-٥٨٨).

واسع، وكيف يكون في أول الليل وفي آخره؛ يُعْلَم ذلك.

وكذلك من رأىٰ حال الشَّمس وقت طلوعها، واستوائها، وغروبها في الأوقات الثلاثة علىٰ بُعدٍ واحد، وشكل واحدٍ مِمَّن يكون علىٰ ظهر الأرض؛ عَلِمَ أنها تجري في فلك مستدير، وأنه لو كان مربعًا لكانت وقت الاستواء أقرب إلىٰ من تحاذيه منها وقت الطلوع والغروب.

وأمَّا مَن ادَّعىٰ ما يخالف الكتاب والسنة؛ فهو مبطل في ذلك -وإن زعم أن معه دليلًا حسابيًّا»(١).

وقال الشيخ أيضًا: «قد ثبت بالكتاب، والسنة، وإجماع علماء الأمة: أن الأفلاك مستديرة»(٢).

ثم ذكر الأدلة علىٰ ذلك من الكتاب والسنة، وقد تقدم ذكر بعضها في كلامه الذي ذكرنا قبل هذا.

إلىٰ أن قال: «وأما إجماع العلماء، فقال إياس بن معاوية(٣) الإمام

---

(١) «مجموع فتاوىٰ شيح الإسلام» (٦/ ٥٨٩).

(٢) «مجموع فتاوىٰ شيح الإسلام» (٢٥/ ١٩٣).

(٣) هو التابعي، الإمام العلامة، قاضي البصرة، أبو واثلة، إياس بن معاوية، يروي عن: أبيه، وأنس، وابن المسيب، وسعيد بن جبير، ويروي عنه: خالد الحَذَّاء، وشُعبة، وحَمَّاد بن سلمة، وكان يُضرَب به المَثل في الذكاء والدَّهاء، والسُّؤْدُد والعقل، مات كهلًا سنة (١٢١هـ). انظر: «البداية والنهاية» (٩/ ٣٣٤)، و«شذرات الذهب» (١/ ١٦٠)، و«سير

المشهور، قاضي البصرة من التابعين: السماء علىٰ الأرض مثل القبة.

وقال الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي، من أعيان العلماء المشهورين بمعرفة الآثار والتصانيف الكبار، في فنون العلوم الدينية، من الطبقة الثانية من أصحاب أحمد: «لا خلاف بين العلماء أن السماء علىٰ مثال الكرة. قال: وكذلك أجمعوا علىٰ أن الأرض بجميع أجزائها من البر والبحر مثل الكرة.

قال: ويدل عليه أن الشَّمس، والقمر، والكواكب لا يوجد طلوعها وغروبها علىٰ جميع مَن في نواحي الأرض في وقت واحد، بل علىٰ المشرق قبل المغرب.

قال: فكرة الأرض مثبتة في وسط كرة السماء، كالنقطة في الدائرة.

يدل علىٰ ذلك أنَّ جرم كل كوكب يرىٰ في جميع نواحي السماء علىٰ قدر واحد؛ فيدل ذلك علىٰ بعد ما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد؛ فاضطرار أن تكون الأرض وسط السماء». انتهىٰ[١].

وقال ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «البداية والنهاية»: «حكىٰ ابن حزم، وابن المنادي، وأبو الفرج ابن الجوزي، وغير واحد من العلماء الإجماعَ عَلَىٰ

=

أعلام النبلاء» (٥/ ١٥٥).

(١) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (٢٥/ ١٩٤-١٩٦).

أنَّ السَّموات كُرَة مُسْتَدِيرَة»(١).

وقال -أيضًا- في تفسير سورة «الرعد» عند قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، **الآية:** «يُخبِر تعالىٰ عن كمال قدرته، وعظيم سلطانه، أنه الذي بإذنه وأمره رفَعَ السموات بغير عمد، بل بإذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الأرض بُعْدًا، لا تُنال ولا يُدرَك مداها.

فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض، وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها، مرتفعة عليها من كل جانب علىٰ السواء.

وبَعْدَ ما بيَّنها، وبيَّن الأرض من كل ناحية مسيرة خمس مئة عام، وسمكها في نفسها مسيرة خمس مئة عام.

ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوَتْ، وبينهما مِن بُعد المَسِير خمس مئة عام، وسمكها خمس مئة عام.

وهكذا الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة». انتهىٰ(٢).

والمقصود ههنا: ذِكْر الإجماع علَىٰ أنَّ السموات مستديرة، وذكر الإجماع علىٰ أن الأرض مثل الكرة، وبيان أنها مثبتة في وسط كرة السماء، كالنقطة في الدائرة.

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٣٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٢٨-٤٢٩).

وقد تقدم النص علىٰ أنَّ بَيْنَ السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة، وهذا يدل علىٰ أن الأرض قارَّةٌ ثابتة.

ولو كانت الشَّمس هي القارة الثابتة، وكانت الأرض تدور عليها كما زعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لَمَا كان بين الأرض وبين السماء مسيرة خمس مئة سنة من جميع الجهات، بل تكون جهة منها أقرب إلىٰ السماء من الجهة الأخرىٰ، بمسافةٍ بعيدةٍ علَىٰ قدر سعَةِ الفلك الذي تدور فيه علىٰ حَدِّ زعمهم؛ وهذا باطل قطعًا.

ونص حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مع نصوص الأحاديث التي تأتي ترد هذا الزعم الكاذب.

وأيضًا، فلو كانت الشَّمس قارة ساكنة، والأرض تدور عليها؛ لكانت الشَّمس هي المركز، وكانت الأرض أقرب إلىٰ السماء من الشَّمس؛ وهذا باطل قطعًا، لأنَّ الشَّمس في السماء بنص القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الفرقان: ٦١].

وقال تعالىٰ مخبرًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٥، ١٦].

وأما الأرض فبعيدةٌ مِن السماء، كما يدلُّ علىٰ ذلك حديث عبد الله بن

عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي ذكرنا، وما يأتي من حديث أبي هريرة، وابن مسعود، والعباس بن عبد المطلب، وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في تقدير المسافة بين السماء والأرض بخمس مئة سنة.

وإذا كانت الشَّمس في السماء؛ فمُحَالٌ أن تدور الأرض عليها، لأنها لو كانت تدور عليها؛ لكانت تخترق السموات، وهذا لا يقوله عاقل.

الحديث السادس:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** بينما نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ وأصحابُه، إذْ أتَىٰ عليهم سحاب، فقال نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**هَذَا العَنَانُ هَذِهِ رَوَايَا الأَرْضِ يَسُوقُهُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **إِلَىٰ قَوْمٍ لا يَشْكُرُونَهُ وَلَا يَدْعُونَهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَكُمْ؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهَا الرَّقِيعُ، سَقْفٌ مَحْفُوظٌ، وَمَوْجٌ مَكْفُوفٌ**»، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ**». ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ سَمَاءَيْنِ، مَا بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ**» حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ كمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءَيْنِ**»، الحديث رواه الإمام أحمد،

والترمذي، وابن أبي حاتم، والبزار، وقال الترمذي: هذا حديث غريب[(١)].

الرقيع: السماء.

قال ابن الأثير: «فيه أنه قال لسعد بن معاذ، حين حكم في بَنِي قريظة: «**لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ أَرْقِعَةٍ**»[(٢)]، يعني سبع سموات، وكل سماء يقال لها: رقيع، والجمع أرقعة.

وقيل: الرَّقيع اسم سماء الدنيا، فأعطىٰ كل سماء اسمها». انتهىٰ[(٣)].

الحديث السابع:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ما بين كل سماء إلىٰ الأخرىٰ مسيرة خمس مئة عام، وما بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام، وما بين السماء السابعة إلىٰ الكرسي مسيرة خمس مئة عام، وما بين الكرسي إلىٰ الماء مسيرة خمس مئة عام، والعرش علىٰ الماء، والله علىٰ العرش، ويعلم أعمالكم»،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٠) (٨٨١٤)، والترمذي (٣٢٩٨).

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «سيرة ابن هشام» (٣/ ٢٥٩) قال: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثي قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد: «**لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَة**»، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٢٤٤): «هذا إسناد جيد، والأرقعة: جمع رقيع، وهو من أسماء السماء».

(٣) «النهاية في غريب الأثر» (٢/ ٦١٥).

رواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» بإسنادٍ صحيح علىٰ شرط مسلم(١).

ورواه -أيضًا- مِن وجهٍ آخَر، ولفظه: «ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام، وبصر كل سماء خمس مئة -يعني غلظها-»، وذكر بقيته بنحوه(٢).

وقد رواه الطبراني في «الكبير»(٣) بنحو الرواية الأولىٰ، قال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح».

وهذا الحديث له حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال مِن قِبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف.

الحديث الثامن:

عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** كنا جلوسًا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبطحاء، فمرَّتْ سحابة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالَ: قُلْنَا: السَّحَابُ، قَالَ: «**وَالْمُزْنُ**»، قُلْنَا: وَالْمُزْنُ، قَالَ: «**وَالْعَنَانُ**»، قَالَ: فَسَكَتْنَا، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟**» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ**

---

(١) «التوحيد» (١/ ٢٤٢).

(٢) «التوحيد» (٢/ ٨٨٥).

(٣) (٩/ ٢٠٢) (٨٩٨٧).

سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ(١)، **بَيْنَ رُكَبِهِنَّ وَأَظْلَافِهِنَّ**(٢) **كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ**»، رواه الإمام أحمد، والبغوي بهذا اللفظ(٣). وقد رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة في كتاب «التوحيد»(٤).

والحاكم في «مستدركه» عن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: «**مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ؟**» قَالُوا: السَّحَابَ، قَالَ: «**وَالْمُزْنَ**»، قَالُوا: وَالْمُزْنَ، قَالَ: «**وَالْعَنَانَ**»، قَالُوا: وَالْعَنَانَ. قَالَ أَبُو دَاوُد: لَمْ أُتْقِنِ الْعَنَانَ جَيِّدًا. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟**» قَالُوا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «**إِنَّ بُعْدَ مَا**

---

(١) «**أَوْعَال**»: جمع وَعل، وهو العَنْزُ الوحْشِيُّ، ويقال له: تَيْس شَاة الجبَل، والمراد: ملائكة علىٰ صورة الأوعال.

(٢) «**أَظْلَافهنَّ**»: جمع ظِلْف، وهو حافِر البقر والشاة والظبي، وهو كالخُفِّ للبَعِير.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٦) (١٧٧٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢١٠)، وضعفه الأرناؤوط في تحقيقه علىٰ «المسند».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٣٤)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٠٩٣).

بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَو اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ، حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَىٰ ظُهُورِهِم الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ»، هذا لفظ أبي داود(١)، ونحوه رواية الترمذي، وابن ماجه. ورواية ابن خزيمة، والحاكم مختصرة. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وهذه الرواية مخالفة لرواية الإمام أحمد، والبغوي، وما قبلها من حديث عبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وما سيأتي من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مقدار المسافة بين السماء والأرض.

وقد جمع بين الروايتين غير واحد من العلماء، منهم: ابن خزيمة في كتاب «التوحيد»، وابن القيم في «تهذيب السنن»، والذهبي.

قال ابن القيم -رَحِمَه اللهُ تعالَىٰ-: «وأما اختلاف مقدار المسافة في حديثي العباس وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فهو مما يشهد بتصديق كل منهما للآخر، فإن المسافة يختلف تقديرها بحسب اختلاف السير الواقع فيها.

فسير البريد مثلًا يقطع بقدر سير ركاب الإبل سبع مرات، وهذا معلوم

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (١٠١٤).

بالواقع، فما تَسِيرُه الإبل سيرًا قاصدًا في عشرين يومًا يقطعه البريد في ثلاثة، فحيث قدر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسبعين؛ أراد به السَّيْر السَّريع -سير البريد-، وحيث قدر بالخمس مئة؛ أراد به السير الذي يعرفونه سير الإبل والركاب؛ فكل منهما يصدق الآخر، ويشهد بصحته، ولو كان من عند غير الله؛ لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا»[1].

وقال الذهبي: «لا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمس مئة عام هو علىٰ سير القافلة مثلًا، ونيف وسبعون سنة علىٰ سير البريد؛ لأنه يصح أن يقال: بيننا وبين مصر عشرون يومًا؛ باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد». انتهىٰ[2].

الحديث التاسع:

عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالىٰ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ [الواقعة: ٣٤]، قال: «**ارْتِفَاعهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَمَسِيرَة مَا بيْنَهُما خَمْس مِئَة عَام**»، رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب[3].

---

(١) «حاشية ابن القيم علىٰ سنن أبي داود» (١٣/ ٨).

(٢) ذكره صاحب كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص ٥١٧).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٧٥) (١١٧٣٧)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٧٨٦).

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والأحاديث الثلاثة قبله دليلٌ علَىٰ استقرار الأرض وثباتها، وقد تقدم إيضاح ذلك في الكلام علىٰ حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وهو الحديث الخامس؛ فليراجع.

الحديث العاشر:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ العَرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ**»، الحديث رواه البخاري[1].

الحديث الحادي عشر:

عن المقداد بن الأسود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[2] **قال:** سمِعتُ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٤).

(٢) هو الصحابي الجليل، وأحد السابقين الأوَّلين، المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة القضاعي الكِنْدِي، ويقال له: المقداد بن الأسود؛ لأنه رُبِّيَ في حِجر الأسود بن عبد يغوث، وقيل: بل كان عبدًا له أَسْوَد اللون فتبنَّاه، ويقال: بل أصاب دمًا في كِنْدَة، فهرب إلىٰ مكة، وحالف الأسود، شهد بدرًا والمشاهد، وثبَتَ أنه كان يوم بدر فارِسًا، واختلف يومئذ في الزبير، حدَّث عنه: عليٌّ، وابن مسعود، وابن عبَّاسٍ وجماعة، وقيل: كان آدمَ طوالًا، ذا بطن، أشعر الرأس، أعين، مقرون الحاجبين، مَهِيبًا، عاش نحوًا مِن سبعين سنة، مات في سنة (٣٣هـ)، وصلىٰ عليه عثمان بن عفان، وقبره بالبقيع، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. انظر: «التاريخ الكبير» (٨/ ٥٤)، و«أسد الغابة» (٥/ ٢٥١)، و«سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٨٥).

يقول: «**تُدْنَىٰ الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**»، الحديث رواه الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح(١).

الحديث الثاني عشر:

عن أبي أُمَامة(٢) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ قَدْرِ مِيلٍ وَيُزَادُ فِي حَرِّهَا**»، الحديث رواه الإمام أحمد، والطبراني(٣). قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح، غير القاسم بن عبد الرحمن، وقد وثقه غير واحد.

الحديث الثالث عشر:

عن عقبة بن عامر(٤) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال**: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٤).

(٢) الصحابي الجليل، أبو أُمَامة البَاهِلِيُّ، روَىٰ عِلمًا كثيرًا، وحدَّث عن عُمَر، ومعاذ، وأبي عبيدة، ورُوي أنه بايع تحت الشجرة، توفي سنة (٨١هـ)، وقيل: (٨٦هـ). انظر: «طبقات ابن سعد» (٧/ ٤١١)، «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٢٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥٩).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٥٤) (٢٢٢٤٠).

(٤) هو الصحابي الجليل، المقرئ، عقبة بن عامر الجُهَنِي، كان عالمًا مقرئًا، فقيهًا، فصيحًا، فرضيًّا، كان من الصُّفة، ومِن الرُّماة، وكان البَريد إلىٰ عُمَر بفتح دمشق، شهد صفِّين مع معاوية، وشهد فتح مصر، حدَّث عنه: جُبَير بن نُفَير، وسعيد بن المُسَيب، وأبو إدريس الخولاني، وغيرهم كثير، مات (٥٨هـ) وقبره بالمقطم بالقاهرة في مصر.

يقول: «**تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ فَيَعْرَقُ النَّاسُ**»، الحديث رواه الإمام أحمد، والطبراني، وابن حبان[١] في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه»، وقال: صحيح الإسناد ولم يُخَرِّجَاه، ووافقه الذَّهبي في «تلخيصه».

وقال الهيثمي: إسناد الطبراني جيد[٢].

الحديث الرابع عشر:

عن المِقْدَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣] أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَدْنُو الشَّمْسُ**

=

انظر: «طبقات ابن سعد» (٤/ ٣٤٣-٣٤٤)، و«الاستيعاب» (٣/ ١٠٧٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٦٧).

(١) هو العلَّامة، الحافظ، أبو حاتم محمد بن حِبَّان بن أحمد بن معاذ بن معبد بن سَهِيد، أحَد الأئمَّة الرَّحَّالين والمُصَنفين، وُلد (٢٧٠هـ)، روَىٰ عن: أبي يَعْلَىٰ الموصلي، ووَلِيَ القضَاء بسمرقند وغيرها من المدن بخُرَاسَان ثُم ورَد نَيْسَابُور، وروَىٰ عنه: الحاكِم، والهروي وغيرهما، وتوفي (٣٥٤هـ)، انظر: «معجم البلدان» (١/ ٤١٥)، و«الكامل» لابن الأثير (٨/ ٥٦٦)، و«السير» (١٦/ ٩٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٤٧٥) (٤/ ١٥٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٠٤).

(٣) هو الصحابي الجليل، المقدام بن مَعْدِ يَكْرِب بن عمر بن يزيد، أبو كريمة، وقيل: أبو يزيد، حدث عنه: جبير بن نفير، والشعبي، وابنه يحيىٰ بن المقدام، وحفيده صالح بن يحيىٰ، وآخرون، مات سنة (٨٨هـ) وهو ابن إحدىٰ وتسعين سنة، وقبره بحِمص. انظر: «طبقات ابن سعد» (٧/ ٤١٥)، و«التاريخ الكبير» (٧/ ٤٢٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٢٧).

يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ تَكُونَ مِنَ النَّاسِ قَدْر مِيلٍ، وَيُزَادُ فِي حَرِّهَا»، الحديث رواه الطبراني(١).

الحديث الخامس عشر:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُم النَّاظِرُ، وَيُسْمِعُهُم الدَّاعِي وَتَدْنُو مِنْهُم الشَّمْسُ»، الحديث رواه الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي(٢).

الحديث السادس عشر:

عن سلمان(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**تُعطَىٰ الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَرَّ عَشْرِ سِنِينَ، ثُمَّ تُدْنَىٰ مِنْ جَمَاجِمِ النَّاس**»، الحديث رواه الطبراني(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٣) الصحابي الجليل، سلمان الفارسي، قال ابن عساكر: «سلمان ابن الإسلام»، واسمه عندما كان ببلاد فارس «روزبه»، وقيل: «مابه بن يوذخشان»، كان مجوسِّيًّا، دخل الإسلام بعد بحثٍ وتقصٍّ عن الحقيقة، وهُوَ الَّذِي أشار علىٰ النَّبي في غزوة الخندق أنْ يَحْفُروا حول المدينة خندقًا يحميهم مِن قريش، وذلك لِمَا له مِن خبرةٍ ومعرفةٍ بفنون الحرب والقِتَال لدَىٰ الفُرْس، توفي (٣٦هـ)، انظر: «تاريخ بغداد» (١/ ١٦٣)، و«طبقات ابن سعد» (٤/ ٥٤)، و«السير» (١/ ٥٠٥).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦١٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٣٨).

قال المنذري: وإسناده صحيح. **وقال الهيثمي**: رجاله رجال الصحيح(١).

قلت: وله حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال مِن قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف، وهذه الأحاديث السبعة وإن كانت من أخبار يوم القيامة؛ ففيها دليل علىٰ أن الأرض قارَّة ثابتة لا تفارق موضِعَها.

ولو كانت الشَّمس هي القارة الثابتة لكانت الأرض هي التي تدنىٰ منها، وهذا خلاف نصوص هذه الأحاديث، والله أعلم.

فهذا ما يسره الله تعالىٰ من الآيات والأحاديث الدالة علىٰ أن الشَّمس تسير وتدور علىٰ الأرض، وإنَّ الأرض قارَّة ثابتة، بخلاف ما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن أنَّ الشَّمس قارة ثابتة، وأنَّ الأرض تَدُور عليها.

وحقيقة قولهم: تكذيب الآيات والأحاديث التي ذكرنا، وإطراحها بالكلية، وذلك هو الضَّلال البَعِيد.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

وقول أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في الشَّمس والأرض دائر بين افتراء الكذب، والتكذيب بالحق.

---

(١) «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٧١).

ومِن أعجب العجَب أنه قد جعل في زماننا من الفنون المهمة التي تُدرس في كثير من المدارس، ويُعتنىٰ بها في كثير من الأقطار الإسلامية أكثر مما يعتنىٰ بالعلوم الشرعية.

وهذا مصداق ما جاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ**»، الحديث متفق عليه(١).

وفي رواية: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ»(٢).

ولهما عن عبد الله بن مسعود، وأبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا، يَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ**»، الحديث(٣).

وقال الشعبي: «لا تَقُوم الساعة حتىٰ يصير العلم جهلًا والجهل علمًا»، رواه ابن أبي شيبة(٤)، وله حكم المرفوع؛ لأنه إخبار عن أمرٍ غيبيٍّ، ومثله لا

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٦٢)، ومسلم (٢٦٧٢).

(٤) هو أبو جعفر، محمد بن عثمان بن أبي شيبة العَبْسِي، الكوفي، وُلد (٢١٠هـ) أخذ العلم عن كثير مِن العلماء، منهم: والده عثمان بن أبي شيبة، وعَمَّيْهِ أبو بكر والقاسم ابنا أبي شيبة، وعلي بن المَدِيني، ويحيي بن معين، قال عنه الذهبي: كان عالمًا بصيرًا بالحديث =

يقال من قبل الرأي، وإنما يقال: عن توقيف.

ومن أقبح الجهل، وأظلم الظلم: تكذيب الله تعالىٰ، وتكذيب رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعارضة الآيات والأحاديث الصحيحة بأقوال أعداء الله تعالىٰ، وتخَرُّصَاتهم الكاذبة، وآرائهم الفاسدة، وتوَهُّماتهم الخاطئة، وتعَلُّم ذلك وتَعْلِيمه.

وقد أخبَرني غير واحد من الطلبة في بعض المعاهد: أنَّ بعض مُعَلِّمِيهم مِن ذوي الجهل المركَّب صرَّح عنده بما يعتقده مِن استِقْرَار الشَّمس ودوَرَان الأرض حولها.

فقال له الطلبة: ما تقول في قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزُّمَر: ٥]، وأمثال هذه الآيات؟

فقال: القرآن حق.

فقالوا له: يلزمك علىٰ هذا أنْ تعتقد جريان الشَّمس.

فأبَىٰ؛ فطالبوه بالدليل علىٰ قوله؟ فقال: هكذا تلقَّينا مِن عُلمَائنا.

=

والرِّجَال، له تآليف مفيدة، توفي (٢٩٧هـ)، انظر: «الكامل» لابن عَدِي (٤/ ٨٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢١).

فانظر يا مَن نوَّر اللهُ قلبَهُ بنور العلم والإيمان، إلىٰ جواب هذا المخدوع، المغرور بزخارف أعداء الله وشُبهاتهم.

وَاحْمَدِ اللهَ الذي عافاك مِمَّا ابتلىٰ به المنحرفين المُكذِّبين لنصوص القرآن والأحاديث الصحيحة؛ تقليدًا منهم لأعداء الله تعالىٰ مِن الكُفَّار والمُنافِقِين، الذين أَسَّسُوا بُنيانَهُم علىٰ شَفا جرُفٍ هارٍ؛ ينهار بمن تمسك به في نار جهنم.

وما أشبه هذا الذي ذكرنا جوابه، ومَن جرىٰ مجراه بالذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: ٥١، ٥٢]!

فاحذَرُوا -أيها المسلمون- مِن الإصغاءِ إلىٰ دسَائس أعداء الله تعالىٰ، والاغترار بزخارفهم وشُبهاتهم؛ فإنهم لا يألُونكُم خبالًا، وودُّوا لو تكفرون بما جاء به نبيُّكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكتاب والحكمة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾

[البقرة: ١٠٩].

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ

يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠، ١٠١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩].

ففي هذه الآيات أبلغ تحذيرٍ للمُسلِمين من طاعة الكفار والمنافقين، وقَبُول آرائهم وظنُونهم، وتخرُّصاتهم؛ فإنهم لا يَألُون المسلمين خَبالًا، ووَدُّوا ما عنتهم، وأضلهم عن الصراط السَّوِيِّ والهُدَىٰ.

وقد جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمسلمين في كتابه، وسُنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفايةً وغُنيةً عمَّا سِوَاهُما من أقوال الناس، وآرائهم، وتخرُّصَاتهم.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

أَعۡمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧].

قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَن تعلَّم كتابَ الله، ثُم اتَّبع ما فيه هَدَاه اللهُ مِن الضَّلالة في الدُّنيا، ووَقاهُ يوم القِيامَةِ سُوء الحِسَاب»، رواه رَزين[١][٢].

وفي روايةٍ قال: «من اقتدىٰ بكتاب الله لا يضل في الدنيا ولا يشقىٰ في الآخرة ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣]»، وقد ذكره البغوي في «تفسيره» بنحوه[٣].

وروىٰ الإمام أحمد، ومسلم عن زيد بن أرقم[٤] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام

---

(١) هو المُحدِّث الشهير، الإمام، رزين بن معاوية بن عمار، أبو الحسن العبدري، الأندلسي، السرقسطي، صاحب كتاب «تجريد الصحاح»، جاوَر بمكة دهرًا، وسمع بها «صحيح البخاري» من عيسىٰ بن أبي ذر، و«صحيح مسلم»، حدَّثَ عنه: قاضي الحرَم أبو المظفر محمد بن علي الطبري، والحافظ أبو موسىٰ المديني، والحافظ ابن عساكر، وكان إمام المالكِيِّين بالحرَم، توفي بمكة (٥٣٥هـ).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٤).

(٣) «تفسير البغوي» (٥/ ٣٠٠).

(٤) هو الصحابي الجليل، المُصدَّق مِن قِبَل الله تعالىٰ، زَيْد بن أرْقَم بن زيد بن قيس بن النعمان، كان يتيمًا في حِجْر عبد الله بن روَاحة، نزل الكوفة وابتَنَىٰ دارًا بالكوفة في كِنْدة. غزَا مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبع عشرة غزوة، وهو الذي رفع إلىٰ الرَّسُول =

رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يومًا فِينَا خطِيبًا بماء يُدْعَىٰ خُمًّا، بين مكة والمدينة، فحَمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، ووعظ وذكَّر، ثم قال: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**» فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»(١).

وفي روايةٍ لمُسلِم أنَّ رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ، مَن اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ**»(٢).

وفي روايةٍ له أخرىٰ، أن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا: كِتَابُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَن اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ**»(٣).

=

قول ابنِ أبيٍّ بن سلول قوله: «لئن رجَعْنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»؛ فأكْذبَه عبد الله بن أُبيٍّ وحلَفَ أنَّ زيد بن أرقم كاذب!؛ فأنزل اللهُ تصديق زيد بن أرقم، توفي (٦٨)، وقيل: (٦٦هـ)، انظر: «أسد الغابة» (٢/ ٢١٩)، و«تهذيب الكمال» (ص٤٥٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٦).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣٦٦) (١٩٢٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤٤٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (٤٤٢٥).

ورواه الترمذي مختصرًا، ولفظه: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي؛ أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِن الْآخَرِ: كِتَابُ اللهِ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي**»، الحديث. قال الترمذي: حديث حسن غريب[1].

وروىٰ مسلم -أيضًا-، وأبو داود، وابن ماجه، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حديثه الطويل في صفة حج النبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنَّ رسولَ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في خطبته يوم عرفة: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ**»، ورواه الترمذي بنحوه مختصرًا[2].

وروىٰ مالكٌ في «الموطأ» بلاغًا، أنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِه**»[3].

وروىٰ الحاكم في «مستدركه»، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطَبَ النَّاسَ في حجة الوداع - فذكر الحديث، وفيه أنه قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**»، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٨٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٩٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧١)، وأبو داود (١٩٠٥).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٣)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (١٨٦).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣١٨).

وروىٰ الحاكم -أيضًا- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إِنِّي قَدْ تركْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَنْ يَتفرَّقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ»**[١].

وروىٰ الطبراني في «الكبير»، وابن حِبَّان في «صحيحه»، عن أبي شريح الخزاعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرفُهُ بِيَدِ اللهِ وطَرفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فتَمَسَّكُوا بِهِ؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تضلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أبدًا»**. قال المنذري: إسناد الطبراني جيد. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح[٢].

وروىٰ الطبراني -أيضًا- في «الكبير» و«الصغير»، والبزَّار من حديث جبير بن مطعم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[٣] عن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نحوه[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣١٩).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٦٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٢٢)، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (١٢٢).

(٣) هو الصحابي الجليل، جُبَير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصِي، مِن الطُّلقَاء الذين حَسُنَ إسلَامهم، وقد قَدِمَ المدينة في فِدَاء الأسَارَىٰ مِن قومه، وكان موصوفًا بالحِلْم، ونُبْل الرَّأي كأبيه الَّذِي قام في نقض صحيفة القطيعة، توفي (٥٩هـ)، انظر: «أسد الغابة» (١/ ٣٢٣)، «البداية والنهاية» (٨/ ٤٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٩٥).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٥٤٠).

وروىٰ أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن مردويه(١) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِنَّ هَذَا القُرآن هُو حَبْلُ اللهِ المَتِين، وَهُو النُّور المُبِين، وَهُو الشِّفاء النَّافِع، عِصْمَة لِمَن تمسَّك به، ونجَاة لِمَن اتَّبعَه**»، ورواه الطبراني، والبغوي بنحوه موقوفًا(٢).

وروىٰ الترمذي عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** سمِعتُ رسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أَلَا إِنَّهَا سَتكُونُ فِتْنَةٌ**». فَقُلْتُ: مَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**كِتَابُ اللهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَن ابْتَغَىٰ الهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ**»، الحديث، قال الترمذي: غريب(٣).

وقد رواه الإمام أحمد بإسنادٍ ضعيف، ولفظه: «قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ أُمَّتَكَ مُخْتَلِفَةٌ**

---

(١) هو الحافظ الكبير أحمد بن موسىٰ ابن مردويه بن فورك بن موسىٰ بن جعفر، الأصبهاني، ولد (٣٢٣هـ)، وكان ثبتًا، متقنًا واسع الصيت، وكان يُملي من حفظه بعدما عمِي، حدَّث عن أبيه، وأبي عمرو عبد الوهاب، وأبي القاسم عبد الرحمن ابنا الحافظ ابن منده، توفي (٤١٠هـ)، انظر: «تاريخ أصبهان» (١/ ١٦٨)، و«تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٥٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٠٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٦٦٥)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٠٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» (١/ ٣٤٩).

بَعْدَكَ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَأَيْنَ الْمَخْرَجُ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: فَقَالَ: كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ، بِهِ يَقْصِمُ اللهُ كُلَّ جَبَّارٍ، مَن اعْتَصَمَ بِهِ نَجَا، وَمَنْ تَرَكَهُ هَلَكَ -مَرَّتَيْنِ-، قَوْلٌ فَصْلٌ وَلَيْسَ بِالْهَزْلِ، لا تَخْتَلِقُهُ الأَلْسُنُ، وَلا تَفْنَىٰ أَعَاجِيبُهُ، فِيهِ نَبأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَفَصْلُ مَا بَيْنَكُمْ، وَخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ»[1].

وروىٰ الطبراني من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحو رواية الترمذي، وإسناده ضعيف.

وروىٰ ابن ماجه عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَايْمُ اللهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**»، قال أبو الدرداء: صدق واللهِ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تركنا واللهِ علىٰ مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء[2].

وروىٰ الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم في «مستدركه» عن العرباض بن سارية[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٩١) (٧٠٤)، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٧٧٦): ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥)، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٥).

(٣) هو الصحابي الجليل، العِرْبَاض بن سارية السُّلَمِي، مِن أعيان أهل الصُّفَّة، سكَن حِمْص، وهو أحد البكَّائين الذين ورد فيهم قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا =

لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»، ورواه ابن أبي عاصم[١] في كتاب «السنة» بنحوه، قال المنذري: وإسناده حسن[٢].

وإذا عُلِم ما ذكرنا من الآيات والأحاديث، في الحث علىٰ الاعتصام بكتاب الله تعالىٰ، وسُنة نبيه ﷺ وما فيها من النص علىٰ أنَّ مَن تمسَّكَ بهما كان علىٰ الهدىٰ، ومَن تركهما كان علىٰ الضَّلالة.

فماذا يقال في الذين يُعرِضُونَ عن أدلة الكتاب والسنة علىٰ جريان الشَّمس وثبات الأرض واستقرارها، ويتمسَّكون بأقوال أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة من فلاسفة الإفرنج، ومَن يُقَلِّدهُم، ويَحذُو حذوَهم من ضعفاء البصيرة، ويقدمونها علىٰ نصوص الكتاب والسنة؟

الجواب أن يقال: لا شك أن هذا ضلال عن الصراط المستقيم، وقد نَهىٰ

= يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾، توفي (٧٥هـ)، انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٢٢).

(١) ابن أبي عاصم، الحافظ الكبير، الإمام البارع، المتبع للآثار، قَدِمَ أصبهان علىٰ قضائها، ونشر بها علمه، وكان من الصيانة والعفة بمحل عجيب، ونُسبت إليه الظاهرية وفي هذا نظر، وُلد (٢٠٦هـ)، وكان من شيوخه: أبو الوليد الطيالسي، وهشام بن عمار، وأبو بكر بن أبي شيبة، وولي القضاء بأصبهان ثلاث عشرة سنة، بعد صالح بن أحمد، ثم توفي فصلىٰ عليه ابنه الحكم. انظر: «ذكر أخبار أصبهان» (١/ ١٠٠-١٠١)، و«تاريخ ابن عساكر» (٢/ ٢٥-٢٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٣٠).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٢)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٤١).

النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سؤال أهل الكتاب، كما سيأتي إيراده إن شاء الله تعالىٰ.

وغضب -صلوَاتُ اللهِ وسلَامُه عليه- علىٰ عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ غضبًا شديدًا لمَّا رأىٰ معَهُ كِتَابًا استَنْسَخه من بعض أهل الكتاب، وكان فيه جوامع من التوراة.

وكان عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في خِلَافته يعاقب مَن يَكتب مما عند أهل الكتاب أشد العقوبة.

قال الإمام أحمد -رَحِمَه اللهُ تعالَىٰ-: حدَّثنا سُرَيج بن النعمان أخبرنا هُشَيم أنبأنا مُجَالِد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أتىٰ النبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكِتَابٍ أصابَهُ مِن بعض أهل الكتاب، فقرَأهُ علَىٰ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فغضِبَ، وقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُونَهُ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُونَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَىٰ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**». فيه مجالد، ضعَّفه ابن معين[1]،

---

(١) هو الإمام الحافظ الجهبذ، شيخ المُحَدِّثين، أبو زكريا، يحيىٰ بن معين بن عون بن زياد بن بسطام، ولد سنة (١٥٨هـ)، وسمع من: ابن المبارك، وإسماعيل بن عياش، وسفيان بن عيينة، وخلق كثير بالعراق والحجاز والجزيرة والشام ومصر، وروىٰ عنه من أقرانه: أحمد بن حنبل، وهناد بن السري، ومن تلامذته: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والدارمي، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وتوفي سنة (٢٣٣هـ). انظر: «طبقات ابن سعد» (٧/ ٣٥٤)، و«التاريخ الكبير» (٨/ ٣٠٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٧١).

ويحيىٰ بن سعيد(١)، والدارقطني(٢)، وغيرهم، ووثَّقه النسائي وغيره، وروىٰ له مسلم مقرونًا بغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح(٣).

وروىٰ البزار عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** نسخ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتابًا مِن التوراة بالعربية، فجاء به إلىٰ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعل يقرأ ووجْهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتغيَّر، فقال رجُلٌ مِن الأنصار: ويْحَكَ يا ابن الخطاب! ألا ترىٰ وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَسْأَلُوا أَهْلَ**

---

(١) هو الإمام الكبير، أمير المؤمنين في الحديث، أبو سعيد التميمي مولاهم البصري، الأحول، القَطَّان، يحيىٰ بن سعيد بن فروخ، وُلِد في أول سنة (١٢٠هـ)، وسمع هشام بن عروة، وعطاء بن السائب، والأعمش، وابن عون، وشعبة، والثوري وخَلقًا، ورَوَىٰ عنه: سفيان، وشعبة، وابن مهدي، ومسدد، وعبيد الله القواريري، وابن أبي شيبة، ويحيىٰ، وأحمد، وإسحاق وغيرهم، قال يحيىٰ بن معين: أقام يحيىٰ بن سعيد عشرين سنة، يختم القرآن كل ليلة، مات (١٩٨هـ). انظر: «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٣٥)، و«التاريخ الكبير» (٨/ ٢٧٦»، و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٧٥).

(٢) هو الإمام، الحافظ، المُجوِّد، علَم الجهابذة، أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد، المعروف بالدارقطني، نسبةً إلىٰ «دار القطن» ببغداد، وُلِد (٣٠٦هـ)، حدَّثَ عنه: الحاكم، والفقيه أبو حامد الإسفراييني، وأبو نعيم الأصبهاني، انتهىٰ إليه علو الأثر، والمعرفة بعلل الحديث، وأسماء الرجال، مع الصِّدْق والثِّقَة، توفي (٣٨٥هـ)، انظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣٤)، و«تذكرة الحفاظ» (٣/ ٩٩١)، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٤٤٩).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٨٧) (١٥١٩٥)، وحسنه الألباني في «ظلال الجنة» (٥٠).

الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، وَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ أو تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، وَاللهِ لَوْ كَانَ مُوسَىٰ حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي». فيه جابر الجُعْفِي، تركه يحيىٰ القطان، وقال النسائي: متروك. ووثقه شعبة(١) وسفيان الثوري(٢)، وقال وكيع(٣): ما شككتم في شيء فلا

---

(١) هو الإمام الحافظ أبو بسطام شعبة بن الحَجَّاج بن الورد، ولد (٨٠) أو (٨٢هـ)، كان مِن أوْعِيَة العلم، لا يَتقَدَّمه أحَدٌ في الحديث في زمانه، وهو مِن نُظَراء الأوْزَاعِي، والثوري في الكَثْرة، رأىٰ الحسَن البصري وأَخَذ عنه، وحدَّث عن: قتادة بن دعامة، ويحيىٰ بن أبي كثير، وأيوب السختياني، روىٰ عنه: أيوب السختياني، والأعمش، وروح بن عبادة، وغيرهم، توفي (١٦٠هـ)، انظر: «تاريخ بغداد» (٩/ ٢٥٥)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ٤٦٩)، و«السير» (٧/ ٢٠٢).

(٢) هو الإمام الزاهد العابد، المحدِّث، المفسر، الفقيه، من تابعي التابعين، سفيان الثوري، واسمه: سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع، ولد سنة (٩٧هـ)، وتوفي (١٦١هـ). انظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٥٨)، و«تاريخ بغداد» (٩/ ١٥١-١٧٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٢٩).

(٣) الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة، سفيان، بن الحارث، بن عمرو، بن عبيد، بن رؤاس، سمع من: هشام بن عروة، والأعمش، وابن عون، وابن جريج، والأوزاعي، وحدَّث عنه: سفيان الثوري أحد شيوخه، وعبد الله بن المبارك، وابن مهدي، والحُمَيدي، ومُسَدَّد، وأحمد، وابن معين، وإسحاق، ولما مات الثوريُّ جلس وكيع موضعه، وكان صوَّامًا قوَّامًا، توفي (١٩٧هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٣٩٤)، و«تاريخ بغداد» (١٣/ ٤٦٦-٤٨١)، و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٤٠).

تشكوا أن جابر الجعفي ثقة[١].

وروىٰ الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء عمر بجوامع مِن التوراة إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، جوامع من التوراة أخذتها مِن أخٍ لي من بني زريق. فتغير وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال عبد الله بن زيد[٢] الذي أُرِيَ الأذان: أمسَخَ اللهُ عقلك، ألا ترىٰ الذي بوجْهِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فقال عمر: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وبالقرآن إمامًا. فسُرِّي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ مُوسَىٰ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا، أَنْتُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ»**، قال الهيثمي: فيه أبو عامر القاسم بن محمد الأسدي، ولم أر مَن ترجمَهُ، وبقية رجاله موثقون[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٣٨) (١٤٦٧٢)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٢١٣٥)، وضعفه الأرناؤوط في تعليقه علىٰ «مسند أحمد».

(٢) هو الصحابي الجليل، عبد الله بن زيد الأنصاري، واسمه: عبد الله بن زيد بن عبد ربه ثعلبة، الأنصاري الخزرجي المدني البدري، من سادة الصحابة، شهد العقبة وبدرًا، وهو الذي أُرِيَ الأذان في السنة الأولىٰ من الهجرة، حدَّث عنه: سعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ولم يلقه، ومحمد بن عبد الله ولده، وتوفي (٣٢هـ). انظر: «أسد الغابة» (٣/ ٢٤٧)، و«الإصابة» (٦/ ٩٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٧٥).

(٣) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٤) وعزاه إلىٰ الطبراني في «الكبير».

وروىٰ الإمام أحمد، والطبراني عن عبد الله بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسولَ الله، إنِّي مرَرْتُ بأخٍ لي مِن بني قريظة، فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغيَّر وجهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال عبد الله -يعني ابن ثابت: فقلت: أَلَا ترَىٰ ما بِوَجْهِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال عمر: رضِينَا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولًا. قال: فسُري عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَىٰ ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ**».

قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، إلَّا أن فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف[1].

قلت: قد تقدم عن شعبة، والثوري، ووكيع أنهم وثقوه.

وروىٰ البزار عن عبد الله بن ثابت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نسَخَ صحيفةً مِن التوراة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ**». قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا جابر الجعفي[2].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٧٠) (١٥٩٠٣)، وضعفه الأرناؤوط في تعليقه علىٰ «المسند».

(٢) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨٠٧)، وعزاه إلىٰ «مسند البزار».

وروىٰ الحافظ أبو يعلىٰ المَوْصِلي عن خالد بن عرفطة قال: «كنت جالسًا عند عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إذْ أُتِيَ برَجُلٍ مِن عبد القيس مسكنه بالسوس، فقال له عُمَر: أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم. قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم. فضربه بقناة معه. قال: فقال الرجل: مالي يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: اجلس. فجلس؛ فقرأ عليه: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: ١ - ٣]، فقرأها عليه ثلاثًا، وضربه ثلاثًا.

فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال؟ قال: مُرْنِي بأمرك أتبعه. قال: انطلق فامْحُه بالحميم والصُّوف الأبيض، ثم لا تقرأه، ولا تُقْرِئْهُ أحدًا من الناس، فلئن بلغَنِي عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدًا من الناس؛ لأنْهكَنَّكَ عقوبة. ثم قال: اجلس. فجلس بين يديه، فقال: انطلقت، فانتسخت كتابًا من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم، فقال لي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا هَذَا فِي يَدِكَ يَا عُمَر؟**» قلت: يا رسول الله، كتاب نسخته؛ لنزداد به علمًا إلىٰ علمنا. فغضب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتىٰ احمرت وجنتاه، ثم نُودِيَ بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغضِبَ نبيُّكم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ السلاحَ السلاح. فجاءوا حتىٰ أحدقوا بمنبر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِم وخَوَاتِيمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِي اخْتِصَارًا، ولقد**

أَتَيْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، فَلَا تَهوكُوا وَلَا يَغُرنكُم المُتهوِّكُون».

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **فقمت، فقلت**: رضِيتُ بالله ربًّا، وبالإسْلَام دِينًا، وبِكَ رسُولًا، ثم نـزل رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

قال الهيثمي: فيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، ضعفه أحمد وجماعة.

قلت: وقد روَىٰ له شاهد من وجهٍ آخَر عن سليم بن عامر: «أن جبير بن نفير(٢) حدَّثَهُم أنَّ رَجُلين تحَابَّا في الله بحِمْص في خلافة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكانا قد اكتتبا من اليهود ملء صُفْنَيْنِ، فأخذاهما معهما يستفتيان فيهما أمير المؤمنين، وكان أرسل إليهما عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيمن أرسل إليه من أهل حمص، فقالا يا أمير المؤمنين، إنَّا بأرض أهل الكتابين، وإنا نسمع منهم كلَامًا تقشعر منه جلودنا، أفنأخذ منهم، أم نترك؟ قال: لعلَّكُما اكتتبتما منه

---

(١) أخرجه الضياء في «الأحاديث المختارة» (١/ ٢٤-٢٥) من طريق أبي يعلىٰ الموصلي.

(٢) هو التابعي الكبير، الإمام جُبَير بن نُفَير بن مالك بن عامر، أبو عبد الرحمن الحضرمي الحِمْصِي، أدرك حياة النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحدَّث عن أبي بكر -فيحتمل أنه لقِيَه- وعن عُمَر والمِقْداد، وأبي ذر، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت، وعائشة، وأبي هريرة، وعِدَّة، رَوَىٰ عنه: ولده عبد الرحمن، ومكحول، وشرحبيل بن مسلم، وآخرون، مات سنة (٧٥هـ)، وقيل: (٨٠هـ). انظر: «تاريخ البخاريِّ» (٢/ ٢٢٣)، و«أسد الغابة» (١/ ٢٧٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٧٦).

شيئًا، فقالَا: لا. قال: سأحدثكما إنِّي انطلقت في حياة النبِيِّ ﷺ حتَّىٰ أتيت خيبر، فوجدت يهوديًّا يقول قولًا أعجبني. فقلت: هل أنتَ مُكْتِبِي مِمَّا تقول؟ قال: نعم. قال: فأتيته بأدِيم ثنية أو جذعة، فأخذ يملي علَيَّ حتىٰ كتبت في الأكْرُع(١)؛ رغبةً في قوله.

فلما رجعتُ قلت: يا رسول الله، إني لقيت يهوديًّا يقول قولًا لم أسمع مثله بعدك. قال: لعلك كتبت منه. قلت: نعم. قال: ائتني به. فانطلقت أرغب عن المشي رجاء أن أكون جئت نبي الله ﷺ ببعض ما يحبه، فلمَّا أتيت به، قال: اجلس فاقرأ علَيَّ. فقرأت ساعة، ثم نظرت إلىٰ وجهه، فإذا هو يتلوَّن، فتحيَّرت مِن الفَرَق، فما استطعت أجيز منه حرفًا.

فلما رأىٰ الذي بي؛ رفعه، ثم جعل يتتبعه رسمًا رسمًا، فيمحوه بريقه، وهو يقول: «**لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ هَوَّكُوا وَتَهَوَّكُوا**»، حتىٰ محا آخره حرفًا.

قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فلو أعلم أنكما اكتتبتما منهم شيئًا جعلتكما نكالًا لهذه الأمة.

قالَا: واللهِ لا نكتب منهم شيئًا أبدًا، فخرجَا بصُفْنَيهما، فحفرَا لهما من الأرض، فلم يألُوَا أن يُعَمِّقا ودفنَاهما؛ فكان آخر العهد منهما»، رواه

---

(١) «**الأكرُع**»: جَمْع، وهي مقدَّم الساق من البقر أو الغنم.

الإسماعيلي، والطبراني، وأبو نعيم في «الحلية» من طريقه(١).

قال الجوهري: «**الصُّفْن**: خريطة الراعي، فيها طعامه وزناده»(٢).

وكذا ذكر ابن منظور في «لسان العرب» عن أبي عمرو أنه قال: «الصُّفْن، بالضم: خريطة تكون للراعي فيها طعامه وزناده وما يحتاج إليه».

قال ابن منظور: «**وقيل**: هي السُّفْرَة التي تُجْمَع بالخيط، وتضم صادها وتفتح. ونُقِل عن أبي عبيد أنه قال: سمعت مَن يقول الصَّفْن بفتح الصاد، والصَّفْنة -أيضًا- بالتأنيث.

وعن ابن الأعرابي: الصَّفنة، بفتح الصاد: هي السفرة التي تجمع بالخيط، ومنه يقال: صَفَن ثيابه في سرجه إذا جمعها. وقال أبو عبيد: الصفنة كالعيبة، يكون فيها متاع الرجل وأداته، فإذا طرحت الهاء، ضممت الصاد وقلت: صُفن»(٣).

وأما التهوُّك، فقال الجوهري: هو التحير.

قال: «والتهوك -أيضًا- مثل التهور، وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة»(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٨٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٣٥).

(٢) «الصحاح» (٦/ ٢١٥٢).

(٣) «لسان العرب» (١٣/ ٢٤٧) بتصرف.

(٤) «الصحاح» (٤/ ١٦١٧).

وقال ابن الأثير: «التهوك كالتهور، وهو الوقوع في الأمر بغير رَوِيَّة، والمتهوِّك الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحيُّر»(١).

وقال ابن منظور: «**التهوُّك**: السقوط في هُوَّة الرَّدَىٰ، وإنه لمتهوِّك لِمَا هو فيه؛ أي: يركب الذُّنوب والخطايا، والمتهوك الذي يقع في كل أمر»(٢).

وروىٰ الإسماعيلي، وابن مردويه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان ناسٌ مِن أصحاب النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكتبون من التوراة، فذكروا ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إِنَّ أَحْمَقَ الْحَمَقِ وَأَضَلَّ الضَّلَالَةِ قَوْمٌ رَغِبُوا عمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُم إِلَيْهِمْ إِلَىٰ نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ وَإِلَىٰ أُمَّةٍ غَيْرِ أُمَّتِهِمْ**»، ثم أنزل الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١](٣).

وإذا كان هذا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذين كتبوا جوامع من التوراة، مع ما ذكرنا عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغضب علىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا رأىٰ معه الكتاب الذي استنسخه من بعض أهل الكتاب ليزداد به علمًا؛ فكيف لو رأىٰ الذين يرغبون عن نصوص الكتاب والسُّنة فيما يتعلق بجرَيَان الشَّمس، وفيما يتعلق

---

(١) «النهاية في غريب الأثر» (٥/ ٦٦٠).

(٢) «لسان العرب» (١٠/ ٥٠٨) بتصرف.

(٣) أخرجه الإسماعيلي في «المعجم» (١٢٨/ ١)، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٥٢- ٢٥٣)، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥٨٦٥): ضعيف جدًا.

بغيرها مِن الأجرام العلوية، وبالسموات والأرض، ويُقدِّمُون عليها أقوال الفلَاسفة الدَّهرِيِّين، مثل: كوبرنيك البولوني: وهرشل الإنكليزي: وأتباعهما من أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، الذين لا يعتمدون في أقوالهم علىٰ كتابٍ مِن الكتب المنزَّلة من السماء، وإنما يعتمدون علىٰ أرصادهم، وآرائهم، وتخرصاتهم التي ما أنـزل الله بها من سلطان.

وما أكثرَ الذين يميلون إلىٰ أقوالهم الباطلة في زماننا، ويتلقونها بالقبول والتسليم، ويرَوْنَ أنها هي العلم الصَّحيح، وما خالفها فهو عندهم مردود، ولو كان من نصوص الكتاب والسُّنة، وكأنهم يرَوْنَ أنَّ القرآن إنَّما أُنزِل لمجرَّد التِّلاوة، لا للعمل به واعتقاد ما جاء فيه.

ولو أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأىٰ أمثال هؤلاء؛ لَمَا كان يكتفي في عقوبتهم بالضرب فقط، بل كان يقتلهم، كما قتل الذي لم يرض بالتحاكم إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومِن أين لنا الآن مثل عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي كان لا تأخذه في الله لومة لائم.

وخُلاصة القول: أنه يَجِب علىٰ المُسلِم أن يتمسَّك بكتاب الله تعالىٰ، وسُنة نبِيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويعض عليهما بالنَّواجذ، ويقدِّمهما علىٰ ما سِوَاهُما ولا يقدم عليهما شيئًا البتة.

وأن يكتفي بهما وبما عند المسلمين من العلوم النافعة المستفادة

منهما، ومن لم يكتف بكتاب الله تعالىٰ، وسُنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما عند المسلمين من العلوم المستفادة منهما، بل ذهب يطلب غير ذلك من أقوال الكفار والمنافقين، وآرائهم، وتخرُّصَاتهم التي ما أنزل الله بها مِن سلطان؛ فأبعده الله وأسْحقَه.

* * *

فصل
في ذكر الإجماع على وقوف الأرض وسكونها

ذكر الشيخ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفراييني التميمي[1] -وكان في آخر القرن الرابع من الهجرة وأول القرن الخامس- في آخِر كتابه «الفرق بين الفِرق» جُملة مما أجمع عليه أهل السنة، قال فيها:

«وأجمعوا علىٰ وقوف الأرض وسكونها، وأن حركتها إنما تكون بعارض يعرض لها، مِن زلزلة ونحوها؛ خلاف قول مَن زعم مِن الدَّهرِيَّة أن الأرض

---

(١) هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، صاحب «الفرق بين الفرق»، الفقيه الأصولي، متكلم، ومن أعيان الشافعية، من شيوخه: أبو إسحاق الإسفراييني، وأبو بكر الإسماعيلي، وغيرهما، أخذ عنه: البيهقي، والفارمذي شيخ الصوفية، والقشيري النيسابوري، مات سنة (٤٢٩هـ) بإسفرايين. انظر: «طبقات الشافعية» (٥/ ١٣٧-١٣٨).

تَهوِي أبدًا، لأنَّ الخفيف لا يلحق ما هو أثقل منه في انحِدَاره.

وأجمَعُوا علىٰ أن الأرض متناهية الأطراف من الجهات كلها، وكذلك السماء متناهية الأقطار من الجهات السِّت؛ خِلَاف قول مَن زعم مِن الدهرية أنه لا نهاية للأرض من أسفل، ولا من اليمين واليسار، ولا مِن خلف ولا مِن أمام، وإنما نهايتها مِن الجهة التي تلاقي الهَواء مِن فوقها.

وزعَمُوا أنَّ السَّماء -أيضًا- مُتناهية مِن تحتها، ولا نهاية لها مِن خمس جهات سوىٰ جهة السِّفَل.

وبطلان قولهم ظاهر مِن جهة عَوْدِ الشَّمس إلىٰ مشرقها كل يوم، وقطعها جرم السماء، وما فوق الأرض في يوم وليلة.

ولا يصح قطع ما لا نهاية لها من المسافة في الأمكنة في زمان متناه». انتهىٰ(١).

وقال القرطبي في «تفسيره» عند قول الله تعالىٰ في سورة الرعد: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗا﴾ [الرعد: ٣]**، الآية ما نصه:**

«والذي عليه المسلمون وأهل الكتاب القول بوقوف الأرض وسكونها ومدها، وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها». انتهىٰ(٢).

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٣١٨).

(٢) «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٨٠).

وهذا صريح في حكاية الإجماع مِن المسلمين وأهل الكتاب علىٰ ثبات الأرض واستقرارها.

وقد قرَّر ابن القيم -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في كتابه «**مفتاح دار السعادة**» أن الأرض واقفة ساكنة، وقرَّر ذلك غيره من أكابر العلماء.

ولا أعلم عن أحد مِن سلف الأمة وأئمتها خلافًا في ذلك، وإنما خالف في ذلك أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة من فلاسفة الإفرنج مثل: كوبرنيك البولوني، وهرشل الإنكليزي، وأتباعهم، ومَن نحا نحوهم مِن العَصْرِيِّين.

فهؤلاء هم المُخالفون في ثبوت الأرض واستقرارها مِن المتأخِّرين.

وأما المخالفون في ذلك مِن المُتقدِّمين فهُم الدَّهرية، وفيثاغورس وأتباعه مِن اليونان.

ولا عبرة بخلاف هؤلاء الذين أشرنا إليهم من المتقدمين والمتأخرين.

ولا ينبغي للمسلم أن يغتر بأقوال أعداء الله، ولا يصغي إلىٰ تخرُّصَاتهم وظنُونهم الكاذبة، ولا يعتَدُّ بأقوالهم الفاسدة، وتوهُّمَاتهم الخاطئة.

ولا ينبغي -أيضًا- أن يصغي إلىٰ أقوال الذين يقلدونهم، ويحذون حذوهم من المسلمين.

* * *

فصل
في ذكر أدلة عقلية على ثبات الأرض واستقرارها

فمن ذلك: ما هو مُشاهَد مِن سَيْر السَّحاب المسخَّر بين السماء والأرض، فإنا نراه عندنا في البلاد النجدية في فصلي الشتاء والربيع، وأكثر فصل الخريف يأتي في الغالب من المغرب، ويذهب نحو المشرق.

وفي بعض الأحيان يأتي من جهة الشمال، ويذهب نحو الجنوب، ويأتي - أيضًا- من جهة الجنوب، ويذهب نحو الشمال، وربما أتىٰ من ناحية المشرق وذهب نحو المغرب.

وفي فصل الصيف، وهو الذي تسميه العامة «القيظ» ليس له اتجاه معتاد، بل يأتي من المشرق، ومن المغرب، ومن الجنوب، ومن الشمال.

وفي نواحي الحجاز يأتي في الغالب من جهة القطب الجنوبي، ويذهب نحو القطب الشمالي، وربما أتىٰ من جهة المشرق، وذهب نحو المغرب وبالعكس، وربما أتىٰ من جهة الجنوب وذهب نحو الشمال، وبالعكس.

وسَيْره مِن جميع الجهات متقارب لا يختلف بعضه عن بعض بالسرعة، إلا بسبب ريح شديدة تَسُوقه، ولو كانت الأرض تسير كما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة لَاخْتَلَفَ سير السحاب بسبب سير الأرض، ولكان اتجاهه دائمًا إلىٰ

جهة المغرب؛ بعكس سير الأرض، ولم يذهب إلىٰ جهة المشرق أبدًا؛ لأن الأرض تفوته بسرعة سيرها.

فقد زعم المتأخرون من أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أنها تسير في الثانية أكثر من ثلاثين كيلومترًا، وأنها تقطع في اليوم الواحد أكثر من خمس مئة ألف فَرْسَخ.

ولما كان سير السحاب من جميع الجهات مقاربًا بعضه بعضًا؛ **دلَّ ذلك** علىٰ أن الأرض قارَّة ساكنة.

ومن ذلك: ما يسره الله تعالىٰ في زماننا من وجود المراكب الجوية التي تخترق الهواء في جميع أرجاء الأرض، فإنَّ سيرها مِن المشرق إلىٰ المغرب مثل سيرها من المغرب إلىٰ المشرق، وكذلك سيرها من الجنوب إلىٰ الشمال مثل سيرها من الشمال إلىٰ الجنوب، كل ذلك لا يختلف.

ولو كان الأمر علىٰ ما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لكان مِن في المشرق إذا أراد المغرب رفع طائرته في الهواء ثم أمسكها وقتًا يسيرًا حتىٰ تصل إليه أقطار المغرب فينزل فيها.

وأمَّا مَن في المغرب فلا يمكنه أن يسير إلىٰ المشرق في مركب جوِّيٍّ أبدًا لأنه إذا رفع طائرته عن الأرض فاتته الأرض بسرعة سيرها.

هذا علىٰ حد زعمهم.

وكذلك الذين في الجنوب والشمال، لابد أن تفوتهم الأرض بسرعة

سيرها؛ فلا يهتدون إلىٰ موضع قصدوه في مراكبهم الجوية.

ولمَّا كانت هذه التقديرات مُنْتَفِيَة، وكان السَّير في الجو مِن الأقطار المُتبايِنَة مقاربًا بعضه بعضًا؛ دلَّ ذلك علىٰ أنَّ الأرض قارَّة ساكنة.

ومن ذلك: ما هو مُشاهَد مِن نهوض الطيور مِن أوكارها أو غيرها مِمَّا هي واقعة عليه وطيرانها في الهواء وذهابها يمينًا وشمالًا، ورجوعها إلىٰ أوكارها، أو غيرها من الأشجار والمواضع التي تقع عليها كثيرًا؛ وهذا يدلُّ علىٰ ثبات الأرض واستقرارها.

ولو كانت تسير كما يزعمه أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة؛ لَمَا رجعت الطيور إلىٰ أماكنها من الأرض؛ لأنَّ الأرض تفوتها بسرعة سيرها.

ومثل ذلك: الطائرات؛ فإنها تطير مِن المطارات وتذهب نحو المشرق، والمغرب، والجنوب، والشمال، وربما عرض لها عارض يمنعها من مواصلة السير إلىٰ المواضع التي يقصدها أهلها؛ فترجع إلىٰ المواضع التي طارت منها، بعدما تنأىٰ عنها بمسافةٍ بعيدة؛ وهذا يدلُّ عَلَىٰ ثَبات الأرض واستقرارها، ولو كانت الأرض تسير كما يزعمه أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة؛ لَمَا رجعَت الطائرات إلىٰ مطاراتها أبدًا؛ لأن الأرض تفوتها بسرعة سيرها.

ومن ذلك: ما هو مُشاهَد مِن رمي الصيد والأهداف وإصابتها، ولو كانت الأرض تسير كما يزعمه أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة؛ لَمَا أصاب الرَّامي صيدًا

ولا هدفًا، ولاسيما إذا كان الصَّيد أو الهدف بعيدًا عنه؛ لأنه إذا أطلق السهم أو الرصاص فاتته الأرض بسرعة سيرها، فلا يصيب السهم والرصاص ما وجهه الرامي نحوه.

ولما كانت إصابة الصيد والأهداف تقع مِن كثيرٍ مِن الرُّماة؛ دَلَّ ذلك علىٰ أن الأرض قارَّة ساكنة.

فإن قيل: إن الهواء تابع للأرض، يسير بسيرها، فلا تفوت الأرض إذا شيئًا مما يكون في الهواء فوقها.

فالجواب أن يقال: هذا مِن أبطل الباطل؛ لأن الهواء مستقل بنفسه، وليس تابعًا للأرض، قال الله تعالىٰ في سورة «ألم تنزيل السجدة»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤] الآية.

وقال تعالىٰ في سورة «ق»: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق: ٣٨] الآية.

وقال تعالىٰ في سورة «الدخان»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الدخان: ٣٨].

وقال تعالىٰ في سورة «الأنبياء»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٦].

وقال تعالىٰ في سورة «ص»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص: ٢٧] الآية.

وقال تعالىٰ في سورة «الحجر»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحِجر: ٨٥] الآية.

وقال تعالىٰ في سورة «الأحقاف»: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣] الآية.

وقال تعالىٰ في سورة «ص»: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [ص: ١٠] الآية.

إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أن الهواء مستقل بنفسه، وليس تابعًا للأرض.

وكما أنَّ كُلًّا من السماء والأرض مستقلة بنفسها، وليست تابعة للأخرىٰ؛ فكذلك الهواء مستقلٌّ بنفسه، وليس تابعًا للسماء ولا للأرض، ولا يتصور أن يكون الهواء تابعًا لغيره؛ إلَّا فيما يكون محجوزًا بالسقوف والجُدُر ونحوها، كالهواء الذي يكون في داخل الطائرات، والسيارات، والمراكب، ونحوها فإنه يسير بسيرها بخِلَاف ما يكون فوق سطوحها؛ فإنه لا يكون تابعًا لها، ولا يسير بسيرها، كما هو معلوم عند كل عاقل.

ومَا علىٰ وجه الأرض من الهواء شبيه بما علىٰ ظهور الطائرات من

الهواء، فكما أن ما علىٰ ظهور الطائرات من الهواء لا يتبعها ولا يسير بسيرها؛ فكذلك ما علىٰ ظهر الأرض من الهواء لا يكون تابعًا لها، والله أعلم.

وأيضًا، فلو كان الهواء تابعًا للأرض وسائرًا بالسرعة الهائلة التي زعموها في سير الأرض كما ذكرنا قولهم في ذلك قريبًا؛ فإنه لا يستطيع الطير، ولا الطائرات أن تسبح فيه، وتذهب شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا، ثم ترجع إلىٰ مواضعها من الأرض.

ولمَّا كان الطير يطير إلىٰ حيث شاء مِن الجهات، ثم يرجع إلىٰ موضعه الذي طار منه، وكانت الطائرات تسير علىٰ خطوط مستقيمة شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا، ثم ترجع إلىٰ المواضع التي طارت منها؛ دلَّ ذلك علىٰ أن الهواء ساكنٌ لا يسير، ولا يتحرك إلَّا أن تحركه رِيحٌ تهبُّ فيه.

* * *

فصل

قال الرازي في «تفسيره» عند قول الله تعالىٰ في سورة «البقرة»: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، **الآية ما نصه:**

«اعلم أنَّ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ذَكَر هَهُنا أنه جعل الأرض فراشًا.

ونظيره قوله: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ [النمل: ٦١]،

وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الزُّخرُف: ١٠].

واعلم أنَّ كون الأرض فراشًا مشروط بأمور:

الشرط الأول: كونها ساكنة؛ وذلك لأنها لو كانت متحرِّكَة لكانت حركتها إما بالاستقامة، أو بالاستِدَارة.

فإن كانت بالاستقامة؛ لَما كانت فِرَاشًا لنَا علىٰ الإطلاق؛ لأنَّ مَن طفر مِن موضع عالٍ؛ كان يجب أن لا يَصِلَ إلىٰ الأرض؛ لأنَّ الأرض هاوية، وذلك الإنسان هاوٍ، والأرض أثقل من الإنسان، والثقيلان إذا نزَلَا كان أثقلهما أسرعهما، والأبطأ لا يلحق الأسرع؛ فكان يجب أن لا يصل الإنسان إلىٰ الأرض، فثبت أنها لو كانت هاوية؛ لَمَا كانت فِرَاشًا.

أمَّا لو كانت حركتها بالاستِدَارة؛ لم يَكْمُل انتفاعنا بها؛ لأنَّ حركة الأرض مثلًا إذا كانت إلىٰ المشرق، والإنسان يريد أن يتحرك إلىٰ جانب المغرب، ولا شك أن حركة الأرض أسرع؛ فكان يجب أن يبقىٰ الإنسان علىٰ مكانه، وأنه لا يمكنه الوصول إلىٰ حيث يريد.

فلمَّا أمْكنَهُ ذلك؛ عَلِمْنَا أن الأرض غير متحركة لا بالاستدارة، ولا بالاستقامة؛ فهي ساكنة». انتهىٰ[١].

---

(١) «تفسير الفخر الرازي» (ص٢٥٨).

فصل

وقد ذكر الآلوسي، عن فيثاغورس وأتباعه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، أنهم قالوا: إن الأرض سابحة في الجو، معلقة بسلاسل الجاذبية وقائمة بها.

ونقول: **أما قولهم**: إن الأرض سابحة في الجو؛ فهذا باطل، تردُّه الآيات والأحاديث الدالة علىٰ سكون الأرض وثباتها.

ويردُّه -أيضًا- إجماع المسلمين علىٰ ثبات الأرض وسكونها، وقد تقدَّم كلُّ ذلك؛ فليراجع.

وأما قولهم: إنها معلقة بسلاسل الجاذبية؛ فهذا باطل يردُّه قول الله تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا ﴾ [فاطر: ٤١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]، فالسماء قائمةٌ بأمر الله تعالىٰ، وإمساكه لها من غير عمد، والأرض قائمة بأمر الله تعالىٰ، وإمساكه لها من غير سلاسل.

وقد جعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الأرض مركزًا ومستقرًّا للأثقال من جميع جهاتها، فلو سقط من السماء شيءٌ ثقيل من أيِّ جهة؛ كانت لِمَا استقر، إلَّا في الأرض، وكذلك ما يسقط من الأثقال مما بين السماء والأرض فمقرُّه الأرض، وقانون الجاذبية للأثقال ينتهي إلىٰ المركز في جوف الأرض، وهو

وسط الأرض السابعة السفلىٰ.

قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-، بعد أن ساق عدة أحاديث في إثبات سبع أرضين، قال: «فهذه الأحاديث كالمتواترة في إثبات سبع أرضين، والمراد بذلك أنَّ كل واحدة فوق الأخرىٰ، والتي تحتها في وسطها عند أهْل الهَيْئةِ حتىٰ ينتهي الأمر إلىٰ السابعة، وهي صمَّاء لا جوف لها، وفي وسطها المركز، وهي نقطة مقدَّرة متوَهَّمة، وهو محط الأثقال، إليه ينتهي ما يهبط من كل جانبٍ إِذَا لم يُعَاوِقْهُ مانع»(١).

وقال شَيخُ الإِسْلامِ أَبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «إذا أهبط شيءٌ إلىٰ جهة الأرض؛ وقف في المركز، ولم يصعد إلىٰ الجهة الأخرىٰ»(٢).

وقال -أيضًا-: «ما يهبط من أعلىٰ الأرض إلىٰ أسفلها وهو المركز لا يصعد من هناك إلىٰ ذلك الوجه إلا برافع يرفعه، يدافع به ما في قوته من الهبوط إلىٰ المركز»(٣).

وقال الشيخ -أيضًا-: «أهْل الهَيْئةِ يقولون: لو أنَّ الأرض مخروقة إلىٰ ناحيةِ أرْجُلِنَا، وأُلْقِيَ في الخرق شيء ثقيل كالحجَر ونحوه؛ لكان ينتهي إلىٰ

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٢١).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٧١).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٧٢).

المركز، حتىٰ لو أُلقِي من تلك الناحية حجر آخر لَالْتقَيا جميعًا في المركز، ولو قُدِّر أنَّ إنسانَيْنِ التقَيا في المركز بدَل الحجرَيْن؛ لَالْتقَتْ رِجلَاهُما، ولم يكن أحدهما تحت صاحبه، بل كلاهما فوق المركز». انتهىٰ(١).

والدليل علىٰ أن الأرض هي المركز الذي ينتهي إليه ما يهبط من السماء:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩].

وقوله تعالىٰ إخبارًا عن مشركي قريش، أنهم قالوا: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢].

وقوله تعالىٰ إخبارًا عن قوم شُعَيب، أنهم قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الشعراء: ١٨٧]، والكسف: القطع.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢].

وروىٰ الإمام أحمد، والترمذي، وابن جرير، والبيهقي عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّ رَصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ** -

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٦٨).

وَأَشَارَ إِلَىٰ مِثْلِ جُمْجُمَةٍ- أُرْسِلَتْ مِن السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ لَبَلَغَت الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ»، الحديث.

قال الترمذيُّ: هذا حديث إسناده حسن صحيح(١).

وروىٰ الطبراني، والأزرقي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ يُقَالُ: لَهُ الضُّرَاح، وَهُو عَلَىٰ مِثْلِ الْبَيْتِ الحَرَامِ بحِيَالِه، لَوْ سَقَطَ سقَطَ عَلَيْهِ**»(٢).

وإذا كانت الأرض مركزًا ومستقرًّا للأثقال من جميع جهاتها؛ فَمُفارَقتَها لموضعها ممتنع، فضلًا عن دوَرانِهَا علىٰ الشَّمس؛ لأنها لو كانت تدور علىٰ الشَّمس، لكانت تصعد في الجو، مع عِظَمِ ثقلها، وانتفىٰ كونها مركزًا ومستقرًّا للأثقال.

وهذا باطلٌ تردُّه الآيات التي تقدَّمَ ذِكرُها مع حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وتردُّه -أيضًا- المشاهدة والمَحْسُوس الذي يَعرِفُه كلُّ عاقلٍ مِن كون

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٩٧) (٦٨٥٦)، والترمذي (٢٥٨٨)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢١٤٩).

(٢) أخرجه الطبراني (١٢١٨٥). قال الهيثمي (٧/ ١١٤): «فيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة، وهو متروك».

الأرض مستقرًّا للأثقال من جميع نواحيها.

وهذا يدل علىٰ أنها قارَّة ثابتة، لا تفارق موضعها، والله أعلم.

* * *

فصل

وإذا عُلِمَ ما ذكرنا مِن الآيات والأحاديث الدالة علىٰ جريان الشَّمس، وسكون الأرض واستقرارها، وما ذكرنا -أيضًا- من الإجماع علىٰ وقوف الأرض وسكونها؛ فإنا نتحَدَّىٰ الصوَّاف، وأشباهه من العصرِيِّين المَفتُونِين بأقوال أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أن يأتوا بنصٍّ واحدٍ مِن كتاب الله تعالىٰ، أو مِن سُنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعارض ما ذكرنا من الأدلة.

ولن يجدوا إلىٰ ذلك سبيلًا البتة.

وغاية ما يعتمدون عليه ما روَّجَهُ أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن تخَرُّصَاتهم وظنونهم الكاذبة، وأقوالهم الباطلة، التي تخالف مدلول الكتاب والسُّنة وإجماع المسلمين.

ومَن نبَذَ الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وإجماع المسلمين وراء ظهره، واعتمَدَ علىٰ ما خالَفَهَا مِن زخارف أعداء الله تعالىٰ، وظنونهم؛ فهو مُصابٌ في دينه وعقله.

العِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُه ... قَالَ الصَّحابَةُ هُم أولُوا العِرفَانِ
مَا العِلمُ نَصْبُكَ للخِلَافِ سَفاهَةً ... بَينَ الرَّسُولِ وبينَ رَأيِ فُلانِ

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥﴾ [المجادلة: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة: ٢٠، ٢١].

* * *

فصل

وقد صرَّح بعض المحقِّقين بتكفير من يقول بحركة الأرض وسَيْرِهَا.

قال الشَّيخ محمَّد بن يُوسف الكافي التونسي (١) في كتابه «المسائل الكافية

---

(١) هو علم من أعلام المالكية بالشام، واسمه: محمد بن يوسف الكافي التونسي، ولد سنة (١٢٧٨هـ) بتونس، وتوفي بدمشق سنة (١٣٨٠هـ) عن عُمر (١٠٢) من السنين، حفظ القرآن صغيرًا، وأخذ الطريقة الخلوتية علىٰ محمد بن محمود الجبيناتي الذي نصحه بطلب العلم. انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٥٩).

في بيان وجوب صدق خبر رب البرية» بعد الخطبة ما مُلخَّصه:

«أما بعد، فيقول أسير ذنبه، المفتقر لعفو ربه، محمد بن يوسف، المعروف بالكافي: إنه ضمنا مجلس في منزل الفاضل شيخ القراء الشيخ محمد سليم الحلواني[١] يوم الأضحىٰ من سنة (١٣٥١) المنصرمة، فسألَني بعض الحاضرين عن حكم من يقول بحركة الأرض وسيرها، فأجبته بأنه كافر، فقال لي: وبماذا تكفره؟ فقلت له: لتكذيبه الله تعالىٰ في خبره؛ لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أخبر في عدَّة آيات بعدم تحركها، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يستحيل عليه الكذب، وما في معناه.

فاستعظم الحاضرون مني ذلك، وقالوا: التكفير بعيد؛ لأنه يلزم عليه تكفير كثير من الناس.

وكان من جملة الحاضرين شيخ كبير، فقال: التكفير دونه خرط القتاد.

والذي يظهر لي أنه تلفظ بهذه الجملة، ولم يفقه معناها، فخطر ببالي بعد

---

(١) هو الشيخ المقرئ، محمد سليم بن أحمد بن محمد بن علي بن علي الحلواني، الرفاعي، الحسني، الشافعي، ولد في دمشق، سنة (١٢٨٥هـ)، وأتم حفظ القرآن في العاشرة من عمره، وجمع القراءات العشر في الرابعة عشرة من عمره، وتلقىٰ الحديث عن الشيخ سليم العطار، والشيخ بكري العطار، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدمشق عن ثمانية وسبعين عامًا، سنة (١٣٦٣هـ). انظر: «تاريخ علماء دمشق» (٢/ ٦٠٣-٦٠٤)، ومقدمة كتاب «المنظومات الثلاث للشيخ الحلواني» لحسين خطاب.

انصرام المجلس أن أجمع مسائل رأيت بعضها منصوصًا، وسمعت البعض الآخر، وكلها علىٰ خلاف عقائد المسلمين من حيث إن فيها تكذيب خبر رب العالمين، تعالىٰ عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وأن أبيِّن الحق فيها الذي يجب اعتقاده، وذكرت قبل المسائل تتمات يحتاج إليها الناظر في المسائل».

ثم قال:

«التتمة الأولىٰ:

مُتعلقة بالقرآن العظيم من حيث إنه قرآن عربي، غير ذي عوج، فلا يعدل في بيان مفرداته وجُمَله عمَّا يقتضيه لسان العرب، فمن عدَل به عن ذلك؛ فقد ألْحَد في آيات ربه.

التتمة الثانية:

أنَّ ما أكتبه هو نقلٌ صَريحٌ بحت، لا دخل للعقل فيه، ولا للتخمين -أيضًا-، فمَنْ كان له ساعدٌ قوِيٌّ وأراد معارضتي في شيءٍ مما أكتبه؛ فليُعارِضني بنقلٍ صريح من مادة ما أنقله.

أعني: إذا ذكرت آية أو حديثًا أو قولَ بعضِ العلماء؛ فليعارضني بآيةٍ أو حديثٍ أو قولِ بعض العلماء علىٰ سبيل اللف والنشر المرتَّب.

وأمَّا إذا ذكرتُ آيةً أو حديثًا وعارضَنِي بقول أحد العلماء مجرَّدًا عما يعضده من آيةٍ أو حديث؛ فمعارضته مردودة عليه، لا يصغىٰ إليها ولا ينظر فيها.

التتمة الثالثة: أنَّ مُرادِيَ بما أكتبه هو تنبيه وإيقاظ مَن يكون في اعتقاده شكٌّ أو ريبٌ فيما يعتقده المسلمون.

والحال: أنَّ أصوله مسلمون، ولكن لتربيته علىٰ يد غير المسلمين، أو لمطالعته كتب غير المسلمين؛ اكتسب هذا الاعتقاد المُخرِج له عن دائرة الإسلام، فلعلَّه إذا اطلع علىٰ ما أنقله وأسطره يرجع إلىٰ حوزة الإسلام، ويكون فردًا من أفراد المسلمين، وما ذلك علىٰ الله بعزيز.

التتمة الرابعة: اتَّفقَ العلماء علىٰ أنَّ مَن قال قولًا، أو اعتقد اعتقادًا يُوجِب تكذيب الله تعالىٰ في خبَرِه كحركة الأرض وسَيْرِهَا المخبر الله تعالىٰ بعدم حركتها، أو قال أو اعتقد أن السماء جو وفضاء لا بناء، المخبر الله تعالىٰ بأنها بناء شديد، وسقف محفوظ، لا يحكم عليه بالكفر بمجرد ذلك، بل يحكم عليه إذا وقف علىٰ عقيدة المسلمين في تلك العقيدة أو العقائد، وعاند ولم يرجع إلىٰ معتقد المسلمين».

ثُم شرع الشيخ الكافي في ذكر المسائل إلىٰ أن قال:

المسألة الموفية عشرين: الأرض من حيث حركتها وسكونها؛ عقيدة المسلمين الذين لم تَشْرَب قلوبهم حُبَّ أهل الكفر أنها ساكنةٌ، وثابتةٌ، ومرْسَاة

بالجبال كإرساء البيت بالأوتاد، وكإرساء السفن في مرساها؛ لربطها بالحبال في الأوتاد، أو إنزال المخاطيف الهائلة من الحديد؛ فتنزل في الأرض، فتكون لها كالأوتاد للبيت، أو يجعل فيها الأجرام الثقيلة؛ لتثقل بها حتىٰ لا تميد في مرساها؛ أي: لا تتحرك يمينًا ولا شمالًا، ولا أمامًا ولا خلفًا، وهذا هو الذي أراد الله تعالىٰ في إرساء الأرض بالجبال، بحيث لا تتحرك أصلًا؛ أي: لا حركة منتظمة ولا غير منتظمة.

قال الله تعالىٰ مُمْتَنًّا علىٰ عباده: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، ومعلومٌ أنَّ القرآن نـزَلَ بلسان العرَب.

وتقدَّم في التَّتِمَّات أنَّ مَن أخرَجَ مفرداته وجُمَله عما يقتضيه لسانهم؛ فقد ألحد في آيات ربه تعالىٰ.

في «**مُختَار الصَّحَاح**»: «مادَ تحرَّك، ومادَت الأغصان تمايلت، ومادَ الرجل تحرك»(١).

وفي «**القاموس**»: «مَادَ يَمِيدُ مَيْدًا، ومَيْدَانًا: تحرَّك، وزاغ، وزكَا، والسراب اضطرب، والرجل تبَخْتَر». اهـ. محل الحاجة منه(٢).

في «**المختار**»: «مارَ مِن باب قال تحرك، وجاء، وذهب، ومنه قوله تعالىٰ:

(١) «مختار الصحاح» (ص٦٤٢).
(٢) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٤٠٩).

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ [الطور: ٩]. قال الضحاك: تموج موجًا. وقال أبو عبيدة والأخفش: تكفأ»[١].

في «**القاموس**»: «**والمَوْر**: الموج، والاضطراب، والجريان علىٰ وجه الأرض والتحرك»[٢].

في «**المختار**»: «ماج البحر من باب قال، اضطربت أمواجه»[٣].

في «**القاموس**»: «**المَوْج**: اضطِرَاب أمواج البحر»[٤].

في «**القاموس**»: «**واضطرب**: تحرَّكَ ومَاج»[٥].

في «**المختار**»: «**رسَا الشيء**: ثبَتَ، وبابه عدا ومرسىٰ -أيضًا- بفتح الميم، ورست السفينة: وقفت علىٰ الأنجر: وبابه عدا وسَما»[٦].

قلت:

قال الأزهري: «في نجر الأنجر مرساة السفينة، وهو اسم عراقي، وقوله

---

(١) «مختار الصحاح» (ص٦٤٢).

(٢) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٦١٤).

(٣) «مختار الصحاح» (ص٦٤٢).

(٤) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٢٦٣).

(٥) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص١٣٨).

(٦) «مختار الصحاح» (ص٢٦٧).

تعالىٰ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] سبق في جرىٰ. والمرساة التي ترسي بها السفينة تسميه الفُرس لنكر. والرواسي من الجبال: الثوابت الرواسخ، واحدتها: راسية».

«**في القاموس**»: «رَسَا رَسْوًا ورُسُوًّا: ثبت كأرْسَىٰ، والسفينة وقفَتْ علىٰ الأنْجَر وأرْسَيْتُه».

وقال: والمِرْسَاة أنْجَر السفينة.

وقال: **وألقَتِ السَّحابُ مَراسِيهَا**: استَقَرَّتْ.

وقال: وقدور راسية لا تبرح مكانها لعِظَمها». اهـ[1].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧﴾ [النبأ: ٦، ٧].

في «**القاموس**»: «الوتْد، وبالتحريك، وكَكَتِف: مَا رُزَّ في الأرض، أو الحائط من الخشب».

وقال: «وأوتاد الأرض الجبال». اهـ[2].

فالسفينة إما جارية، وإما راسية، ولا واسطة بين الحالتين لها.

وأخرج ابن جرير عن الضحاك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا

---

(١) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص١٦٦٢) بتصرف.

(٢) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٤١٣) بتصرف.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] الآية.

قال: «**كان إذا أراد أن ترسىٰ، قال**: بسم الله؛ فأرست، وإذا أراد أن تجري قال: بسم الله؛ فجرت»(١).

في «الدر المنثور» في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩﴾ [الطور: ٩]: «أخرج ابن جرير، وابن المنذر(٢)، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩﴾ قال: تحرك.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد في قوله: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩﴾ قال: تدور دورًا». اهـ(٣).

وفي «الدر المنثور» علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ أخرج عبد بن حميد(٤)، وابن جرير، وابن المنذر، من طريق قتادة عن الحسن عن

---

(١) «تفسير الطبري» (١٥/ ٣٣٠).

(٢) هو الحافظ، أبو بكر، محمد بن إبراهيم بن المنذر بن الجارود النَّيْسَابُورِي، نزيل مكة، المعروف بـ«ابن المنذر» ولد في حدود سنة (٢٤١هـ)، رحَل ابن المنذر إلىٰ مصر طلبًا للحديث والفِقْه، والْتقَىٰ بالربيع بن سليمان صاحب الشافعي وتلميذه، فوقف علىٰ كتُب الشَّافعي الَّتِي صنَّفها في مصر، توفي (٣١٨هـ)، انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ١٩٧)، و«طبقات الشافعية» (٢/ ١٢٦).

(٣) «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٦٣١).

(٤) عبد بن حميد، هو الإمام، الحافظ، الحُجَّة، الجوَّال، أبو محمد، عبد بن حميد بن نصر، الكسي، ويقال له: الكَشِّي، بالفتح والإعجام، يقال: اسمه عبد الحميد، وُلد بعد =

قيس بن عباد، قال: إنَّ الله لمَّا خلق الأرض، جعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هذه بمقرة أحدًا علىٰ ظهرها، فأصبحت صبحًا، وفيها رواسيها؛ فلم يدروا من أين خلقت». اهـ محل الحاجة(١).

وفيه -أيضًا-: «وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة في قوله تعالىٰ في سورة «لقمان»: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]، قال: حتىٰ لا تميد بكم، كانوا علىٰ الأرض تمور بهم لا يستقر بها، فأصبحوا صبحًا، وقد جعل الله الجبال، وهي الرواسي أوتادًا في الأرض». اهـ(٢).

في تفسير ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في سورة «والنازعات»: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٣٢] أوتدها.

وفيه -أيضًا- في تفسير سورة «النبأ»: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ: ٧] لها لكي لا تميد بهم.

وفيه -أيضًا- في تفسير سورة «النحل» علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي

=

السبعين ومئة، وحدَّث عن: يزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وجعفر ابن عون، وأبي داود الطيالسي، والواقدي، وخلقٌ كثير، حدَّث عنه: مسلم، والتِّرمذي، والبخاري تعليقًا، توفي سنة (٢٤٩هـ). انظر: «شذرات الذهب» (٢/ ١٢٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٢٥٣).

(١) «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١١٨).

(٢) المصدر السابق.

ﭐلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ ﴾ [النحل: ١٥] الجبال الثوابت: ﴿أَن تَمِيدَ﴾ لكي لا تميد: ﴿بِكُمۡ﴾ الأرض. اهـ.

والعرب لا تفهم من الأوتاد إلا ثبوت ما ربط بها، ولا من الإرساء إلا ثبوت المُرسَىٰ بها.

وسأذكر عقيدة داروين(١) في الأرض، وفي آدم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال أبو السعود(٢) علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾: «أي: جبالًا ثوابت في أحيازها من الرسو، وهو ثبات الأجسام الثقيلة»(٣).

وقال في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾: «أي: جبالًا ثوابت، ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ كراهة أن تميد بكم وتضطرب، أو لئلَّا تميد بكم، فإنَّ الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة الطبع، وكان من حقها أن

---

(١) تشارلز روبرت دارون، عالم تاريخ طبيعي وجيولوجي بريطاني، ولد في إنجلترا (١٢ فبراير سنة ١٠٨٩م)، وتوفي (١٩ أبريل سنة ١٨٨٢م).

(٢) هو العلامة المجتهد، المفسر، محمد بن محمد بن مصطفىٰ العمادي، وقيل: اسمه أحمد، والأول المشهور، المعروف بأبي السعود، صاحب التفسير، وانتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه، وكان علىٰ السُّنة، ذابًّا عنها ضد المعتزلة، وكان يقربه السلطان سليمان القانوني تقديرًا لعلمه ومكانته، توفي بالقسطنطينية سنة (٩٨٢هـ). انظر: «شذرات الذهب» (١٠/ ٤٨٥)، و«تراجم الأعيان» (١/ ٢٣٩)، و«الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص٨١).

(٣) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٣).

تتحرك بالاستدارة كالأفلاك، أو تتحرك بأدنىٰ سبب محرك، فلمَّا خلقت الجبال تفاوتت حافاتها، وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز؛ فصارت كالأوتاد، وقيل: لما خلق الله الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هي بمقرة أحدًا علىٰ ظهرها؛ فأصبحت وقد أرسيت بالجبال». اهـ[1].

قال الرازي علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: «أي: جبالًا راسية أن تميد بكم؛ أي: كراهة أن تميد بكم.

وقيل: المعنىٰ أن لا تميد بكم.

واعلم أن الأرض ثباتها بسبب ثقلها، وإلا كانت تزول عن موضعها بسبب الماء والرياح، ولو خلقها مثل الرمل؛ لَمَا كانت تثبت للزراعة، كما ترىٰ الأرض الرملية ينتقل الرمل الذي فيها من موضع إلىٰ موضع.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [القمان: ١٠]؛ أي: فلكون الأرض فيها مصلحة حركة الدواب أسكنا الأرض، وحركنا الدواب، ولو كانت الأرض متزلزلة وبعض الأراضي لا يناسب بعض الحيوانات؛ لكانت الدابة لا تعيش في موضع تقع في ذلك الموضع؛ فيكون فيه هلاك الدواب.

أما إذا كانت الأرض ساكنة، والحيوانات متحركة تتحرك في المواضع

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٥/ ١٠٣-١٠٤).

التي تناسبها، وترعىٰ فيها وتعيش فيها؛ فلا». اهـ[(١)].

وقال في سورة «الأنبياء»: «(المسألة الثانية): الرواسي الجبال، والراسي هو الداخل في الأرض.

«**المسألة الثالثة**»: **قال ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: إن الأرض بسطت علىٰ الماء، فكانت تتكفأ بأهلها كما تتكفأ السفينة؛ لأنها بسطت علىٰ الماء؛ فأرساها الله بالجبال الثقال». اهـ[(٢)].

قال مفتي الثَّقَلَيْنِ[(٣)] **في سورة «النبأ»**: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النبأ: ٦، ٧]: «لها أرساها بها، كما يُرسَىٰ البيت بالأوتاد». اهـ[(٤)].

وقال في سورة «والنازعات»: «والجبال منصوب بمضمر، يفسره أرساها؛ أي: أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد بأهلها.

---

(١) «تفسير الفخر الرازي» (٢٥/ ١١٩).

(٢) «تفسير الفخر الرازي» (٢٢/ ١٤١).

(٣) هو الإمام، المحدث، أبو حفص، عمر بن محمد بن أحمد بن لقمان، النسفي الحنفي، من أهل سمرقند، المعروف بالإمام النسفي، أو مفتي الثقلين، كان صاحب فنون، ألف في الحديث، والتفسير، والشروط، وله نحو من مئة مصنف، ولد (٤٦١هـ)، وتوفي بسمرقند سنة (٥٣٧هـ). انظر: «معجم الأدباء» (١٦/ ٧٠- ٧١)، و«العبر» (٤/ ١٠٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ١٢٦).

(٤) «تفسير أبي السعود» (٩/ ٨٦).

وهذا تحقيقٌ للحق، وتنبيهٌ علىٰ أنَّ الرُّسُوَّ المنسوب إليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها، بل هو بإرساله عَزَّوَجَلَّ ولولاه ما ثبتت في أنفسها، فضلًا عن إثباتها الأرض». اهـ(١).

قال البيضاوي(٢) في سورة «الرعد»: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ [الرعد: ٣]: «بسَطهَا طولًا وعرضًا، تثبت فيها الإقدام، ويتقلب عليها الحيوان: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالًا ثوابت، مِن رسَا الشيء إذا ثبت، جمع راسية»(٣).

وقال في سورة «النحل» ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾: «جبالًا رواسي: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾؛ كراهة أن تميد بكم وتضطرب، وذلك لأن الأرض قبل أن تُخلَق فيها الجبال، كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع، وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك، أو أن تتحرك بأدنىٰ سبب للتحريك، فلما خلقت الجبال علىٰ وجهها تفاوتت جوانبها، وتوجَّهَت الجبال بثقلها نحو المركز؛ فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة.

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٩/ ١٠٢).

(٢) هو المفسر المشهور، البيضاوي، الإمام القاضي، أبو الفتح، عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوي الفارسي، ثم البغدادي، الحنفي، أخو قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي لأمه، أخذ عنه: السمعاني، وابن عساكر، وابن الجوزي، وآخرون، توفي سنة (٥٣٧هـ). انظر: «شذرات الذهب» (٤/ ١١٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ١٨٢).

(٣) «تفسير البيضاوي» (ص٣١٦).

وقيل: لمَّا خلق الله الأرض، جعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هي بمقرة أحدًا علىٰ ظهرها؟ فأصبحت وقد أرسيت بالجبال». اهـ[١].

فمن قال واعتقد أنها متحرِّكَة وسائرة بانتظام؛ تقليدًا لداروين، ولمن كان علىٰ مذهبه، وتاركًا لعقيدة المسلمين، واستمر مصممًا علىٰ ذلك؛ يَكفُر لتكذيبه الله تعالىٰ في خبره: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٣٢]، ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ: ٧]».

ثم قال الشيخ الكافي:

«**المسألة الحادية والعشرون:**

أذكر فيها ما كتبته في «**الأجوبة الكافية علىٰ الأسئلة الشامية**» ورددت به مقالة في «منار رشيد رضا»[٢]، وأدرج فيها ما قاله داروين في شأن الأرض، وفي شأن آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال صاحب «المنار» في (صفحة ٥٧٧) من الجزء (الرابع عشر): «علم الفلك والقرآن، نظرة في السموات والأرض».

وفي (صفحة ٥٥٨): «ما هي هذه الأرض التي نعيش عليها؟ هي كوكب من الكواكب التي تدور بمركز الشَّمس، وتسمىٰ بالسيارات».

---

(١) «تفسير البيضاوي» (ص٣٩٠).

(٢) أيْ: مجلة «المنار» للشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أقول: يعتقد صاحب هذا الكلام أن الأرض متحركة، طائفة بمركز الشَّمس وليست راسية، ومائدة وليست بثابتة، وسابحة وليست موثقة بالجبال، وهذا مذهب داروين الطبيعي، ومَن تبعه، كأصحاب هذه المجلة.

قال داروين في كتاب «النشو والارتقاء» في (صفحة٢٣٨): «أن الأوْهَام التي تقاضت الإنسان حياته زمنًا طويلًا، وكانت أعظم أسباب شقائه، ودواعي عنائه اثنان عظيمان وهما:

أولًا: اعتقاده القديم في الأرض أنها مركز تدور حوله الأفلاك.

وثانيًا: اعتقاده في نفسه أنه مِن أصلٍ سَماوِيٍّ، فأهبطه الخالق مِن فَسِيح جنانه، ولم ذا! وأسكنه ضيق أرضه...».

إلىٰ أن قال: «ومنها أرضنا المتحركة حول مركز الشَّمس؛ خلافًا لمن يظن أن الأرض ثابتة، والشَّمس تدور حولها؛ خدمة لها». اهـ.

واعتقاد المسلمين كافة بأن الأرض ثابتة؛ تبعًا لِمَا امتَنَّ اللهُ به علينا بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة «لقمان»: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [لقمان: ١٠]؛ أي: لئلَّا تميد بكم.

وفي «عم يتساءلون»: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾ [النبأ: ٦، ٧].

وفي «النازعات»: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾ [النازعات: ٣٠ - ٣٢]، وغير ذلك من الآيات الدالة على ثبوت الأرض وعدم تحركها.

في «مختار الصحاح»: «ماد الشيء تحرك»(١).

وفي «القاموس»: «مادَ يميد ميدًا وميدانًا، تحرَّكَ وزاغ»(٢).

وفيه: «رَسَا رَسْوًا ثبتَ كأرْسَىٰ»(٣).

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر بثبوتها، وعدم تحركها، وطوافها حول مركز الشَّمس.

وداروين ومَن تبعه أخبروا بحركتها، وطوافها حول مركز الشَّمس.

فمَنْ هو العالم بوصفها الحقيقي؟!

الجواب: الله! ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [المُلك: ١٤].

فمَن الصادق في خبره؟!

الجواب: الله الصادق، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النساء: ٨٧].

---

(١) «مختار الصحاح» (ص٦٤٢).

(٢) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٤٠٩).

(٣) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص١٦٦٢) بتصرف.

فإذا ثبت هذا، فمن الواجب اتباعه في خبره؟!

الجواب: اتباع خبر الله تعالىٰ؛ لأن خبَره صِدْق، يستحيل عليه الكذب، وما في معناه، وطرح خبر الغير وراء الظهر، ومعتقد خلاف دين المسلمين كافر بلا ريب.

ثم اتل قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩].

ثم قال الشيخ الكافي:

«**المسألة الثانية والعشرون:**

«في تحقيق أنَّ مَن قال بحركة الأرض يُعَدُّ مكذِّبًا اللهَ تعالىٰ في خبره عقلًا -أيضًا-، وذلك أنَّ الوصفين إمَّا أن يكون بينهما التماثل، كالبياض وبياض آخر. وإما أن يكون بينهما مطلق المغايرة، كالقيام والضحك، وإما أن يكون بينهما التضاد، وإما أن يكون بينهما التناقض؛ فالمثلان لا يحتاجان إلىٰ تعريف.

وأما الخلافان، فحقيقتهما هما اللذان يجتمعان، كأنْ يَكون الشخص قائمًا يضحك، ويرتفعان كأن يكون جالسًا يبكي.

وأما الضدان، فهما الأمران الوجوديان، كالبياض والسواد لا يجتمعان، كأن يكون الشيء أبيض أسود في آنٍ واحد، وقد يرتفعان كأن

يكون الشيء أصفر أو أخضر مثلًا.

وأما النقيضان، فهما الأمران الوجوديان، اللذان بينهما غاية الخلاف، لا يجتمعان ولا يرتفعان، بل أحدهما ثابت ولا بد، وذلك كزيد قائم، زيد ليس بقائم، أو الأرض ساكنة، الأرض ليست بساكنة، أو الأرض متحركة، الأرض ليست بمتحركة؛ فإذا صدَقَ أحد المتناقضين كذب الآخر، ولا يمكن صدقهما معًا ولا كذبهما معًا؛ فإذا تقرر هذا فنقول: إذا ثبت للأرض السكون؛ انتفىٰ عنها عدم السكون، وهو مُسَاوٍ للحركة، وهو خبر الله تعالىٰ.

وإن ثبت للأرض الحركة؛ انتفىٰ عنها عدم الحركة، وهو مساوٍ للسكون؛ لأنه يلزم لزومًا بيِّنًا مِن انتفاء النقيض انتفاء المساوي له، وهذا الشِّق الأخير باطل قطعًا، ومعتقده كافر كما تقدَّم». انتهىٰ كلام الكافي.

❃ ❃ ❃

فصل

وقد استدل بعض العصريين علىٰ ما زعموه مِن حركة الأرض ودورانها علىٰ الشَّمس بقول الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] الآية.

وهذا من الإلحاد في آيات الله تعالىٰ، وتحريف الكَلِم عن مواضعه؛ لأن

الآية إنَّما سيقت في ذكر ما يكون يوم القيامة، وقد بيَّنَ الله ذلك بقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: ٨٧]، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٨٨ - ٩٠]؛ فدلت هذه الآيات علىٰ أن مرور الجبال مثل مر السحاب، إنما يكون يوم القيامة لا في الدنيا.

وقد أوضح الله ذلك في آيات كثيرة مِن القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الطور: ٧ - ١١].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التكوير: ١ - ٣]، الآيات، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: ١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ

ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: ٨ - ١٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة: ١ - ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾﴾ [الواقعة: ١ - ٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ: ١٧ - ٢٠].

فدلَّتْ هذه الآيات، مع الآيات من سورة «النمل» علىٰ أن زوال الجبال مِن أماكنها، ومرورها مثل مر السحاب، وذَهَابها بعد ذلك بالكلية، إنما يكون يوم القيامة لا في الدنيا.

وبعد تحرير هذا الموضع، رأيت فيه كلامًا حسنًا لعَالِمَيْنِ فاضِلَيْن، أحدهما الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي، والآخر الشيخ محمد الحامد

خطيب جامع السلطان بـ«حماة»(١)، ردَّ كل منهما علىٰ من قال إنَّ الآية من سورة «النمل» تدلُّ علىٰ دوران الأرض وحركتها، وقد رأيت أن أسوق كلامهما ههنا؛ لِمَا فيه من بيان الحق ورد الباطل.

فأما الشيخ محمد بن يوسف الكافي، فقال في كتابه «المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية»(٢) ما نصه:

«المسألة الثالثة والعشرون:

أقول: رأيت في كلام بعضهم الاستدلال علىٰ حركة الأرض بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨]، واغتر بكلامه كثيرٌ مِمَّن لا اطِّلاع لهم، وهو جهل منه بزمن مرورها مرَّ السَّحَاب.

وذلك أن زمن مرورها مر السحاب، وبسِّها حتىٰ تكون كالهباء، وتسييرها حتىٰ تكون كالسراب، هو زمن خراب العالَم، وزمن قيام الساعة.

ولكن مَن لم يخش ربَّه يفسِّرُ القرآنَ بغير علم؛ فليتبوأ مقعده من النار.

قال حَبْرُ هذه الأمة في تفسيره: «قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ يا محمد في النفخة الأولىٰ ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ ساكنة مستقرة ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ في الهواء».

---

(١) «حَمَاة»: مدينة في سورية.

(٢) طبع بمطبعة حجازي بالقاهرة، سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م.

وقال في تفسيره: «**قوله تعالىٰ:** ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ۝٤﴾ [الواقعة: ٤] إذا زلزلت الأرض زلزلةً حتىٰ ينطمس كل بنيان وجبلٍ عليها؛ فيعود فيها: ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝٥﴾ [الواقعة: ٥]، سيرت الجبال علىٰ وجه الأرض كسير السحاب».

ويقال: قلعت قلعًا. ويقال: جثت جثًا. ويقال: فتت فتًّا، تبس كما يبس السويق أو علف البعير.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ۝٤﴾ قال: زلزلت، ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝٥﴾ قال: فُتِّتْ، ﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ۝٦﴾ قال: كشعاع الشَّمس»[1]. انتهىٰ.

وأما الشيخ محمد الحامد، فقال في كتابه المسمىٰ «ردود علىٰ أباطيل وتمحيصات لحقائق دينية»[2]، بعد كلام سبق، ما نصه:

«إننا حين ننظر في الآيات الكريمة التي ذكر الله فيها الأرض، والشَّمس، والقمر، والنجوم؛ نخرج بالفهم الصحيح الذي فهمه النبيُّ الكريم وأصحابُه - صلوات الله تعالىٰ وتسليماته عليه وعليهم أجمعين-، ومَعاذ الله أن يفهموا خطأ ويفهم غيرهم صوابًا.

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٩٣) بتصرف.

(٢) وهو كتاب يقرر فيه مؤلفه القول بثبات الأرض، طبع في ثلاثة مجلدات، مؤلفه محمد بن محمود الحامد الحموي، توفي سنة (١٣٨٩هـ).

لكن قد اقتحم بعضُ الجُرَآءِ علىٰ الله هذه اللُّجَّة، فزعَمَ أن قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] يدلُّ علَىٰ دوران الأرض، وحركتها، وهو استدلالٌ غير صحيح، وتفسير غير مقبول.

وإليك البيان:

أنَّ الاستدلال بهذه الآية الكريمة علىٰ حركة الأرض متوقِّف علىٰ ألَّا يكون سباق وسياق يفيدان غير ما يفهم المستدل.

ومتوقف -أيضًا- علىٰ ألَّا يوجد نصٌّ آخر يعترض.

وكِلَا الأمرَيْنِ موجود ههنا، فالاستدلال إذًا غير سليم، والنَّظَر ليس بسديد.

أما الأول: فإنَّ السِّباق -وهو أول الكلام- والسياق -وهو آخره- يفيدان أن مرور الجبال مرَّ السحاب إنَّما يكون يوم القيامة، إذْ إنَّ الآية وارِدَة في وَصْفِه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٨٧ - ٩٠].

فالآيات في القيامة كما هو ظاهر لا في هذه الدنيا، وكم في الآي مِن سباق

وسياق يتعيَّن بهما معنًىٰ لا يمكن المَحِيدَ عنه، علىٰ أن الله تعالىٰ ذَكَر سَيْر الجبال يوم القيامة في غير موضعٍ من كتابه الكريم:

فقال سبحانه في سورة «الكهف» الشريفة: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧].

وقال تعالىٰ في سورة «التكوير»: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾ [التكوير: ١ - ٤] الآيات الكريمات.

وبهذا البيان يبطل الاستشهاد بالآية علىٰ حركة الأرض.

وأما الثاني: وهو أن لا يوجد نص معترض.

فإنَّا لو نظرنا إلىٰ الفكرة مِن حيث هي نظرًا شرعيًّا صِرْفًا؛ لَمَا استطعنا إلَّا المَصِير إلىٰ ما تُقَرِّره النصوص القرآنية المانعة منها.

إنَّ القرآن قائلٌ بثَبات الأرض.

وما أصرح قوله سبحانه: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، وقوله في مكان آخر: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، والميد: هو التحرك، كما تدل عليه نصوص اللغة.

وقال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ: ٦، ٧]،

هؤلاء الآيات يدللن دلالة واضحة علىٰ تثبيت الله الأرض بالجبال؛ لئلَّا تتحرك.

والقول بأنَّ تثبيتها بالجبال لا ينافي حركتها، كالسفينة المثقلة بما يحفظ عليها توازنها، مع سيرها في اللُّجة فيه مِن التكلُّف البارد ما يأباه الذوق الإسلامي، وترفضه البلاغة القرآنية، إذْ هو دخول في مأزِقٍ مِن التأويل؛ يصرف النص عن المتبادَرِ منه مِن غير حاجةٍ تدعو إليه؛ فهو في الحقيقة تلاعُبٌ لا تأويل يقوم علىٰ أسُسٍ صحيحة.

هذا، وكما قرر القرآن ثبات الأرض، قرر حركة الشَّمس والقمَر وجريانهما حولها:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣].

والتنوين في ﴿كُلٌّ﴾ تنوين عِوَض؛ أي: كل منهما الشَّمس والقمر، ولا ذِكْرَ للأرض.

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِى لِمُسۡتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨ - ٤٠].

فقد أثبت للشمس جريانًا، وهو الحركة الانتقالية.

أما الحركة الرَّحوية -أي: المِحْوَرِيَّة علىٰ حد تعبير الفلكِيِّين- فلَا تُسَمَّىٰ

جرَيانًا في لغة العرَب، بل دورانًا، والنص ناطق بالجرَيان».

ثم قال الشيخ محمد الحامد:

«ويتَّضح مِن مجموع ما ذكرنا في هذا الفصل أنَّ البرهان العِلمي لا يساعد علىٰ القول بحركة الأرض، بل هو معين لثباتها، وأنَّ الحركة للشَّمس والقمر.

وأنَّ حمل بعض الآيات الشَّريفة علىٰ غير ما تدل مجموعة النصوص عليه مِمَّا هو يُعدُّ موضع أخذٍ وردٍّ عند الفلكِيِّين أنفسهم فيه من الجراءة علىٰ القول في القرآن بغير علم ما لا يخفىٰ، وقد قال سيدنا رسول الله -صلوات الله تعالىٰ وسلامه عليه وعلىٰ آله: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

ولمَّا سُئل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن معنىٰ الأَبِّ في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس: ٣١] لم يَرُد، وجعل يقول: «**أيُّ سماءٍ تظلني، وأي أرض تُقلُّني إن قلتُ في كتاب الله برأيي؟!**»(٢)، وكذلك يجب أن يكون المسلم هيَّابًا لله تعالىٰ، وقَّافًا عند حدوده سبحانه.

والله يهدي مَن يشاء إلىٰ صراط مستقيم.

* * *

(١) أخرجه البغوي في «شرح السنة» (١١٨)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٧٨).

فصل

ومن أغرب الاستدلال علىٰ حركة الأرض وسَيْرِهَا، بل من أقبح التهوُّر والجَراءة علىٰ القول في كتاب الله بغير علم، ما نقله الشيخ محمد بن يوسف الكافي عن محمد بخيت المطيعي(١) الذي كان مفتيًا لمصر فيما سبق، وقد تعقبه الشيخ الكافي، وردَّ عليه ردًّا وافيًا كافيًا.

وأنا أذكر ههنا كلام المُطِيعي والرَّد عليه، وقد زدت في بعض المواضع منه زيادات، صدرتها بكلمة «**قلت**»؛ ليعلم أنها ليست من كلام الكافي، والله الموفق.

قال الشيخ الكافي في كتابه «المسائل الكافيَّة في بيان وجوب صدق خبر رب البرية»:

«**المسألة الخامسة والسبعون**:

اتَّصَل بيدي منذ خمسة أيام رسالة تُسَمَّىٰ «تنبيه العقول الإنسانية لِمَا في

(١) محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي: مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهائها، ولد في بلدة (المطيعة) من أعمال أسيوط، (١٢٧١هـ) الموافق (١٨٥٤م)، وتعلم في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه، وانتقل إلىٰ القضاء الشرعي سنة (١٢٩٧) واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني. ثم كان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قام بها الشيخ محمد عبده. وعين مفتيا للديار المصرية سنة (١٣٣٣ - ١٣٣٩هـ) (١٩١٤ - ١٩٢١م) ولزم بيته يفتي ويفيد إلىٰ أن توفي بالقاهرة سنة (١٣٥٤هـ) الموافق (١٩٣٥م). «الأعلام» للزركلي (٦/ ٥٠).

آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية»، تأليف: محمد بخيت المطيعي، مفتي الديار المصرية سابقًا.

اخترع فيها علومًا لم يُسبَق بمثلها، وادَّعىٰ أنَّ القرآن العظيم يدل علىٰ ما اخترعه، ولمَزَ مَن تقدَّمَهُ مِن عصر النبوة إلىٰ قبل عصره بالقصور والجهل، وتقليد علماء اليونان في سكون الأرض.

فأردتُ تتَبُّع بعض ما اخترعه، فإنْ وجدت القرآن العظيم يدل عليه تصريحًا أو تلويحًا؛ قبِلْتهُ وكرَامة، وإنْ وجدته أخذه مِن علوم الغربِيِّين والقرآن بريء منه ردَدتُه ولا ندَامة؛ ويوم القيامة يفصل بينه وبَيْنَ مَن لمزَهُم، وهُمْ بُرآء.

وفي صحيح الأخبار: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[١].

ثُم إني أذكر المبحث الذي يتكلم فيه بتمامه، ثم أكرُّ عليه نقضًا، والله المعين لي علىٰ ذلك».

ثم قال الشيخ الكافي:

المسألة السادسة والسبعون:

قال المفتي: دوَران الأرض وأخذه من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٥٠)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٣٤).

لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ [النمل: ٦١]، وقال: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الزُّخرُف: ١٠]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [المُلك: ١٥]، وقال في سورة الأنبياء: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وفي سورة يس: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠]، وقال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

وكل هذه الآيات تدلُّ بظاهرها علىٰ أن الأرض متحركة ودائرة، كما هو قول فيثاغورس قديمًا، وقول عُلماء الهيئة اليوم.

وذلك أنه ثبت بالمُشاهَدات الصحيحة أنَّ الأرض علىٰ شكل كرة مفرطحة نحو قطبيها، منتفخة عند خط الاستواء.

وقد أطبق المحققون مِن المفسرين وجميع علماء الكلَام وفلاسفة الإسلام علىٰ أنَّ الأرض كُرة، وعَدَّوْا إنكار ذلك مكابرَة، فمَن أقامَ الدَّليلَ علىٰ خلاف ذلك؛ فقد أراد التَّشكيك في اليَقِينِيَّات، وكابَر نفسه، وأنكر حِسَّه؛ فلَا يُعَوَّل عليه، ولا يُلتفت إليه.

فكان انتفاخها نحو خط الاستواء، وتفرطحها نحو القطبين دليلًا حِسِّيًّا يدل علىٰ أن الأرض كانت سائلة في مبدإ خلقها، وأنها متحركة بحركة رَحوية، ودائرة علىٰ محورها؛ وذلك لأن الكُرَة إذا كانت صلبة كالتي مِن العاج مثلًا لا

يتغير شكلها، ولو دارت علىٰ محورها قرونًا كثيرة.

وأمَّا إذا كانت سائلة، أو عجينة انتفخت نحو وسطها، وتفرطحت نحو قطبيها، وبذلك جمدت قشرتها أيضًا وبردَتْ، ولو كانت ساكنة لبقيت جِرْمًا غازيًا سائلًا؛ فلا تصلح لأنْ تكون فراشًا ولا مهدًا ولا ذلولًا، فثبت بذلك حركتها علىٰ محورها التي بها يتعاقب الليل والنهار.

وأما حركتها حول الشَّمس: فسبَبها أنَّ الشَّمس أكبر جرمًا مِن الأرض أضعافًا مضاعفة، وكلما كان الجرم أكبر؛ كان أكثر وأقوىٰ جاذبية مِن الأصغر.

فالشَّمس هي التي تجذب الأرض إليها مِن كل الجوانب؛ لِمَا تقرَّر علىٰ وجه ما ذكر في علم رفع الأثقال بالتجربة العَملية الصحيحة؛ وبذلك تبيَّن أنَّ هذه الآيات بظاهرها تدلُّ علىٰ أنَّ الأرض ليست منقادةً إلىٰ حركة رحوية بها تدور علىٰ محورها، ويتكون منها تعاقب الليل والنهار فقط، بل تتحرك أيضًا حركةً أخرىٰ حول الشَّمس، تتكون منها السَّنَة وفصُولها.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣]، فوجه دلالته أنَّ القاعدة العربية في الضَّمير الذي يعود علىٰ المُضاف إليه الذي ناب عنه التنوين في لفظ «كُلّ» أنه يجوز فيه الإفراد والتثنية، إن كان مرجع الحقيقي مُثَنىٰ، فالتثنية لمراعاة المعنىٰ، والإفراد لمراعاة اللفظ، وقد جاء الضمير في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ جمعًا؛ فكان مرجعه جمعًا.

وعلىٰ هذا اتفق المفسرون، غير أنهم أوَّلُوا ذلك بتَآوِيل شتَّىٰ؛ مَا دعَاهُم لارتكابها، إلَّا اعتقاد ما قاله البطليموسية مِن اليونان مِن «أنَّ الأرض ساكنة» مع أنه لم يقم دليل علىٰ سكون الأرض، بل الدليل قائم علىٰ دورانها؛ فلا داعي للتأويل، بل يجب أن تبقىٰ الآيتان علىٰ ظاهرهما، ويعود الضمير علىٰ الأجرام الثَّلاثة التي هي الأرض والشَّمس والقمر.

ومِمَّن استدلَّ علىٰ دوران الأرض في «تفسيره» بهاتين الآيتين وبقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢] ونظائرها من الآيات صاحب «كشف الأسرار النورانية القرآنية»(١).

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨] الآية.

فوجه دلالتها علىٰ دوران الأرض: أنَّ معناها أنَّا نرىٰ الجبال نظنها بحسب ما يتراءىٰ لنا ساكنة، وهي في الواقع ونفس الأمر تمرُّ مَرَّ السحاب، وتسير سيرًا حثيثًا، وما ذلك إلَّا لأنَّ الأرض متحرِّكة بحركةٍ سريعةٍ جدًّا، والجبال تسير وتتحرك تبعًا لها؛ لأنه لا جائز أن تكون الجبال متحركة هذه الحركة وحدها والأرض ساكنة؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لانفصلت الجبال عن الأرض، وهو خلاف المُشَاهَد؛ فتبيَّن أنَّ حركتها إذًا هي بالتَّبعِيَّة لحركة الأرض.

---

(١) هو كتابٌ للطبيب الإسكندري المتوفَّىٰ (١٢٩٩)، وهو كتابٌ في الحيوانات والنباتات والأجرام الأرضية والسماوية.

ولا جائز أنْ يكون ما نراه علىٰ الوجه الذي جاءت به الآية وقت النفخة الأولىٰ أو النفخة الثانية كما قيل بذلك؛ لأنه في كلِّ الوقتَيْن لا يكون هناك بقاء ولا وجود للجبال علىٰ الأرض علىٰ الوجه الذي يلائمه قوله تعالىٰ في الآية: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]؛ لأنَّ يوم النفختين هو اليوم الذي ترجف فيه الجبال، وتكون كثيبًا مهيلًا، وهو اليوم الذي ينسف الله فيه الجبال نسفًا، فيذرها قاعًا صفصفًا، لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا.

وهو اليوم الذي تكون فيه الجبال كالعهن المنفوش، والناس كالفراش المبثوث.

إلىٰ غير ذلك من الأحوال والأهوال التي لا تناسب أن يقال: ويخاطب كل من يصح منه الرؤية: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]؛ لأنَّ مثل هذا القول إنما يقال؛ لِحَضِّ الناس المخاطَبين علىٰ النظر في ذلك الصُّنع المُتقَن، والتفكير فيما اشتمل عليه مِن الحكم؛ ليزدادوا إيمانًا ويقينًا، وليس يوم النفختين صالحًا لمثل هذا.

إذا علِمْتَ كلَّ ما قُلناه في خلق السموات والأرض؛ تَعْلَم أن العاقل المُنصِف إذا نظر في هذه اللطائف التي اشتملَتْ عليها تلك الآيات القرآنية، وما دلَّت عليه مِن تدبير الصَّانع الحكيم، نظر منصفٍ مجرَّدًا عن التعصب؛ علِمَ علمًا يقِينًا، واعتقد اعتقادًا جازمًا أن القرآن قد اشتمل علىٰ كثير من مباحث

العلوم العمرانية والكونية، وأنَّ كُل ما قيل غير ذلك فِرْيَة بِلَا مِرْيَة، كيف وقد دلت علىٰ أن الله تعالىٰ حكيم مقتدر عليم، حيث جعل الأرض كرة دائرة؛ لتكون فراشًا ومهدًا وذلولًا». اهـ.

قال الشيخ الكافي في الرد علىٰ المطيعي:

المسألة السابعة والسبعون:

«**قوله:** «دوران الأرض وأخذه من القرآن».

لا يصح، كما تقف عليه إن شاء الله تعالىٰ.

قوله: «قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢] إلىٰ قوله، وكل هذه الآيات تدل بظاهرها علىٰ أن الأرض متحركة ودائرة».

لا يصح؛ لأن الآيات تدل دلالة صريحة علىٰ أن الأرض ثابتة، غير دائرة؛ ليتم الاستقرار عليها، وتثبت عليها أرْجُل الحيوانات، وتكون مهدًا وفراشًا وبساطًا وذَلولًا وقرارًا إذا كانت ثابتة غير متحركة، وأما إذا كانت متحركة وحركتها في السُّرعة كحركة السحاب الذي تذْرُوه الرياح؛ فلا عاقل يقول: إنها بهذه الصفة تكون مهدًا وقرارًا، إلىٰ آخر ما ذَكَر.

ثم ذكر الكافي كلام الرَّازي علىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، وقد تقدَّم ذِكره قريبًا في أول ما نقلنا من كلام الكافي؛ فليراجع.

وتقدم أيضًا الاستدلال بالآيات من سورة «البقرة»، وسورة «النمل»، وسورة «الزخرف»، وسورة «الملك» علىٰ ثبات الأرض واستقرارها، والاستِدلَال بالآيتَيْنِ من سورة «الأنبياء»، وسورة «يس» علىٰ جريان الشَّمس في الفلك، وكلام المفسرين في ذلك؛ فليراجع، فالعمدة عليه لا علىٰ كلام الملحدين في آيات الله تعالىٰ، المُحَرِّفين للكلم عن مواضعه، كالمطيعي وأشباهه من تلامذة الإفرنج ومقلديهم».

ثم قال الكافي في الرد علىٰ المطيعي:

«**قوله**: «كما هو رأي فيثاغورس قديمًا، وقول علماء الهيئة اليوم».

لا يكون حُجة في الموضوع؛ لأن الموضوع الذي التزَمهُ أن القرآن يُؤخَذ منه حركة الأرض، وقول فيثاغورس ومَن معَهُ ليس بقرآن.

قوله: «وذلك أنه ثبت بالمشاهدات الصَّحِيحَة»، إلىٰ قوله: «عند خط الاستواء».

لا ينجح في الموضوع؛ لأنه لم يُؤخَذ ذلك من القرآن.

قوله: «وقد أطبق المُحَقِّقون»، إلىٰ قوله: «ولا يُلتفت إليه».

خارج عن موضوع البحث، وهو دوران الأرض، وأخذه من القرآن؛ فلا فائدة فيه.

قوله: «فكان انتفاخها نحو خط الاستواء وتفرطحها نحو القطبين، دليلًا حِسِّيًّا علىٰ أن الأرض كانت سائلة في مبدإ خلقها».

لا يؤخذ ذلك من القرآن، وهو غيب عنا، فيحتاج إلىٰ وَحْيٍ يُسْفِر علىٰ ما ادَّعاه، ولا وحي.

والذي تدل عليه الآيات والآثار أنَّ اللهَ تعالىٰ خلَقَ الأرض علىٰ الوصف الذي نشاهده، لا أنها انتقلت «من طور إلىٰ طور كأطوار الجنين في بطن أمه».

قوله: «**وأنها متحركة**»، **إلىٰ قوله:** «وتفرطحت نحو قُطْبَيْهَا».

لا يؤخذ من القرآن؛ فلا يُعوَّل عليه كما تقدم.

قوله: «وبذلك جمدت قشرتها أيضًا وبردت».

لا يؤخذ من القرآن أيضًا، كما هو موضوع كلَامه؛ فلا ينظر إليه.

قوله: «ولو كانت ساكنة؛ لبقِيَت جرْمًا غازيًا سائلًا».

غير صحيح، بل هي ساكنة.

ودعوَىٰ كَوْن جرمها غازيًا سائلًا، دون إثباته خرط القتاد؛ لأنَّ ذلك مِن الأمور الغيبية التي لا تُعلَم إلَّا مِن طريق الوحي، ولا وَحْيَ.

قوله: «فلا تصلح لِأنْ تكون فراشًا ولا مهدًا ولا ذلولًا».

غير صحيح، بل لا تصلح لأنْ تكون مهدًا وذلولًا وفراشًا إلا إذا كانت

ساكنة، كما هو المعقول والمنقول.

قوله: «فثبت بذلك حركتها علىٰ محورها التي بها يتعاقب الليل والنهار».

لا يثبت إلَّا عنده، وعند مَن يتخيَّل تخيُّلاته.

قوله: «وأما حركتها حول الشَّمس»، إلىٰ قوله: «العملية الصحيحة».

لا يصح؛ لأن أصل الحركة لها غير ثابت، فضلًا عن حركتها حول الشَّمس؛ لأنه لا دليل علىٰ ما ذكره من القرآن المُدَّعىٰ أنه يثبت دوران الأرض من القرآن، فلم يثبته لنا ثبوتًا مسلَّمًا، ولن يستطيع أن يثبته.

قلت: وزَعَم المطيعي تقليدًا لأهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن فلاسفة الإفرنج أنَّ جِرْمَ الشَّمس أكبر من الأرض بأضعافٍ مُضاعفة لا دليل عليه من كتابٍ ولا سُنة، وإنما يعتمد أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في ذلك علىٰ نظاراتهم وآرائهم وتخرُّصاتهم وظنونهم التي لا تغني مِن الحق شيئًا.

والظاهر من أدلة الكتاب والسُّنة أنَّ جرم الأرض أكبر من الشَّمس والقمر والنجوم، وسيأتي إيراد الأدلة علىٰ ذلك مع الكلام علىٰ بطلان الهيئة الجَدِيدَة إن شاء الله تعالىٰ.

وأما زعمه أنَّ الشَّمس تجذب الأرض إليها مِن كل الجوانب؛ فهو قولٌ لَا دليلَ عليه مِن كتابٍ ولا سُنة ولا معقول صحيح، وما ليس عليه دليل؛ فليس عليه تعويل.

وقد جاء في عِدَّة أحاديث صحيحة أنَّ الشَّمس تُدنَىٰ مِن الأرض يوم القيامة، وفي بعضها أنها تكون من الناس بقدر مِيل.

وقد تقدم ذكر هذه الأحاديث مع الأدلة علىٰ ثبات الأرض؛ فلتراجع، ففيها إبطال لِمَا زعمَهُ المطيعي وسلَفُه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن جاذبية الشَّمس للأرض.

ولو فرضنا أنَّ بين الأرض والشَّمس جاذبية؛ لكانت للأرض لا للشمس؛ لأن الشَّمس هي التي تجري وتَدور علىٰ الأرض.

وإذا كان يوم القيامة أدنيت من الأرض حتىٰ تكون مِن النَّاس بقدر ميل، ثُم تكوَّر هي والقمر، ويُرمَىٰ بهما في البحر كما تقدم ذلك في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ والله أعلم.

ثم قال الشيخ الكافي في الرد علىٰ المطيعي:

قوله: «وبذلك تبيَّن أن هذه الآيات بظاهرها تدل علىٰ أن الأرض ليست منقادة إلىٰ حركة رحوية بها، تدور علىٰ محورها، ويتكون منها تعاقب الليل والنهار فقط؛ بل تتحرك أيضًا حركة أخرىٰ حول الشَّمس تتكون منها السَّنَة وفصُولها».

غير صحيح؛ لأن الآيات التي ذكرَهَا لم تدل بظاهرها ولا بباطنها، ولم تشعر مطلق إشعار بأنَّ الأرض تتحرك علىٰ محورها، ويتعاقب الليل والنهار

بسبب تلك الحركة.

ومن باب أولىٰ في عدم دلالتها علىٰ حركة الأرض حول الشَّمس، وإنما هي دعوىٰ ادَّعاهَا علىٰ الآيات، وهي بريئة من دعواه.

قلت: وذلك من الإلحاد في آيات الله، وتحريف الكلم عن مواضعه.

وقد قال شَيخُ الإسْلامِ أبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «مَن فسَّرَ القرآن والحديث، وتأوَّله علىٰ غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مُفتَرٍ علَىٰ الله، ملحدٌ في آيات الله، مُحَرِّفٌ للكلم عن مواضعه»(١).

قوله: «وقد جاء الضمير في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ جمعًا؛ فكان مرجعه جمعًا».

غير صحيح، بل المرجع مثنىٰ لا غير، وهو الشَّمس والقمر، وإطلاق الجمع علىٰ المثنىٰ، والمثنىٰ علىٰ الجمع، والمفرد عليهما، وهما علىٰ المفرد؛ سائغ في لغة العرب.

وبعضهم اعتبر المرجع جمعًا بزيادة النجوم علىٰ الشَّمس والقمر، ولا قائل برجوعه إلىٰ الأرض.

قلت: وقد اعتبر بعضهم المرجع جمعًا بزيادة الليل والنهار مع الشَّمس والقمر.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

قال ابن جرير في تفسير سورة «يس»: «وقوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠] يقول: وكل ما ذكرنا من الشَّمس، والقمر، والليل، والنهار في فلَكٍ يَجْرُون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»(١).

ثُمَّ روىٰ بإسناده عن مجاهد أنه قال: «يجري كل واحدٍ منهما»، يعني الليل والنهار: ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ يجرون(٢).

وقال ابن كثير في تفسير سورة «يس»: «وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ يعني الليل والنهار، والشَّمس والقمر؛ كلهم يسبحون؛ أي: يدورون في فلَكِ السَّماء، قاله ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، والحسَن، وقتادة، وعطاء الخراساني». انتهىٰ(٣).

وهذا هو الظاهر من سياق الآيات من سورة «الأنبياء»، وسورة «يس» حيث ذَكَر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الليل والنهار، والشَّمس والقمر، ثم قال: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾.

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٢٠).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٢١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٧٩).

وقد قرر هذا شيخ الإسلام أبو العباس ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- فقال في جوابه له:

«**وقوله:** ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣] يتناول الليل والنهار، والشَّمس والقمر، كما بيَّنَ ذلك في سورة «الأنبياء»، وكذلك في سورة «يس»: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٧ - ٤٠]، فتناول قوله: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ ما تقدم الليل والنهار، والشَّمس والقمر كما ذكر في سورة «الأنبياء»(١).

وقال الشيخ أيضًا في جوابٍ آخَر: «والله سبحانه قد أخبَر بأنَّ الشَّمس والقمر، والليل والنهار؛ كل ذلك يَسْبَح في الفُلك، فقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠].

والفُلك هو المستدير، كما ذكر ذلك مَن ذكرَهُ مِن الصَّحابة والتَّابعِين، وغيرهم مِن علماء المسلمين.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٩٣-٥٩٤).

والمستدير يظهر شيئًا بعد شيء، فيراه القريب منه قبل البعيد عنه». انتهى(١).

وأمَّا إعادة الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠] إلىٰ الأرض مع الشَّمس والقمر فهو من الإلحاد في آيات الله تعالىٰ، وتحريف الكلم عن مواضعه، ولا يقول بذلك إلا المفتونون بزخارف الإفرنج، وتخرُّصَاتهم وظنونهم الكاذبة، كالمُطِيعي وأشباهه مِن العصريين، الذين يتمسَّكون بأقوال أعداء الله تعالىٰ، ويُقدِّمونها علىٰ نصوص الكتاب والسُّنة، ويتأوَّلون القرآن علىٰ غير تأويله».

ثم قال الشيخ الكافي في الرد علىٰ المطيعي:

«**قوله:** «وعلىٰ هذا اتفق المفسِّرون، غير أنهم أوَّلوا ذلك بتآويل شتَّىٰ».

صحيح، غير أنَّهم لم يخرجوا بتأويلهم عمَّا يقتضيه لسان العرب، والقرآن العظيم الذي نزل بلغتهم فهم سادة يمدحون.

قوله: «ما دعاهم لارتكابها إلا اعتقاد ما قاله البَطْلَيْمُوسِيَّة مِن اليونان من أن الأرض ساكنة».

غير صحيح، ودعواه عليهم تقليد البطليموسية فِرْيَة بلَا مِرْيَة، بل إنما

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٦٠٠-٦٠١).

اتبعوا القرآن، وما ثبت من الأقوال عن السَّلف الصَّالح، حسب ما تقدم، وحسب ما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

قوله: «مع أنه لم يقم دليل علىٰ سكون الأرض».

غير صحيح، بل الدليل علىٰ سكونها قائم من القرآن، وغيره كما تقدم في المسألة الموفية عشرين، وكما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

قلت: قد تقدم ذكر المسألة العشرين في أول ما نقلته من كلام الكافي؛ فلتراجع.

قوله: «بل الدليل قائم علىٰ دوَرانِهَا».

غير صحيح؛ لأنه لم يقم لنا دليلًا من القرآن مسلَّمًا علىٰ دوَران الأرض.

وأما أنه ثابت عند فيثاغورس التابع له، هو فذاك خارج عمَّا ادَّعاه مِن إثبات دوران الأرض من القرآن، والمسلمون لم يسلموا دعوىٰ فيثاغورس ومَن كان علىٰ شاكِلَتِه.

قوله: «فلا داعي للتأويل».

غير صحيح، بل التَّأويل واقع في محلِّه.

قوله: «بل الواجب أن تبقىٰ الآيتان علىٰ ظاهرهما، ويعود الضَّمِير علَىٰ الأجرام الثلاثة، التي هي الأرض، والشَّمس، والقمر».

غير صحيح، بل يجب عوده علىٰ الشَّمس والقمر لا غير؛ لأنَّ عوده علىٰ الأرض بديه البطلان؛ لأنه لا فلك لها تسبح فيه -علىٰ فرض سبحها الباطل-؛ لأنَّ الأفلاك مِن العلويات والأرض مِن العالَم السفلي.

قلت: الصحيح أن الضَّمير عائد علىٰ الليل والنهار، والشَّمس والقمر، وقد تقدَّمَ تقرير هذا قريبًا في كلام ابن جرير، وأبي العباس ابن تَيمِيَّةَ، والعماد ابن كثير -رحمهم الله تعالىٰ.

وقد حكاه ابن جرير عن أهل التأويل.

قلت: يعني المفسرين.

وحكاه ابن كثير عن ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني؛ وبذلك تبقىٰ الآيتان علىٰ ظاهرهما، ولا يحتاج مع ذلك إلىٰ التأويل.

وأمَّا الزيادة علىٰ ما أخبر الله به في كتابه، كما فعل المُطِيعِي في إدخاله الأرض مع الشَّمس والقمر فيما أخبر الله به من السبح في الفلك، وإعراضه عما أخبر الله به من سبح الليل والنهار فيه؛ فذلك إلحادٌ فِي آيات الله تعالىٰ، وتحريف للكَلِم عن مواضعه، وليس ذلك مِن التَّأويل الجائز في شيء».

ثم قال الشيخ الكافي في الرد علىٰ المطيعي:

«**قوله:** «ومِمَّن استدلَّ علىٰ دوَران الأرض»، إلىٰ قوله: «النورانية القرآنية».

لا يفيد شيئًا؛ لأنه يقال: في استدلاله ما قيل في استدلال مفتي مصر سابقًا بلا فرق.

قوله: «**وأما قوله تعالىٰ:** ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨]، **الآية** فوجه **دلالتها** علىٰ دوران الأرض أن معناها، أنَّا نرىٰ الجبال نظنها بحسب ما يتراءىٰ لنا ساكنة»، إلىٰ قوله: «والجبال تسير وتتحرك تبعًا لها».

غير صحيح، ما أراده من الآية، بل المعنىٰ الصحيح للجبال، هو: أن لها وصفين:

أحدهما: في حال وجود الدنيا، وهو ثبوتها في نفسها، وثبوت الأرض بها، كما هو صريح القرآن العظيم.

وثانيهما: بعد أيَّام الدُّنيا، وهو مرورها مر السحاب في الواقع ونفس الأمر، وجامدة ساكنة بحسب ما يتراءىٰ للناظر إليها.

وقوله: «لأنه لا جائز أن تكون الجبال متحركة، هذه الحركة وحْدَها والأرض ساكنة؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لانفصلت الجبال عن الأرض، وهو خلاف المشاهد».

كلام قليل الجدوىٰ؛ لأن الجبال في حال الدنيا لا تتحرك هذه الحركة لا بنفسها، ولا تبعًا للأرض، وإنَّما تتحرَّك هذه الحركة وحدها يوم القيامة، وتنفصل عن الأرض، وتبقىٰ الأرض بارزة.

قوله: «فتبيَّنَ أنَّ حركتها إنما هي بالتبعية لحركة الأرض».

غير صحيح؛ لأنه لم يتبيَّن شيء، بل المتبين في نظر الناظر، وفي الواقع، ونفس الأمر: سكونهما معًا في هذه الدار.

قوله: «ولا جائز أن يكون ما نراه علىٰ الوجه الذي جاءت به الآية وقت النفخة الأولىٰ، أو النفخة الثانية كما قيل بذلك».

يقال للمفتي: هو الجائز والواقع، والقول بوقوع ذلك بعد النفخة الثانية أرجح في النظر، وما تستند إليه مما يقوي قولك التابع فيه لفيثاغورس، ويضعف قول من يقول بسيرها بعد وقوع النفخة الأولىٰ أو النفخة الثانية؛ سنرده -إن شاء الله تعالىٰ- ردًّا يفقهه مَن له أدنىٰ إلمام بالعلم.

قوله: «لأنه في كلٍّ مِن الوَقْتَيْنِ لا يكون هناك بقاءٌ ولا وجودٌ للجبال علىٰ الأرض، علىٰ الوجه الذي يلائمه قوله تعالىٰ في الآية: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]».

حقٌّ وصِدْق، بالنسبة لعدم بقاء ووجود الجبال علىٰ وجه الأرض.

وغير حقٍّ وصِدْقٍ، بالنسبة لعدم ملائمة ذلك للآية، بل هو مُلائِم للآية تمام المُلاءمَة.

وذلك أن تسْيير الجبال الراسيات الشامخات تسييرًا في الجو حثيثًا، ويظن الناظر إليها أنها جامدة؛ أي: ثابتة في مكانها، والحال أنها تمر مر السحاب هو

صنع الله المتقَن، وكل أفعال الله متقنة؛ فهو سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أرسىٰ بها الأرض في الدار الأولىٰ؛ فأتقَنَ إرساءها وسيرها في الدار الآخرة فأتقن تسييرها.

قوله: «لأن يوم النفختين هو اليوم الذي ترجف فيه الجبال وتكون كثيبًا مهيلًا، وهو اليوم الذي ينسف الله فيه الجبال نسفًا»، إلىٰ قوله: «من الأحوال والأهوال».

صحيح، غير أنه ترك مِن أوصافها أنَّ النَّاظر إليها يخيل له أنها جامدة؛ أي: ثابتة في أماكنها، والواقع أنها تمر مر السحاب.

قوله: «**التي لا تناسب أن يقال:** ويُخاطب كل من يصح منه الرؤية: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]».

غير صحيح، بل لا يناسب إلَّا هو؛ لأنَّ أصل الخِطَاب لبَيان هَوْل وشِدَّة ذلك اليوم لا غير، ومَن ادَّعَىٰ خلاف هذا؛ فلم يُمْعِن النَّظَر في سابق: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾، وهو: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ [النمل: ٨٢]، ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [النمل: ٨٧] ولو أمعن لَمَا تفوَّه بما قال، إلا إذا رسخ في ذهنه مذهب فيثاغورس وأهْل الهَيْئةِ الحديثة.

قوله: «**لأن مثل هذا القول إنما يقال:** لحَضِّ الناس المُخاطَبين علىٰ النظر في ذلك الصنع المتقَن، والتفكر فيما اشتمل عليه من الحكم؛ ليزدَادُوا إيمانًا ويقينًا».

غير صحيح؛ لأنَّ الخِطَاب هنا ليس لحظ المخاطبين، إلىٰ آخر ما قال، بل هو لبيان هَوْلِ ذلك اليوم، كما تقدم، وكما يأتي في كلام الراسخين في العلم.

وإنَّما جاء الخِطَاب للناس؛ ليتفكَّروا في نصب الجبال علىٰ الأرض المشاهَد لهم في قوله تعالىٰ في سورة «الغاشية»: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

وأما أنهم يتذكَّرون، ويزدادون إيمانًا ويقينًا بشيءٍ لم يشاهدوه، ولم يخطر ببالهم؛ فهذا مما لا يساعده عقلٌ ولا نقل.

قوله: وليس يوم النفختين صالحًا لمثل هذا.

صحيح في حد ذاته؛ لأنه لبيان هول ذلك اليوم، لا للتذكير والوعظ.

قوله: «إذا علِمْتَ ما قلنا في خلق السماوات والأرض؛ تعلم أنَّ العاقل المُنصِف إذا نظر في هذه اللطائف التي اشتملَتْ عليها تلك الآيات القرآنية»، إلىٰ قوله: «العمرانية والكونية».

غير صحيح، بالنسبة لِمَا قرَّره في دوَران الأرض، وإنه لم يأت بلطيفةٍ واحدةٍ تُذكر، إلا بلطيفةٍ وهي مخالفته لصريح نص القرآن، وهجرانه لِمَا قرره علماء المسلمين من الصدر الأول إلىٰ وقتنا هذا، واعتناقه مذهب فيثاغورس، ومَن كان علىٰ شاكلته، والقرآن تُنَزَّه ساحَتُه عن مثل هذا اللغو.

قوله: «وأن كل ما قيل غير ذلك فِرْيَة بلا مِرْيَة».

معكوس! أعْنِي ما قرَّره هو فريةٌ بلَا مرية.

قوله: «كيف، وقد دلَّت علىٰ أن الله تعالىٰ حكيم عليم، حيث جعل الأرض كُرَةً دائرة؛ لتكون فراشًا ومهدًا وذَلُولًا.

غير صحيح، بالنسبة لكَوْنِ الله تعالىٰ جعل الأرض كرة دائرة؛ لأنه لا شيء من القرآن يدلُّ علىٰ ذلك البتة، كما تقدَّم.

وأما كونه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حكيمًا مقتدرًا عليمًا؛ فهذا ثابتٌ له بنص الكتاب، بقطع النظر عن كون الأرض كرة دائرة، أو غير كرة وغير دائرة.

ذكر أقوال بعض علماء المسلمين الذين لمَزهُم مفتي مصر سابقًا بكونهم: ما دعاهم لقولهم بسكون الأرض إلَّا تقليد البَطْلَيْمُوسِيَّة من اليونان؛ وسيحاكمونه يوم القيامة عند الله تعالىٰ.

قال الشربيني[1]: «﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾؛ **أي**: تبصرها وقت النفخة، والخطاب للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لكونه أنفذ الناس بصرًا، وأنورهم بصيرةً، أو لكل أحد:

---

(١) هو الخطيب الشربيني، الشافعي، القاهري، الفقيه، المفسر، المتكلم، النحوي، وُلد في شربين بالدقهلية إحدىٰ محافظات مصر، ثم انتقل إلىٰ القاهرة واستوطنها حتىٰ توفي سنة (٩٧٧هـ)، كان من شيوخه زكريا الأنصاري، وشهاب الدين الرملي. انظر: «شذرات الذهب» (١٠/ ٥٦١).

﴿تَحْسَبُهَا﴾؛ أي: تظنها: ﴿جَامِدَةً﴾؛ أي: قائمة ثابتة في مكانها لا تتحرك؛ لأن الأجرام الكبار إذا تحرَّكَتْ في سمت واحدٍ لا تكاد تتبيَّن حركتها: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾؛ أي: تسير حتىٰ تقع علىٰ الأرض، فتستوي بها مبثوثة، ثم تصير كالعِهْن، ثم تصير هباء منثورًا، وأشار تعالىٰ إلىٰ أن سيرها خفي، وإن كان حثيثًا، بقوله تعالىٰ: ﴿مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ أي: مرًّا سريعًا لا يدرك علىٰ ما هو عليه». اهـ باختصار(١).

الرازي: «**قوله تعالىٰ:** ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

اعلم أنَّ هذا هو العلَامة الثالثة لقيام الساعة، وهي تسيير الجبال والوجه في حسبانهم أنها جامدة؛ فلأنَّ الأجسَام الكبار إذا تحرَّكت حركة سريعة علىٰ نهج واحد في السَّمت والكيفِيَّة؛ ظنَّ النَّاظر إليها أنها واقفة، مع أنها تمر مرًّا حثيثًا.

أما قوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ فهو من المصادر المؤكدة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾، و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ إلا أن مؤكده محذوف، وهو الناصب ليوم ينفخ.

والمعنىٰ: أنه لمَّا قدَّمَ ذكَر هذه الأمور التي لا يقدر عليها سواه؛ جعل هذَا الصُّنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتىٰ بها علىٰ الحكمة والصَّواب». اهـ باختصار(٢).

---

(١) «السراج المنير» للخطيب الشربيني (٣/ ٧٧).

(٢) «تفسير الفخر الرازي» (٢٤/ ٥٧٤-٥٧٥).

ثم قال الشيخ الكافي:

«**قال أبو السعود على قوله تعالى:** ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾، عطف على يُنفخ داخل في حكم التذكير، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾؛ أي: ثابتة في أماكنها، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ أي: تراها رأيَ العين ساكنة، والحال أنَّها تمرُّ مرَّ السحاب التي تسيرها الرِّياح سيرًا حثيثًا».

إلى أن قال: «وهذا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق، يبدل الله عَزَّوَجَلَّ الأرض غير الأرض، ويغير هيئتها، ويسير الجبال عن مَقارِّها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر.

وهي وإن اندكت وتصدَّعَت عند النفخة الأولى، لكن تسييرها، وتسوية الأرض، إنما يكونان بعد النفخة الثانية». اهـ باختصار(١).

الرازي، عند قوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ: ٢٠] **قال:** «اعلَمْ أن اللهَ تعالى ذكر في مواضع من كتابه أحوال هذه الجبال على وجوهٍ مُختلفة، ويمكن الجَمْع بينها على الوجه الذي نقوله، وهو أن أَوَّل أحوالها الاندِكَاك، وهو قوله: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤].

والحالة الثانية: لها أن تصير كالعهن المنفوش.

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٠٤).

وذكر الله ذلك في قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: ٤، ٥]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ [المعارج: ٨، ٩].

والحالة الثالثة: أن تصير كالهباء، وذلك أن تتقطَّع وتتبدَّد بعد أن كانت كالعهن، وهو قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة: ٤ - ٦].

والحالة الرابعة: أن تُنسَف؛ لأنَّها مع الأحوال المتقدِّمة، قارة في مواضعها، والأرض تحتها غير بارزة، فتنسف عنها بإرسال الرياح عليها، وهو المراد مِن قوله: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥﴾ [طه: ١٠٥].

والحالة الخامسة: أنَّ الرِّياح ترفعها عن وجه الأرض، فتطيرها شعاعًا في الهواء، كأنها غبار، فمن نظر إليها مِن بعدُ حَسِبهَا أجسامًا جامدة؛ لتكاثفها، وهي في الحقيقة مارَّة، إلَّا أن مرورها بسبب مرور الرِّياح بها مندكة متفتتة، وهي قوله: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾.

ثُم بيَّن أنَّ تلك الحركة حصلت بقهره وتسخيره، فقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

والحالة السادسة: أن تصير سَرابًا، بمعنىٰ لا شيء، فمن نظر إلىٰ مواضعها؛ لم يجد فيها شيئًا، كما أنَّ مَن يرىٰ السراب مِن بعد إذا أتىٰ الموضع

الذي كان يراه فيه لم يجده شيئًا، والله أعلم.

واعلم أن الأحوال المذكورة إلىٰ ههنا هي أحوال عامة القيامة». اهـ المراد منه(١).

أبو السعود، قال عند قوله تعالىٰ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾: «أي: في الجو علىٰ هيئاتها بعد قلعها من مقارها، كما يعرب عنه قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ أي: تراها رأي العين ساكنة في أماكنها، والحال أنها تمر مرَّ السحاب الذي تسيره الرِّياح سيرًا حثيثًا، وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت نحوًا من الأنحاء؛ لا تكاد تتبيَّن حركتها، وإن كانت في غاية السرعة، لاسيما من بعيد.

وقد أدمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب، في تخلخل الأجزاء، وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالىٰ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة: ٥]، يبدل الله تعالىٰ الأرض، ويغير هيئتها، ويسير الجبال علىٰ تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية؛ ليشاهدوها، ثم يفرقها في الهواء، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ: ٢٠]؛ أي: فصارت بعد تسييرها مثل السراب، كقوله تعالىٰ: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾؛ أي: غبارًا منتشرًا.

---

(١) «تفسير الفخر الرازي» (٣١/ ١٨).

وهي وإن اندكت وانصدعت عند النفخة الأولىٰ، لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية، كما نطق به قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨]؛ فإن اتِّباع الداعي الذي هو إسرافيل، وبروز الخلق لله تعالىٰ لا يكون إلا بعد الثانية». اهـ[(١)].

قلت: وقال ابن جرير في تفسير سورة «النمل»: «يقول تعالىٰ ذكره: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ يا محمد: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ﴾، كالذي حدثني علِي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية، عن علي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾، يقول قائمة، وإنما قيل: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ لأنها تُجمع، ثم تسير، فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة، وهي تسير سيرًا حثيثًا، كما قال النابغة الجعدي[(٢)]:

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٢٢٦).

(٢) النابغة الجعدي، أبو ليلىٰ، عبد الله بن قيس بن عدس بن جعدة شاعر زمانه، له صُحبة، ووفادة، ورواية، وهو مِن بَنِي عامر بن صعصعة، يقال: عاش مئة وعشرين سنة، وكان ينتقل في البلاد، ويمتدح الأمراء. انظر: «طبقات فحول الشعراء» (١/ ١٢٣- ١٣١)، و«أسد الغابة» (٤/ ٢٢٣) و(٥/ ٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٧٧).

بِأَرْعَنَ(١) مِثْلِ الطَّوْدِ(٢) تَحْسِبُ وُقُوفٌ لِحَاجٍ(٣) وَالرِّكَابُ

وقال أبو الفرج ابن الجوزي في «تفسيره»:

«قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ قال ابن قتيبة: هذا يكون إذا نفخ في الصور، تجمع الجبال وتسير؛ فهي لكثرتها تحسب: ﴿جَامِدَةً﴾؛ أي: واقفة: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾؛ أي: تسير سير السحاب.

وكذلك كل جيش عظيم يحسبه الناظر من بعيد واقفًا، وهو يسير لكثرته».

ثم ذكر قول النابغة الجعدي في وصف الجيش، وقد تقدَّمَ ذِكْرُه في كلام ابن جرير.

ثم قال: «وقوله تعالىٰ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾، قال الزَّجَّاج: هو منصوب علىٰ

---

(١) «الأرْعَن»: يريد به الجيش العظيم، شبَّهَهُ بالجبل الضخم ذي الرعان، وهي الفضول، كرعان الجبال. والرَّعن: الأنف العظيم من الجبل تراه متقدمًا. وقيل: الأرعن، هو المضطرب لكثرته.

(٢) «الطود»: الجبل العظيم.

(٣) جمْع حاجة.

(٤) «تُهَمْلِج»: تمشِي الرِّكابُ الهملجة، أي: تَسِير بِحُسْنٍ في سُرعَة.

(٥) «تفسير الطبري» (١٩/ ٥٠٦)، والبيت شاهدٌ علىٰ أن الشيء الضخم تراه وهو يتحرَّك، فتحسبه ساكنًا، مع أنه مسرع في سيره جدًّا، وذلك كسير الجيش، وكسير السفينة في البحر، يحسبها الناظر إليها كأنها واقفة؛ وذلك هو شأن الجبال عند القيامة: تراها كأنها جامدة، وهي تسير مسرعة كالسحاب.

المصدر؛ لأن قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ دليل علىٰ الصنعة، فكأنه قال (صنع الله ذلك صنعًا).

ويجوز الرفع علىٰ معنىٰ ذلك صنع الله، فأما الإتقان فهو في اللغة إحكام الشيء». انتهىٰ[(١)].

وقال البغوي في «تفسيره»:

«**قال الله تعالىٰ:** ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾، قائمة واقفة: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ أي: تسير سير السحاب؛ حتىٰ تقع علىٰ الأرض فتسوىٰ بها، وذلك أن كلَّ شيء عظيم، وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته، وبعد ما بين أطرافه فهو في حسبان الناظر واقف، وهو سائر كذلك سير الجبال لا يرىٰ يوم القيامة؛ لعِظَمها، كما أن سَيْر السحاب لا يُرىٰ لعظمه، وهو سائر». انتهىٰ[(٢)].

وقال القرطبي في «تفسيره»: «قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ قال ابن عباس: أي: قائمة وهي تسير سيرًا حثيثًا.

قال القُتَبِي[(٣)]: «وذلك أن الجبال تُجمع وتَسِير، فهي في رؤية العين كالقائمة، وهي تسير، وكذلك كل شيء عظيم، وجمع كثير يقصر عنه النظر لكثرته، وبعد ما

---

(١) «زاد المسير» (٦/ ١٩٦).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/ ١٨٣).

(٣) هو ابن قتيبة الدينوري، وقد تقدمت ترجمته.

بين أطرافه، وهو في حسبان الناظر كالواقف، وهو يسير»[(١)].

ثم ذكر قول النابغة الجعدي في وصف الجيش العظيم، وتقدم ذِكْرُه.

ثم قال: «**قال القُشَيري:** وهذا يوم القيامة. أي: هي لكثرتها كأنها جامدة؛ أي: واقفة في مرأىٰ العين، وإن كانت في أنفسها تسير سير السحاب، والسحاب المتراكم يظن أنها واقفة وهي تسير،؛ أي: تمر مر السحاب حتىٰ لا يبقىٰ منها شيء.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ [النبأ: ٢٠].

ويقال: إن الله تعالىٰ وصف الجبال بصفات مختلفة، ترجع كلها إلىٰ تفريغ الأرض منها، وإبراز ما كانت تواريه.

فأول الصفات الاندكاك، وذلك قبل الزلزلة، ثم تصير كالعهن المنفوش، وذلك إذا صارت السماء كالمهل، وقد جمع الله بينهما، فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ [المعارج: ٨، ٩]»[(٢)].

والحالة الثالثة: أن تصير كالهباء، وذلك أن تتقطَّع بعد أن كانت كالعهن.

والحالة الرابعة: أن تنسف؛ لأنها مع الأحوال المتقدمة، قارة في مواضعها

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٤٢).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٤٢).

والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها لتبرز.

فإذا نسفت فبإرسال الرياح عليها.

والحالة الخامسة: أنَّ الرِّياح ترفعها علىٰ وجه الأرض، فتطيرها شُعاعًا في الهواء؛ كأنها غبار، فمن نظر إليها مِن بعد حسبها؛ لتكاثفها أجسامًا جامدة، وهي في الحقيقة مارَّة إلَّا أن مرورها مِن وراء الرِّياح كأنها مندكَّة مُتفتَّتة.

والحالة السادسة: أن تكون سرابًا فمن نظر إلىٰ مواضعها؛ لم يجد فيها شيئًا منها كالسراب، قال مقاتل(١): تقع علىٰ الأرض فتسوىٰ بها». انتهىٰ(٢).

وقال ابن كثير في «تفسيره»: «وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ أي: تراها كأنها ثابتة باقية علىٰ ما كانت عليه، وهي تمر مرَّ السَّحاب؛ أي: تزول عن أماكنها، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ [الطور: ٩، ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

---

(١) هو الإمام، المفسر، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي، روىٰ عن: نافع مولىٰ ابن عمر، والزهري، والضحَّاك، ومجاهد، وابن سيرين، وثابت البناني، وزيد بن أسلم، وعطاء بن أبي رباح، وروَىٰ عنه: بقية بن الوليد، وسعد بن الصَّلْت، توفي (١٥٠هـ)، انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٧٧).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٤٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]؛ أي: يفعل ذلك بقدرته العظيمة: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾؛ أي: أتقن كل ما خلق، وأوْدَعَ فيه مِن الحِكْمَةِ ما أودع». انتهىٰ(١).

وكلَام المفسرين بنحو ما ذكرنا كثير جدًّا، وكلهم علىٰ خِلَاف ما ذهب إليه المطيعي وأشباهُه من تلامذة الإفرنج، ومقلديهم مِن العصريين.

ثم قال الشيخ الكافي:

«**المسألة الثامنة والسبعون: في بيَانِ أنَّ صُنع الله تعالىٰ كيف ما وقع لا يكون إلَّا متقنًا، سواء كان قبل النفختين أو بعدهما.**

وقَصْرُ مفتي مصر سابقًا ذلك علىٰ ما قبل النفختين، وأن ما بعد النفختين لا ينبغي أن يخاطب به الناس، لا ينظر إليه ولا يعوَّل عليه.

الجلال المَحلِّي(٢)، قال في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾: «مصدر

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢١٧).

(٢) هو الإمام المفسر، جلال الدين، أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن كمال الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم العباسي الأنصاري، المحلي الأصل، نسبة إلىٰ المحلة الكبرىٰ بمحافظة الغربية بمصر، الشافعي، وُلد (٧٩١هـ) أخذ عن الفقيه إبراهيم البيجوري، والجلال البلقيني، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وغيرهم، وكان من تلامذته: جلال الدين السيوطي، وزكريا الأنصاري، وغيرهما، مات في مستهل سنة (٨٦٤هـ). انظر: «شذرات الذهب» (٩/ ٤٤٧)، و«الأعلام» (٥/ ٣٣٣).

مؤكد لمضمون الجملة قبله، أضيف إلىٰ فاعله بعد حذف عامله؛ أي: صنع الله ذلك صنعًا: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ﴾ أحكم: ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ صنعه»[1].

العلامة زاده[2]: قوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مؤكد لمضمون الجملة قبله، فإنَّ ما تقدَّم من نفخ الصور المؤدي إلىٰ الفزع العام، وحضور الكل الموقف، وما فعل بالجبال إنما هو من صنع الله، لا يحتمل غيره.

قال أبو السعود علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾: «مصدر مؤكد لمضمون ما قبله؛ أي: صنع الله ذلك صنعًا علَىٰ أنه عبارة عمَّا ذكر من النفخ في الصور، وما ترتَّب عليه جميعًا قصد به التنبيه علىٰ عظم شأن تلك الأفاعيل، وتهويل أمرها، والإيذان بأنها ليست بطريق إخلال نظام العالم، وإفساد أحوال الكائنات بالكلية، من غير أن يدعو إليها داعية، أو يكون لها عاقبة، بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالىٰ، المبنية علىٰ أساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لأجلها رتَّب مقدمات الخلق، ومبادئ الإبداع علىٰ الوجه المَتِين، والنهج الرصين، كما يعرب عنه قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾؛ أي: أحكم خلقه

---

(١) «تفسير الجلالين» (ص٥٠٥).

(٢) شيخ زاده، محمد (محيي الدين) بن مصطفىٰ (مصلح الدين) القوجوي: مفسر، من فقهاء الحنفية. كان مدرسًا في إستانبول. له (حاشية علىٰ أنوار التنزيل للبيضاوي - ط) أربعة مجلدات، قال الحاج خليفة: وهي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعًا وأسهلها عبارة. توفي سنة (٩٥١هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٧/ ٩٩).

وسواه علىٰ ما تقتضيه الحكمة.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨﴾ تعليل لكون ما ذكر صنعًا محكمًا له تعالىٰ، ببيان أن علمه تعالىٰ بظواهر أفعال المكلفين وبواطنها مما يدعو إلىٰ إظهارها، وبيان كيفيتها علىٰ ما هي عليه من الحسن والسوء، وترتيب جزائها عليها، بعد بعثهم وحشرهم، وجعل السموات والأرض والجبال علىٰ وفق ما نطق به التنزيل؛ ليتحققوا بمشاهدة ذلك، أن وعد الله حق لا ريب فيه». اهـ(1).

كتب الزمخشري(2) علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾: «من المصادر المؤكدة، كقوله ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ و﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ إلا أن مؤكده محذوف، وهو الناصب ليوم ينفخ.

والمعنىٰ: ويوم ينفخ في الصور، وكان كيْتَ وكَيْت؛ أثاب الله المحسنين، وعاقب المجرمين.

ثم قال ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ يريد به الإثابة والمعاقبة، وجعل هذا الصنع من جملة

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٠٥).

(٢) الزمخشري، العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، صاحب «الكشاف»، رحل، وسمع ببغداد من نصر بن البطر وغيره، وحَجَّ، وجَاوَرَ، وتخرَّجَ به أئمة، وُلد (٤٦٧هـ)، وكان رأسًا في البلاغة والعربية والمعاني والبيَان، وله نَظمٌ جيِّد، توفي (٥٣٨هـ). انظر: «معجم الأدباء» (١٩/ ١٢٦-١٣٥)، «الكامل» (١١/ ٩٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ١٥١).

الأشياء التي أتقنها، وأتىٰ بها علىٰ الحكمة والصواب، حيث قال: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، يعني أن مقابلة الحَسَنة بالثواب، والسَّيئة بالعِقَاب مِن جُملة إحكامه للأشياء، وإتقانه لها، وإجرائه لها علىٰ قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد، وبما يستوجبون فيكافيهم علىٰ حسب ذلك، ثم لخص ذلك بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ إلىٰ آخر الآيتين.

فانظر إلىٰ بلاغة هذا الكلام، وحُسْن نظمه وترتيبه، ومكانة إضماده -أي: جمعه- ورصانة تفسيره، وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغًا واحدًا.

ولا مر ما أعجز القُوَىٰ، وأخرس الشقاشق -يعني الخطباء-، ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلَام، جاء كالشَّاهد بصِحَّته، والمنادي علىٰ سداده، وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلَّا كما قد كان.

ألا ترىٰ إلىٰ قوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ و﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ و﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ بعد ما وسمه بإضافتها إليه بسمة التعظيم، كيف تلاها بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝٢٠﴾ [الزُّمَر: ٢٠]، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]. اهـ محل الحاجة منه(١).

* * *

(١) «الكشاف» (٣/ ٣٨٧).

فصل

قال الصواف في تعقيبه علىٰ الشيخ عبد العزيز بن باز، ما نصُّه:

«**لقد قرأت بإمعان مقالك القيِّم**: «الشَّمس جارية والأرض ثابتة»، ولمَسْتُ الضَّجة الكبرىٰ التي أحدثَها في الأوساط العلمية، والمَجامع الثَّقافية، وقد كان حديث المجالس، وحديث الغادِينَ والرَّائحِين، وكانوا ما بين مُوافقٍ ومُخالِف، ولم تكن الغرابة مِن موضوع المقال، فالخِلَاف في هذا الأمر قديمٌ وحديث، ولكن الضَّجة مما جاء في المقال مِن التَّكفير والتَّضليل، والحُكم بالرِّدة، حيث قلتَ بعد أنْ سُقْتَ بعض الأدلة:

«وهكذا علماء الإسلام المعروفون، المُعتمَد عليهم في هذا الباب وغيره، قد صرَّحوا بما دل عليه القرآن الكريم، مِن كون الشَّمس والقمر جارِيَيْن في فلَكِهما، علىٰ التنظيم الذي نظمه الله لهما، وأنَّ الأرض قارَّة ساكنة، قد أرساها الله بالجبال، وجعلها أوتادًا لها، فمن زعم خلاف ذلك، وقال: إن الشَّمس ثابتة لا جارية؛ فقد كذَّبَ الله، وكذَّب كتابَه الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِن خَلْفهِ تنزيل من حكيم حميد».

ثم قلتَ -حفظك الله-: «وكل مَن قال هذا القول؛ فقد قال كفرًا وضلالًا؛ لأنه تكذيب لله، وتكذيب للقرآن، وتكذيب للرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلخ».

مِن هُنا -يا أخي- انطلقَت الضَّجة حتىٰ أحدثت لها عجاجة في الأفق العلمي، ما كان أغنانَا عنها خاصة، وقد صدَمَتْ هذه الفتوىٰ الملَايِين من شباب ورجال يدينون بالإسلام في هذا العصر، والذين أصبحوا يعتقدون أن مثل هذه الأمور أصبحت عندهم مِن المُسَلَّمات العلمية، التي لا يجادل فيها اثنان، فكيف تُنفَىٰ نفيًا قاطعًا، ويَكفُر القائل بها، ويُحكَم عليه بالردة، ويستباح دمه وماله؟

نعم، إنَّ مَن كذَّبَ اللهَ ورسُولَه، وكذب كتابه؛ فهو كافرٌ مُرتَدٌّ، ومجرم أثيم، كما قلتم في مقالكم.

وأنا أقول: وعليه غضب الله ولعنَتُه إلىٰ يوم الدين.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: إن بيان الحق واجب علىٰ العلماء، وكتمانه حرام عليهم؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ**﴾ [آل عمران: ١٨٧]؛ فدلَّت هذه الآية الكريمة علىٰ أنه لا يجوز للعلماء كتمان ما يعلمونه من الحق، بل يجب عليهم بيانه للناس سواء قبلوه منهم أو ردوه.

وإذا حدث بسبب بيان الحق ضجة مِن الجُهَّال؛ لم يكن ذلك مانعًا من بيان الحق، والدعاء إليه، وإنكار الباطل، والتحذير منه.

وقد أحدثت دعوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضجة عظيمة عند المشركين، ولم

تكن ضجتهم مانعة له من بيان الحق، والدعاء إليه، وإنكار المنكر والتحذير منه.

وكذلك أهل الردة قد أحدثوا ضجة عظيمة بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حتىٰ قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا خليفة رسول الله، تألَّف الناس، وارْفُق بهم»، فقال: أجبَّار في الجاهلية، وخوَّارٌ في الإسلام؟!

ولم تمنعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضجتهم من قتالهم وردهم إلىٰ الحق.

وكذلك أمير المؤمنين علِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قد أحدث عليه الخوارج ضجة عظيمة، ولم تكن ضجَّتهم مانعة له من دعوتهم إلىٰ الحق وقتالهم عليه.

وكذلك الإمام أحمد وغيره من أهل السنة قد أحدث عليهم الجهمية وغيرهم من أهل البدع ضجة عظيمة، ولم تكن ضجتهم مانعة لأحمد وغيره من بيان الحق والدعوة إليه وتكفير الجهمية وغيرهم، ممن يستحق التكفير من أهل البدع.

وكذلك شيخ الإسلام أبو العباس ابن تَيمِيَّةَ وأصحابه قد أحدث عليهم القبوريون وأصناف أهل البدع ضجة عظيمة، ولم تكن ضجتهم مانعة للشيخ وأصحابه من بيان الحق، والدعوة إليه، وإنكار الباطل والتحذير منه وتكفير من يستحق التكفير من القبوريين وأهل البدع.

وكذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأنصاره، وأولاده، وأحفاده، ومَن سار علىٰ منهاجهم في بيان الحق، والدعوة إليه قد أحدث عليهم

القبوريون وأصناف أهل البدع ضجة عظيمة، ولم تكن ضجتهم مانعة للشيخ وأتباعه من بيان الحق، والدعوة إليه، وإنكار الباطل والتحذير منه، وتكفير من يستحق التكفير من القبوريين وأهل البدع.

وهكذا نقول فيما ذكره الصوَّاف من ضجة أتباع أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، ومقلديهم مِن ضعفاء البصيرة أنَّ ضجَّتهم ليست مانعة من بيان الحق وإنكار الباطل، وتكفير من كذب الله وكتابه ورسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوجه الثاني: أن يقال: ما هذا اللَّوْم يا صوَّاف علىٰ بيان الحق وإنكار الباطل؟!

أترضىٰ لنفسك أن تكون من الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

ولو أنك وجَّهْتَ لَوْمَكَ إلىٰ الذين ينشرون المقالات في تأييد الباطل وأهله؛ لكان خيرًا لك من الجدال بالباطل لإدحاض الحق.

الوجه الثالث: أن يقال: ما يدريك أن الملايين من المسلمين يعتقدون صحة ما روجه أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة في استقرار الشَّمس ودوران الأرض عليها؟

هل أخبروك بذلك عن أنفسهم، أو أخبرك الثقاة عنهم؟

وإذا لم يخبروك، فهل أنت مطلع علىٰ الغيب، وعالم بما يعتقده الناس؟

وإذا لم يكن عندك علم الغيب، فلا بد لك من الأمر الثالث وهو: اتباع الظن! وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الظَّن أَكْذَبُ الحَدِيثِ**»، متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

الوجه الرابع: أن يقال: علىٰ سبيل الفرض والتقدير، إذا كان الملايين من ضعفاء البصيرة قد انخدعوا لِمَا روَّجَهُ أعداء الله تعالىٰ مما هو مخالف لكتاب الله تعالىٰ وسُنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولِمَا كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة العلم والهدىٰ مِن بَعْدِهم، فهل يكون قبولهم لزَخارف أعداء الله تعالىٰ، وتأثُّرهم مِن بيان الحق، ونشره موجبًا لكتمانه، ومانعًا من بيانه ونشره؛ كلا، بل الواجب بيان الحق ونشره، ولو صدم الملايين الكثيرة، وقد قال الله تعالىٰ لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾**﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾**﴾ [الرعد: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿**إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ**﴾ [الشورىٰ: ٤٨].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة**»، رواه الإمام أحمد، والبخاري، والترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

وفي «الصَّحِيحَيْن» وغيرهما عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي العُسْرِ وَاليُسْر، وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَه، وَعلَىٰ أَثَرةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنازِعَ الأَمْرَ أَهْلَه، إِلَّا أَنْ ترَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِندَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَان، وعَلَىٰ أَنْ نَقُولَ بِالحَقِّ أيْنما كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَة لَائِم**»(١).

فالواجب علىٰ ورثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبلغوا عنه، ويفرقوا بين الحق والباطل، ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر؛ سواء رضِيَ الناس بذلك أو سخطوا.

الوجه الخامس: أن يقال: إذا كان الملايين من الناس يعتقدون صحة ما قاله أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في استقرار الشَّمس ودوران الأرض عليها، فهل يكون اعتقادهم ذلك دليلًا علىٰ صحته في نفس الأمر؛ حتىٰ يتعين الأخذ به، وتُلْغَىٰ لأجل ذلك النصوص الدالة علىٰ خلاف ما يعتقدون، ويلغي -أيضًا- إجماع المسلمين علىٰ خلاف قولهم.

كلا، بل الأخذ بالنصوص وإجماع المسلمين هو المُتَعين، وما خالف ذلك فمضروب به عرض الحائط:

لَا عِبْـرةً بِمُخَـالِفٍ لهـمُ وَلَـوْ ... كَـانُوا عَدِيـد الشَّـاءِ وَالبعْـرَانِ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

وقد كان الجهمية وغيرهم من أهل البدع يعتقدون صحة ما ذهبوا إليه من البدع، ولم يكن اعتقادهم ذلك دليلًا علىٰ صحة مذاهبهم في نفس الأمر.

وهكذا أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة وأتباعهم فإن قولهم في استقرار الشَّمس ودوران الأرض عليها قولٌ باطل، واعتقاد مخالف لاعتقاد أهل السنة والجماعة؛ فلا يُعَوَّل عليه، بل يرد علىٰ قائليه.

الوجه السادس: أن يقال: ما أكثر المعارضين لأَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، ومَن يقلدهم، ويَحْذُو حذوهم من العصريين!

وعلىٰ هذا، فقول الصوَّاف إن مثل هذه الأمور أصبحت عندهم من المُسَلَّمات العلمية التي لا يجادل فيها اثنان، إنْ أراد أنه لا يجادل فيها أحد مِن علماء المسلمين؛ فهو كذب واضح، لأن كل متمسك بالكتاب والسنة يخالفهم فيما زعموه مِن استقرار الشَّمس ودوَران الأرض عليها.

وقد ذكرنا إجماع المسلمين علىٰ وقوف الأرض وسكونها، وإجماع أهل الكتاب علىٰ ذلك أيضًا.

وإن أراد أنه لا يجادل فيها أحد من المقلدين لأَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة والمتمسكين بآرائهم وتخرصاتهم فهو محتمل، ولكن لا عبرة بهؤلاء، ولا يعتد بأقوالهم في شيء من المسائل العلمية.

وأيضًا، فهؤلاء المخدوعون بزخارف أعداء الله تعالىٰ مَحْجُوجُون

بنصوص الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين علىٰ خلاف ما ذهبوا إليه، كما تقدم إيضاحه.

وكل قول خالف نصًّا أو إجماعًا فمضروب به عرض الحائط، ومردود علىٰ قائله كائنًا من كان، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

وإن أراد أنه لا يجادل فيها أحد من الفلكيين؛ فهو كذب، لأن الخلاف بين الفلكيين في هذه المسألة مشهور قديمًا وحديثًا.

فأما الخلاف القديم: فهو ما كان بين فيثاغورس وأتباعه، وبين بطليموس وأتباعه، وقد ذكرت ذلك في أول الكتاب.

وأما الخلاف الحديث: فهو ما كان بين أَهْلِ الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، وبين من يعارضهم ويقول بخلاف قولهم مِن متأخري الفلكيِّين.

وقد قال محمد فريد وجدي[1] **في كتابه «كنز العلوم واللغة»**: «أما دوران

---

(١) محمد فريد بن مصطفىٰ وجدي: مؤلف (دائرة المعارف)، من الكتاب الفضلاء الباحثين، ولد ونشأ بالإسكندرية، وأقام زمنًا في (دمياط)، وكان أبوه وكيل محافظ فيها، وانتقل معه إلىٰ السويس، فأصدر بها مجلة (الحياة)... وسكن القاهرة، فعمل في وظيفة صغيرة بديوان الأوقاف، توفي سنة (١٣٧٣هـ) (١٩٥٤م). انظر: «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣٢٩).

الأرض فهذا موضع الخلاف، -أقول: الخلاف-؛ لأنه رغمًا عن شيوع فكرة دورانها وتغلُّبها علىٰ النظرية المضادَّة لها؛ لم تزل بين الأعلام الرياضيين موضع الشك».

وقال -أيضًا- في كتابه الذي سماه «الإسلام في عصر العلم»، الأدلة علىٰ دوران الأرض حول الشَّمس غير حاصلة علىٰ صفة الأدلة المحسوسة، حتىٰ لا يمكن الخوض فيها، كمسألة كرويتها؛ ولذلك نرىٰ نفرًا من العلماء والرياضيين لا يزالون يتشكَّكون في ذلك، ويُشكِّكون غيرهم.

كتب المسيو درومون في جريدة «ليبرارول» الباريسية، يقول: «لم يقم الدليل إلىٰ الآن علىٰ صحة دوران الأرض، كما كان يزعم غاليليه -وغاليليه هو ناشر تعاليم كوبرنيك-، ولا علىٰ أنها مركز العالم الشَّمسي».

وهذا المسيو «بوانكاريه» أكبر علماء الهندسة والطبيعة الفرنساويين، لم يجزم إلىٰ الآن بدوران الأرض؛ لأنه يقول: «يقولون: إن الأرض تدور، وأنا لا أرىٰ مانعًا من دورانها، فإن فرض دورانها؛ سَهُل القبول، ويمكن به فهم كيفية تكوُّن ونُمو الدنياوات، ولكنه فرض لا يمكن إثباته ولا نفيه بالأدلة المحسوسة، وهذا الفضاء المطلق»، أي: الحيِّز الذي يلزم نسبة الأرض إليه للتحقُّق مِن دوَرانها أو عدَم دوَرانها ليس له وجود في ذاته.

قال: «ومن هنا ترىٰ أن قولهم الأرض دائرة لا معنىٰ له البتة؛ لأنه ليس في وسع أيِّ تجربة إثباته لنا بالحس».

وجاء في جريدة «اكلبر» الفرنساوية، تحت إمضاء بعض الكاتبين، قوله: «ليس من المحقق الثابت أن الأرض دائرة».

ونقل محمد فريد وجدي -أيضًا- عن الأستاذ الفلَكِي الطائر الصيت، الذي يُعَد أوَّل رِيَاضِيٍّ الآن في البلاد الفرنساوية، كلامًا طويلًا في الرد علىٰ القول بدوران الأرض، وقال في آخره:

«ومن هنا ترىٰ تأكيدهم أن الأرض تدور لا معنىٰ له؛ لأنه لا يوجد ما يثبته بالتجربة».

ثم قال محمد فريد وجدي بعد هذا: «وإنَّنا نرَىٰ مِن تضارب هذه الأفكار بين أكبر علماء الأرض أنَّ أمْرَ دوران الأرض غير حاصل علىٰ ما يجعله من العلوم البديهية، فإن مثل العلَّامة «بوانكاريه» لم يَكُن يتجَاسَر علىٰ مثل هذا القول، وهو أكبر رياضيٍّ فرنسي اليوم، إن لم نقل: أكبر رياضي فلكي في العالم، إذ لم يكن علىٰ ثقة تامة مما يقول، وعلىٰ بينة مما يرمي إليه.

ولو كان المعلمون في أثناء تدريسهم للعلوم الطبيعية يسلكون مسلك العلماء في الإقرار بالجهل، فيورون تلامذتهم وجه الضعف في المعلومات الطبيعية؛ لأدَّوا لتلامذتهم أكبر خدمة، لأنهم بهذا يعودونهم علىٰ الأدب النفسي؛ فتنشأ نفوسهم معتادة علىٰ التواضع أمام فخامة الكون وجلالته، والسجود أمام مُبدِعه ومُصَوِّره.

ولكن أكثرهم يدرسون لهم العلوم المشكوك فيها، والفروض الطبيعية الظنية، بصفة حقائق ثابتة؛ فيتذرَّع بها أولئك التلامذة الأغرار، متىٰ كبروا إلىٰ الإلحاد، ونفي الرُّوح والخُلود، ولا يدرون أنهم يتمسَّكون بالظنون، وأنَّ الظَّن لا يُغنِي من الحق شيئًا». انتهىٰ.

وقال الشيخ محمد الحامد، خطيب جامع السُّلطان بـ«حَماة» في كتابه المُسَمَّىٰ «ردود علىٰ أباطيل، وتمحيصات لحقائق دينية» تحت عنوان: «موقف المسلمين من النظريات العلمية»، ما نصه:

«كان الفلكيون القُدماء قائلين بثبات الأرض واستقرارها، وجريان الشَّمس حولها، ثم طلع بعض الفلكيين بنظرية «دوران الأرض وثبات الشَّمس»، وقد راجت هذه الفكرة رواجًا عظيمًا، واعتقدها كثيرٌ مِن النَّاس حقيقةً لا ريب فيها، ثم تسرب الشك فيها إلىٰ بعض العقول، بل تجددت فكرة الرجوع إلىٰ القول الأول، قطعًا عند بعض الفلكيين الجُدد».

ثم نقل ما ذكر محمد فريد وجدي عن المسيو «درومون»، وعن المسيو «بو انكاريه»، وتقدم ذكره قريبًا، ثم قال:

«وقد صدر سنة (١٩٢٦) ميلادية كتاب بالفرنسية، اسمه: «الأرض لا تدور» تأليف «ب رايوفيتش»، ذكر فيه براهين علمية علىٰ ثبات الأرض، وختمه بقوله: فيبرهن ذلك علىٰ أن الشَّمس تدور حول الأرض، وكذا القمر يدور

حولها، وعلىٰ عدم حركة الأرض». انتهىٰ.

ثم قال محمد الحامد: «مِن هذا كله يتَّضح أن فكرة دوران الأرض ليست متفقًا عليها؛ فمِن الجراءة علىٰ الله تعالىٰ محاولة تثبيت ما ليس بثابت بآياته الكريمة الحقَّة التي لا يتطرَّق إليها بُطْلَان».

وقال الشيخ محمد الحامد -أيضًا- في الكتاب المذكور: «قرأت في العدد (السادس) من أعداد مجلة «الأخوة الإسلامية» مقالة بعنوان: «عدد السموات السبع ورجوم الشياطين بمصابيحها»، وقد رأيت الكاتب نحا في كلمته نحو من يقول بحركة الأرض، مُدَّعِيًا أنَّ القرآن الكريم لم يصدم معتقدات الناس وتصوراتهم وقت نزوله، وكان الاعتقاد السائد في ذلك الوقت أنَّ الأرض مركز لحركة الكون، وأن الشَّمس والقمَر والنجوم تجري حولها؛ أي: علىٰ خلاف ما رآه المُتأخِّرون مِن الفلكِيِّين، وادَّعىٰ -أيضًا- أنَّ القرآن الكريم أشار إلىٰ حركتها وأومأ إليها تاركًا تفسيره للزَّمَن.

ثُم نقل عن بعض الكاتبين تفسير السموات السبع بالطبقات الغازية التي تحيط بالأرض وتعلوها، بل لقد عدَّ المجرَّات المختلفة التي هي نجوم مِن السموات السبع بلا ريب، وفي هذا مخالفة واضحة لنصوص الشرع والقرآن.

وقد كان من الخير أن لا يتعرَّض لهذا، فإن التوفيق بين نصوص الدِّين التي لا ريب فيها، والتي لا تتبدَّل، وبين النظريات الفلكية التي تتبدل في الأحيان

المتتالية ضربٌ مِن المُحال، ومَن رامَهُ اصطدم بعقبات، وتورَّط في مشكلات، ثم لا يجد خَلاصًا منها بوجهٍ مقبول.

والفلكِيُّون مُختلِفُون في تحرُّك الأرض قديمًا وحديثًا، وإلىٰ الآن لم يتَّفِقُوا علىٰ القول بأنها متحرِّكة، وكل يؤيد ما ذهب إليه بما يلوح له من دليل، ولندعهم جانبًا، ولنقرأ آيات القرآن قراءةً لا تكلُّف فيها ولا تعسف، مؤمنين بأنها الحق لا ريب فيه، وأنَّ اللهَ تعالىٰ لا يخبر بخلاف الحقيقة، وأن أولئك المختلفين لم يشهدوا خلق المكونات حتىٰ تكون أقوالهم حججًا يحتج بها، وبراهين يسار علىٰ ضوئها.

قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الكهف: ٥١].

إننا حين ننظر في الآيات التي ذكر الله فيها الأرض، والشَّمس، والقمر، والنجوم؛ نخرج بالفهم الصحيح الذي فهمه النبيُّ الكريم، وأصحابه -صلوات الله تعالىٰ عليه وعليهم وسلامه-، ومعاذ الله أن يفهموا خطأً، وأن يفهم غيرهم من بعدهم صوابًا.

قال الله تعالىٰ في سورة «النحل»: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النحل: ١٥].

وقال في سورة «الأنبياء»: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا

فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنبياء: ٣١].

وقال في سورة «لقمان»: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾

[لقمان: ١٠].

وقال في سورة «النبأ»: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾

[النبأ: ٦، ٧].

وقال في سورة «النازعات»: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٣٢].

آياتٌ كلهن نصٌّ علىٰ أن الله ثبَّتَ الأرض بالجِبَال، فلا تتحرك، والميدان لغة هو التحرك؛ إذًا فلا حركة للأرض كما يزعم الزاعمون.

ولئن قالوا: إن تثبيتها بالجبال كتثبيت السفينة بما يثقلها؛ ليحفظ عليها توازنها مع أنها سائرة.

قلنا لهم: هذا تكلُّف ينبو عنه الذوق، ولسْنَا مضطرين إليه، فلا ندخل مأزقه الحَرِج، ولا نسير في طريقه اللجج.

وإذا قِستُموها بالسفينة السائرة، فأين أنتم من قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾؟ ورُسُوُّ السفينة وقوفها وسكونها، فلا يتم لكم ما تريدون من هذا القياس.

وما أصرح قول الله تعالىٰ، في حركة الشَّمس: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ

لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وإنْ لَاحَ لهم أن يتعلَّقوا بقوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

قلنا لهم: لا متعلق لكم في هذه الآية؛ لأنها في وصف يوم القيامة، كما تدل عليه الآيات سباقًا وسياقًا، ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٨٧ - ٩٠].

وقد أخبرنا ربنا بسَيْرِ الجبال يوم القيامة في غير آية: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التكوير: ٣]، ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧] الآية، ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطور: ٩، ١٠]». انتهىٰ المقصود من كلامه.

الوجه السابع: أن يقال: كيف لا ينفي قول أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في استقرار الشَّمس ودوران الأرض عليها نفيًا قاطعًا؟ وما المانع مِن نفيه، وقد نفاه القرآن والأحاديث الصحيحة، وإجماع المسلمين كما تقدم بيانه.

بل إنَّ النَّفْيَ لِمَا قالوه واجب علىٰ كل مسلم علم بفساد قولهم، ومعارضته

لنصوص القرآن والسنة وإجماع المسلمين.

الوجه الثامن: أنه لا مانع مِن تكفير مَن قال باستقرار الشَّمس؛ لتكذيبه لنصوص القرآن، والأحاديث الصحيحة الدالة علىٰ جريانها ودؤبها في ذلك كما تقدَّم بيانه.

وتكذيب النصوص تكذيبٌ لله تعالىٰ، ولكتابه، ولرسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما لا يخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ علم ومعرفة.

والدليل علىٰ كفر مَن كذَّب النصوص، قول الله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزُّمر: ٣٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾[الزُّمر: ٥٩]...، إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنىٰ.

وفي الحديث الصحيح عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»، رواه مسلم، والدارقطني من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٢١).

فدل هذا الحديث الصحيح علىٰ أن من ترك الإيمان بشيء مما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو مباح الدم والمال.

وقد تظافرت الأحاديث عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا قَالُوهَا عصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا**»(١).

ومن أعظم حقوق «لا إله إلا الله»: تصديق ما أخبر الله به في كتابه، واعتقاد أن ذلك هو الحق، وما خالفه فهو باطل.

ومن حقوق الشهادة بأن «محمدًا رسول الله»: تصديق ما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتقاد أن ذلك هو الحق، وما خالفه من أقوال الناس؛ فهو باطل.

ومَن ردَّ شيئًا مِمَّا أخبَر الله به في كتابه، وما صح عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو كافر، لأنه لم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ فيجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلَّا قُتِل.

وإن كانوا طائفة ممتنعة؛ وجب قتالهم حتىٰ يرجعوا إلىٰ الحق.

قال شَيخُ الإسْلامِ أبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «كل طائفة

---

(١) أخرج مثل هذا الحديث عدة من الأئمة بألفاظ متقاربة، كما عند البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومسلم أيضًا (٢٤٠٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خرجت عن شريعةٍ مِن شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة؛ فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين، وإنْ تكلَّمت بالشهادتين»(١).

ثُم ذكَر -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- أن التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين علىٰ عهد الخلفاء الراشدين مما يجب القتال عليه.

ولا يخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ علم ومعرفة أنَّ القول بجريان الشَّمس في الفلك، وإتيانها مِن المشرق، وذَهابها نحو المغرب هو الذي كان عليه جماعة المسلمين منذ زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ زماننا، ولا يُعرف عن أحد من المسلمين المتمسكين بالكتاب والسُّنة خلاف في ذلك.

وقد تقدَّمَت الأحاديث في ذلك، وكذا أقوال المفسرين من الصحابة، والتابعين، وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم.

ولمَّا ظهر أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في آخر القرن العاشر من الهجرة وما بعده، وهُم: كوبرنيك البولوني، وهرشل الإنكليزي، وأتباعهما من فلاسفة الإفرنج، أصحاب الرصد والزيج الجديد، أظهروا خلاف ما كان عليه المسلمون، فقالوا: إن الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا، وإنها مركز العالم، وإن الأرض والنجوم تدور عليها. وقد قلدهم في ذلك كثير من ضعفاء البصيرة من العصريِّين؛ فخالفوا ما كان عليه جماعة المسلمين منذ زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ زمانِنَا.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٥١٠).

وهؤلاء ينبغي أن يوضَّح لهم الحق الذي جاء به القرآن والسُّنة، فمن أصرَّ منهم بعد ذلك علىٰ المخالفة؛ فهو كافرٌ حلال الدم والمال؛ لأنه قد عاند الحق علىٰ بصيرة، وأصرَّ علَىٰ تكذيب الله تعالىٰ، وتكذيب رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء: ١١٥].

قال الفضل بن زياد القطان[(١)]: «سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: من رد حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو علىٰ شفا هلكة»[(٢)].

وقال الفضل -أيضًا-: «عن أحمد بن حنبل، قال: بلغ ابن أبي ذئب[(٣)] أنَّ

---

(١) الفضل بن زياد القطان، أحد أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، وممن أكثر الرواية عنه، وكان أحمد بن حنبل يعرف قدره ويكرمه، وكان الفضل يصلي بالإمام أحمد. انظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣٦٣).

(٢) «الإبانة» لابن بطة (١/ ٢٠٦).

(٣) الإمام، الفقيه، ابن أبي ذئب، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، واسم أبي ذئب هشام بن شعبة، سمع: عكرمة، وشرحبيل بن سعد، ونافعًا العمري، وصالحًا مولىٰ التوأمة، وشعبة مولىٰ ابن عباس، وخاله الحارث بن عبد الرحمن القرشي، والزهري، وخلقًا سواهم، وكان مِن أوْعِيَة العلم، ثقةً، فاضلًا، قوَّالًا بالحق، مَهِيبًا، حدَّث عنه: ابن المبارك، ويحيىٰ بن سعيد القطان، ووكيع، وابن وهب، توفي (١٥٩هـ). انظر: «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٩٦-٣٠٥)، و«شذرات الذهب» (١/ ٢٤٥-٢٤٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٣٩).

مالكًا لم يأخذ بحديث «**البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ**»(١)، فقال: يُستَتاب في الخيار، فإن تاب وإلَّا ضُربت عنقه».

قال: «مالك لم يَرُدَّ الحديثَ، ولكن تأوَّلَهُ علىٰ غير ذلك»(٢).

وكذا قال إبراهيم بن هانئ النيسابوري(٣): «سمعت أبا عبد الله يقول: بلغ ابن أبي ذئب أنَّ مالك بن أنس قال: ليس البيعان بالخيار. فقال ابن أبي ذئب: يُستتابُ مالك، فإن تابَ وإلَّا ضُرِبَت عنقه».

وإذا كان هذا قول ابن أبي ذئب في الإمام مالك مِن أجْلِ حديثٍ واحدٍ تأوَّلَهُ علىٰ غير تأويله، فكيف بالَّذِين يردُّون النصوص الكثيرة مِن الكتاب والسُّنة، ويعارضونها بأقوال أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن فلاسفة الإفرنج، وأتباعهم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢) من حديث حكيم بن حِزَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أورد قصة ابن أبي ذئبٍ الذهبيُّ في ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٤٢).

(٣) الإمام، الحافظ، القدوة، العابد، إبراهيم بن هانئ النيسابوري، وُلد بعد الثمانين ومئة، وارتحل فسمع من: محمد ويعلىٰ ابْنَيْ عُبَيد، وعبيد الله بن موسىٰ، وعلي بن عياش، ومحمد بن بكار بن بلال، وخلاد بن يحيىٰ، حدَّثَ عنه: أبو القاسم البغَوِي، وابن صاعد، وابن أبي حاتم، وآخرون، كان من كبار تلامذة أحمد بن حنبل، وكان أحمد بن حنبل يغشاه، ويحترمه ويُجِلُّه، قال أبو بكر بن زياد: حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته، فقال: أنا عطشان. فجاءه ابنه بماء، فقال: أغابت الشمس؟ قال: لا. فردَّه، وقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ [الصافات: ٦١]، ثم مات؛ وذلك سنة (٢٦٥هـ). انظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٠٤-٢٠٦)، و«طبقات الحنابلة» (١/ ٩٧-٩٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٧).

من الأغبياء؛ فهؤلاء أولىٰ أن يُستتابُوا، فإن تابوا وإلَّا ضُربت أعناقُهم.

الوجه التاسع: أنَّ الصوَّاف قد اعترف أنَّ مَن كذَّب اللهَ وكتابَهُ ورسولَه، فهو كافرٌ مرتد، ومُجرم أثِيم.

قال: «وعليه غضب اللهِ ولعنتُه إلىٰ يوم الدِّين».

فيقال له: التكذيب يكون تارةً بالمقال، وتارة بالفِعل ولسان الحال.

ومِن التكذيب بالفعلِ ولسان الحال: ردُّ النصوص الدالَّة علىٰ جرَيان الشَّمس ودؤبها في ذلك، واعتقاد أنَّ الحق ما قاله أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن ثَباتها واستِقرَارها.

فمَن فعَلَ ذلك؛ فقد كذَّبَ الله تعالىٰ، وكتابَه، ورسولَه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاء أم أبَىٰ؛ وحينئذٍ فما يؤمن الصواف أن تكون لعنَتُه ودعاؤه بالغضب راجعًا عليه وهو لا يشعر.

الوجه العاشر: ما ذكرَه الصوَّاف في أول كلامه مِن الخلاف القديم والحديث في جريان الشَّمس وثبات الأرض، فيه إيهامٌ وتمويهٌ علىٰ الجُهَّال.

فإنْ أراد أنَّ الخلاف القديم كان بين المُسلمين، وهو الظاهر من كلامه؛ فليس ذلك بصحيح، فإنه لا خلافَ بين المسلمين في جرَيان الشَّمس وثبات الأرض.

وقد تقدَّم ما حكاه الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي مِن إجماع أهل

السُّنة علىٰ وقوف الأرض وسكونها، وأنَّ حركتها إنما تَكُون بعارضٍ يعرض لها من زلزلةٍ ونحوها.

وتقدَّمَ -أيضًا- ما حكاه القُرطبي من إجماع المسلمين وأهل الكتاب علىٰ ذلك.

وإنْ أراد بالخلاف القديم ما كان بين بطْلَيْموس وفيثاغورس؛ فهو صحيح، ولكن لا ينبغي ذكر مثل هذا الخلاف بدون ذكر الطَّرَفين المختلفين؛ لأن ذكر الخلاف مع الإطلاق يُوهِم أنه بين المسلمين وليس الأمر كذلك.

وأمَّا الخلاف الحديث، فهو ما كان بين المُتمَسِّكين بالكتاب والسُّنة، وبين أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، ومُقَلِّديهم مِن العصرِيِّين.

ولا ينبغي أن يلتفت إلىٰ خِلَاف أعداء الله ومقلديهم؛ لأنه خلاف في مقابلة النصوص والإجماع فلا يعتد به.

* * *

فصل

قال الصواف:

«ولكن هل مَن قال بحركة الأرض ودورانها حول الشَّمس بقدرة الله، وبثبوت الشَّمس حول محورها، وحركتها حول نفسها بأمر الله، هل يعتبر هذا

مكذِّبًا لله ولرسوله، ومكذبًا لكتاب الله؛ حتىٰ يحكم عليه بالرِّدة والكُفر؟

إنَّنِي هنا أتوقف، ولا أَوَدُّ أنْ أتعجَّل بمثل هذا الحُكم في أمور أقل ما يقال فيها: إنها ظَنِّية، وليست قطعية الدلالة.

والتوقُّف فيها أو تفويض الأمر فيها إلىٰ الله العَلِيِّ القَدِير أسْلَم وأحْكَم، وأراكم قد تعجَّلتم في أمرٍ كانت لكُم فيه أَناة، وفي التأويل مندوحة».

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: مَن قال بحركة الأرض ودوَرانها علىٰ الشَّمس؛ فقد خالف الأدلة الكثيرة، الدالة علىٰ سكونها وثباتها، وخالف أيضًا إجماع المسلمين علىٰ ذلك.

وقد تقدَّم ذِكر الآيات والأحاديث الدَّالة علىٰ سكون الأرض وثباتها؛ فلتراجع.

وتقدم أيضًا ذكر الإجماع علىٰ ذلك، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

ومَن قال بثبات الشَّمس؛ فهو مُكَذِّب لله تعالىٰ، ولكتابه، ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، شاء أم أبىٰ، ولو قال مع ذلك إنَّ لها حركة علىٰ نفسها؛ فإن ذلك لا يفيده شيئًا، لأن الله تعالىٰ أثبت لهَا الجريان في عدة آياتٍ مِن كتابه، وقد تقدَّمَ

ذكرها في أول الكتاب؛ فلتراجع.

والجرَيَان، ضد الثبات والاستقرار، كما قال تعالىٰ عن سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] الآية، ففرَّق تعالىٰ بين جري السفينة في الماء، وبين رُسُوِّهَا، وهو ثباتها واستقرارها علىٰ جبل الجُودِيِّ.

وعلىٰ هذا، فمن نفىٰ عن الشَّمس الجريان في الفُلك، وأثبت لها السكون والاستقرار؛ فقد قلب الحقيقة التي أخبر الله بها في كتابه، وأخبر بها رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيكون مكذِّبًا لله تعالىٰ، ولكتابه ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاء أم أبىٰ.

والقول بأنَّ الشَّمس ثابتة حول مِحْوَرها، وأنَّ لها حركة حول نفسها، ينافي جريانها في الفلك كما لا يخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ علم ومعرفة، وأيضًا فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠].

وقد تقدَّم تفسير السَّبح في لغة العرب، وأنه المَر السَّريع في الماء وفي الهواء.

وعلىٰ هذا، فمَنْ زعَمَ أن الشَّمس ثابتة؛ فقد نفَىٰ عنها السَّبح الذي أثبته الله لها؛ فيكون مكذبًا لله تعالىٰ، ولكتابه، ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاء أم أبىٰ.

وأيضًا فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣] الآية، والدأب في لغة العرب: إدامة السَّير والمُبالغَة فيه.

وعلىٰ هذا، فمَنْ زعمَ أنَّ الشَّمس ثابتةٌ لا تسير علىٰ الدوام؛ فقد نفىٰ عنها ما أثبته الله لها مِن الدأب في السير؛ فيكون مكذبًا لله تعالىٰ، ولكتابه، ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاء أم أبىٰ.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] الآية.

وهذا نصٌّ صريحٌ في أنَّ الشَّمس تسير فتأتي من المشرق وتذهب نحو المغرب، فمن زعم أنها ثابتة لا تفارق موضعها؛ فهو مكذِّب لِمَا أخبر الله به في هذه الآية الكريمة، ومكذِّب لكتاب الله تعالىٰ، ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاء أم أبىٰ.

وأيضًا، فإنَّ الله تعالىٰ قد أثبت للشَّمس البزُوغ في آيةٍ من كتابه، والطُّلوع في آياتٍ أخر، وأثبت لها الأفول في آيةٍ، والغروب في آيات أُخَر.

وأثبت لها أيضًا الدلوك والتَّزاوُر، وفي كلٍّ مِن هذه الأمور دليل علىٰ سَيْرِهَا؛ فمن زعم أنها ثابتة، فقد نفىٰ عنها ما أثبته الله لها من هذه الأمور؛ فيكون مكذِّبًا لله تعالىٰ، ولكتابه، ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاء أم أبىٰ.

وأيضًا، فإنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الحديث الصَّحيح عن أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**إِنَّ**

هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»، متفق عليه، وهذا لفظ مسلم(١).

وقد أخبر النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال للشَّمس: «إِنَّكِ مَأمُورةٌ، وأنا مَأمورٌ، اللَّهمَّ احبِسْهَا عَلَينا، فحُبِسَت حتىٰ فتَح اللهُ عَليه»، رواه الإمام أحمد، والشيخان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٢).

وعنه أيضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ لِبَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ بْنِ نُون لَيَالِيَ سَارَ إِلَىٰ بَيْتِ المَقْدِسِ**»، رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح علىٰ شرط البخاري(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٤)، ومسلم (١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٢٥) (٨٢٩٨).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ الشَّمسَ فتأخرت ساعةً مِن نهار»، رواه الطبراني في «الأوسط»، قال الهيثمي: وإسناده حسن[1].

وروىٰ الإمام أحمد، وابنه عبد الله، وابن خزيمة، وأبو يعلىٰ، والطبراني بأسانيد جيدة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدَّق أُمَيَّة بنَ أبي الصَّلت في قوله:

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... حَمْرَاءَ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ

تَأْبَىٰ فمَا تَطْلُعْ لنَا فِي رِسْلِهَا ... إِلَّا مُعَذَّبَةً وَإِلَّا تُجْلَدُ

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**صَدَقَ**»[2].

وفي «الصَّحِيحَيْن» عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَأَخِّرُوا الصَّلَاةَ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَأَخِّرُوا الصَّلَاةَ حَتَّىٰ تَغِيبَ**»[3].

وفي «الصَّحِيحَيْن» أيضًا عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ، وَلَا**

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٠٣٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٥٦) (٢٣١٤)، وأبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده» (٢٤٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١١٦١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٣)، ومسلم (٨٢٩).

صَلاَةَ بَعْدَ العَصْرِ حَتَّىٰ تَغِيبَ الشَّمْسُ»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نحوه، رواه أبو داود الطيالسي بإسناد صحيح(٢).

وروىٰ مالكٌ، والشافعيُّ، وأحمدُ، والنَّسائيُّ بأسانيد صحيحة، عن عبد الله الصنابحي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا ارْتَفَعَتْ فَارَقَهَا، ثُمَّ إِذَا اسْتَوَتْ قَارَنَهَا، فَإِذَا زَالَتْ فَارَقَهَا، فَإِذَا دَنَتْ لِلْغُرُوبِ قَارَنَهَا، فَإِذَا غَرَبَتْ فَارَقَهَا**»(٣).

وروىٰ الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي عن عمرو بن عبسة السُّلَمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله؛ أي الليل أسمع؟ قال: **جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَصَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ، حَتَّىٰ تُصَلِّيَ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَقْصِرْ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَتَرْتَفِعَ قِيسَ رُمْحٍ، أَوْ رُمْحَيْنِ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَيُصَلِّي لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ، حَتَّىٰ يَعْدِلَ الرُّمْحُ ظِلَّهُ، ثُمَّ أَقْصِرْ، فَإِنَّ جَهَنَّمَ تُسْجَرُ، وَتُفْتَحُ أَبْوَابُهَا، فَإِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ، فَصَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ، مَكْتُوبَة حَتَّىٰ تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٦)، ومسلم (٨٢٧).

(٢) أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٢٥٨٥).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٤٤)، والشافعي في «مسنده» (٨٠٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٥٤٢)، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٠٤٨).

أَقْصِرْ، حَتَّىٰ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَيُصَلِّي لَهَا الْكُفَّارُ»، وقد رواه الترمذي مختصرًا، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب[1].

وفي هذه الأحاديث الصحيحة أوضح دليل علىٰ جريان الشَّمس في الفلك ودورانها علىٰ الأرض.

فمن نفىٰ ذلك عنها وزعم أنها ثابتة لا تفارق موضعها؛ فهو مكذب لما أخبر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الأحاديث شاء أم أبىٰ.

ومن كذَّب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو مكذِّب لله تعالىٰ، ولكتابه؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما كان مبلغًا عن الله تعالىٰ.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾**﴾ [النجم:٣، ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾**﴾ [النحل: ٤٤].

وإذا علم ما ذكرنا فلا مانع من إطلاق الرِّدة علَىٰ مَن عَلِمَ بهذه الأدلَّة، أو بشيءٍ منها ثُم نبَذهَا وراء ظهره، وتمسَّك بما خالفها مِن أقوال أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة التي ما أنزل الله بها مِن سلطان، وإنما هي مِن وحي الشيطان وتضليله.

الوجه الثاني: أن القول بثبات الشَّمس وحركتها علىٰ نفسها هو مما تخيله

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢)، وأبو داود (١٢٧٧).

أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة، وتخرَّصُوه؛ ذكرَهُ الآلُوسِي عنهم.

وهؤلاء كما قال الله تعالىٰ في أشباههم: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨ - ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦، ١١٧].

وقد تقدم أن هذا القول ينافي ما أخبر الله به من جريان الشَّمس في الفلك ودؤبها في السير فيه.

وأَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة هم سلف الصواف وأشباهه من العصريين، وعلىٰ أقوالهم الباطلة بنىٰ الصواف تعقيبه علىٰ الشيخ ابن باز، وبها يجادل ليدحض الحق.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

وروىٰ الإمام أحمد، وأبو داود، والطبراني، والحاكم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُه لَمْ يزَلْ فِي سخَطِ اللهِ حَتَّىٰ يَنْزِعَ**»(١).

الوجه الثالث: أنَّ الحق في هذا هو ما دلَّ عليه الكتاب، والسُّنة، وإجماع المسلمين مِن جريان الشَّمس في الفُلَك بقدرة الله تعالىٰ، وثبات الأرض واستقرارها بأمر الله تعالىٰ.

لا ما زعمه الصَّوَّاف مِمَّا هو قلب للحقيقة.

الوجه الرابع: مِن أوابد الصَّواف، وعظيم جراءته زعمه أنَّ النصوص الدالة علىٰ جريان الشَّمس ظنية، وليست قطعية الدلالة.

والجواب عن هذا الإفك المبين أن نقول:

سبحانك هذا بهتان عظيم، وفي هذا القول الوخيم دليل علىٰ فساد تصور قائله؛ وكيف لا يكون كذلك وهو يرىٰ أن نصوص الكتاب والسنة علىٰ إثبات جريان الشَّمس ظنية، وليست قطعية الدلالة، وأنَّ الحق فيما تخيَّلَهُ كوبرنيك البولوني، وهرشل الإنكليزي، وأتباعهما من أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، وما تخرَّصُوه مِن ثبات الشَّمس واستقرارها، وأن هذا مِن المُسَلَّمات العلمية التي لا يجادل فيها اثنان.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢٢٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٧٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٩٦).

يا سبحان الله العظيم! أيكون وحي الرحمن إلىٰ رسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظنيًّا وليس قطعي الدلالة، ويكون وحي الشيطان إلىٰ أوليائه من المُسَلَّمات العلمية التي لا يجادل فيها اثنان؟!

هذا قول باطل، ورُعونَةٌ وسفَه، لا يقوله إلا مَن هو مصاب في دينه وعقله، وقد قيل:

يُقضي علىٰ المرء في أيام محنته حتىٰ يرىٰ حسنًا ما ليس بالحسن

وأبلغ من هذا قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١].

قال ابن القيم -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «بدائع الفوائد»: «حذَارِ حَذَارِ مِن أمرين لهما عواقب سوء:

أحدهما: رد الحق لمخالفته هواك، فإنك تُعاقَب بتقليب القلب، ورد ما يرد عليك مِن الحق رأسًا، ولا تقبله إلَّا إذا برز في قالب هواك، قال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، فعاقبهم علىٰ رد الحق أول مرة بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم بعد ذلك.

والثَّاني: التَّهاون بالأمر إذا حضر وقته، فإنك إنْ تَهاونت به ثبَّطك الله، وأقعدك عن مَراضيه وأوَامِره عقوبة لك.

قال تعالىٰ: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [التوبة: ٨٣]، فمن سَلِمَ مِن هاتين الآفتَيْنِ والبَلِيَّتين العظِيمَتيْن فلتَهْنه السلامة». انتهىٰ[1].

الوجه الخامس: أن الله تعالىٰ قرن بين الشَّمس والقمر في مواضع كثيرة من القرآن، وذكر عن القمر مِن الجري والسَّبْح في الفُلك والبزوغ والأفول، نظير ما ذكره عن الشَّمس، فهل يقول الصَّوَّاف بثبات القمر حول محوره، وحركته حول نفسه، وأن الأدلة علىٰ جريه ظنية وليست قطعية الدلالة، كما قد قال بذلك في الشَّمس أم لا.

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ٦٩٩).

وإن لم يقل بذلك فإنَّا نطالبه بإبراز نصٍّ عن الله تعالىٰ أو عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يثبت للقمر الجري والسَّبْح في الفلك، والبزوغ، والأفول دون الشَّمس، ولن يجد إلىٰ ذلك سبيلًا البتَّة.

ومَن أثبت الجري والسبح في الفلك، والبزوغ، والأفول للقمر؛ لزِمَهُ أنْ يثبت ذلك للشمس، وإنْ يفعل فقد فرَّق بين متماثلين، وآمن ببعض الكتاب وكفر ببعض.

الوجه السادس: أنَّ التوقُّف إنما يكون في الأمور التي لم يتبيَّن وجهها.

وكذلك التفويض إنَّما يكون في الأمور التي لا تعلم كيفيتها، وجريان الشَّمس في الفلك ودؤبها في السير ليس مِن هذا الباب؛ لأن الله تعالىٰ قد نصَّ علىٰ جريانها في عدة آيات من كتابه.

ونص -أيضًا- علىٰ أنها تسبح في الفلك.

ونص -أيضًا- علىٰ أنها بحسبان.

ونص -أيضًا- علىٰ دؤبها في السير.

ونص -أيضًا- علىٰ أنه يأتي بها من المشرق.

ونص -أيضًا- علىٰ طلوعها ودلوكها وغروبها.

ونص علىٰ ذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدة أحاديث صحيحة؛

فيجب على المسلم أن يعتقد ما جاء في كتاب الله تعالىٰ، وما صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، ولا يتوقف فيه.

ويجب على العلماء أن يبيِّنوا للناس ما خفي عليهم من ذلك، ويبينوا حكم مَن رد النصوص الثَّابتة في كتاب الله تعالىٰ، وسُنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يتوقَّفوا عن البيان؛ فيلحقهم الوعيد علَى الكِتْمَان.

والمبادرة إلىٰ البيان أسلم للعلماء وأحكم؛ وتأخير البيان إنما يكون من تثبيط الشيطان وصده عن إظهار الحق.

الوجه السابع: أنَّ الصوَّاف قد عاب علىٰ الشيخ ابن باز لمَّا بادر إلىٰ بيان الحق الذي يجب عليه وعلىٰ أمثاله أن يبينوه ولا يَكتُموه.

ولم ير هو عيب نفسه في مبادرته إلىٰ نشر الباطل، والذب عنه، والمجادلة به؛ لإدحاض الحق، ولو أنه اشتغل بإصلاح عيبه، ولم يشتغل بلوم علماء المسلمين؛ لكان خيرًا له.

أقِلُّوا عليهم لا أَبا لأَبيكمُ ... من اللَّوم أو سدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا

الوجه الثامن: أن قول الصواف: «ولكن هل من قال بحركة الأرض»، إلىٰ آخره، وتوقفه فيما توقف فيه، وزعمه أن الأدلة علىٰ حركة الشَّمس وسيرها ظنية وليست قطعية الدلالة؛ كل ذلك يدل دلالة واضحة علىٰ كثافة جهله بما أخبر الله به في كتابه، وما أخبر به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أجمع عليه المسلمون فيما

يتعلق بجريان الشَّمس وثبات الأرض، وإذا كان الصواف بهذه المثابة من الجهل؛ فالأولىٰ له السكوت وعدم الخوض فيما لا علم له به، وترك الاعتراض علىٰ علماء المسلمين.

ولكن حب الشهرة حَمَل الرجل علىٰ أن يهرف بما لا يعرف، وأن يخالف من هو أعلم منه؛ فكان الأمر فيه كما قيل.

كما قيل قبل اليوم خالف لتُذكرَا   خلافًا لقولي من فيالة رأيه

* * *

فصل

قال الصواف: «ومع هذا فإني أودُّ أن أقول لسماحتكم: إن هذا القول «حركة الأرض وثبوت الشَّمس» لم يقل به كفار الغرب من الأمريكان، وملحدو الشرق من الروس فقط، بل الذي سبق إليه علماء مسلمون، لهم قدرهم ووزنهم في تاريخ الحضارة الإسلامية، فهل نحكم بكفرهم ورِدَّتهم، ونجَرِّدُهم من الإسلام وهم قد أفضَوا إلىٰ ما قدَّموا، وقالوا في السماء والأفلاك ما لم يصل إليه حتىٰ الآن علماء الغرب ولا الشرق، وقالوا عن سطح القمر والجبال التي فيه قبل مئات السنين ما لم تَقُلْه لُونَا (٩) التي قيل: إنها حطت علىٰ سطح القمر وأرسلت صورًا تلفزيونية إلىٰ الكوكب الأرضي.

ولقد دهشت حقًّا وأنا أنظر إلىٰ هذه الصور في الصحف وأقرأ ما قاله

علماؤنا الأجِلَّاء قبل ما يقارب الألف عام، كيف وصل علماؤنا إلىٰ ذلك كله، مع قلة الوسائل، وحداثة العلم الذي اشتغلوا فيه، ونبغوا فيه نبوغًا حيَّر الألباب، واستخرج حتىٰ من أعدائهم الإعجاب.

إنَّ العلماء المسلمين أوَّل مَن اشتغل بعلم الفَلَك بعد اليونانيين الأقدمين، وأول مَن أَلَّفَ فيه الكتُب والمصنفات، وأوَّل مَن أنشأ المراصد الفلكية في العالم، وخصَّص لها المخصَّصات الطائلة من بيت مال المسلمين.

ولقد أدت مراصد بغداد الفلكية في عهد هارون الرشيد وعهد المأمون في العصر العباسي الأول خدمات لعلم الفلك، ذكرها وشكرها كثير من العلماء الفلكيين في القديم والحديث.

وكذلك فعلت مراصد دمشق، والقاهرة، والرَّقَّة، وسنجار، ومراغة، وسمرقند، وطليطلة، وقرطبة.

بل إن هذه المراصد أضافت إلىٰ علم الفلك إضافات مهمة، بعد أن أدمجت فيها مجموعة ما رصد في هذه المراصد إذ عينت انحراف سمت الشَّمس بثلاث وعشرين دقيقة واثنتين وخمسين ثانية، وهو ما يعادل الرقم الحاضر اليوم، ثم رصد الاعتدال الشَّمسي؛ فمكَّنهم مِن تعيين مدة السَّنة بالضبط.

قال ابن قتيبة عن علماء الفلك المسلمين الأقدمين: «إنهم أعلم الأمم بالكواكب ومطالعها ومساقطها».

وفي عصر المأمون العباسي وضع أبناء شاكر قياسًا للدرجة علىٰ الأرض، ووضعوا التقاويم للأمكنة، وقاسوا عرض بغداد، وكان مقداره ثلاثًا وثلاثين درجة، وعشرين دقيقة.

لقد مكث العالِم المسلم محمد بن جابر بن سنان(١) واحدًا وأربعين سنة يرصد النجوم والكواكب في مرصد الرقة في أرض الشام؛ حتىٰ تمكَّن مِن تصحيح بعض نتائج بطليموس اليوناني، وجاءت نتائج أرصاد هذا العالِم المسلم غاية في الدقة والضبط والإحكام والإتقان.

وأبو الحسن المَرَّاكُشي(٢)، وهو من علماء القرن الثامن الهجري، قام بجهود كبيرة في خدمة علم الفلك، ولقد عني بضبط خطوط الطول والعرض لإحدىٰ وأربعين مدينة إفريقية، واقعة ما بين مراكش والقاهرة.

وسجَّل العالِم البتاني وهو أحد عشرين عالمًا فلكيًّا عالَميًّا سبْقًا لم يتقدمه

---

(١) البتَّاني، صاحب الزِّيج المشهور، أبو عبد الله، محمد بن جابر بن سِنَان الحَرَّاني البتَّاني، نسبةً إلىٰ قرية «بتان» مِن نوَاحِي حرَّان، كان حاسبًا مُنَجمًا، له أعمال وأرصاد وبراعة في فنه، وكان صابئًا ضالًّا، فكأنَّه أسلَمَ وتسَمَّىٰ بمحمد، وله تصانيف في علم الهيئة، مات (٣١٧هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥١٨)، و«شذرات الذهب» (٢/ ٢٧٦).

(٢) المراكشي: الحسن بن علي بن عمر، أَبُو علي المراكشي، الرياضي، كَانَ حَيًّا سنة (٧٥٠هـ) خمسين وَسَبْعمائة. صنف «آلَات التَّقْوِيم»، «جَامع المبادئ والغايات فِي علم الْمِيقَات». «هدية العارفين» (١/ ٢٨٦).

أحد إليه، حتىٰ قال المسعودي عنه: «إنه أول من كشف السمت والنظير، وحدَّد نقطتيهما من السماء».

لا أريد أن أتوسع في بيان ما صنعه علماء الإسلام من عجائب وغرائب في علم الفلك، وهي كثيرةٌ لا تُحصىٰ، إذْ أنَّنِي أريد أن أنتقل إلىٰ صُلب الموضوع وهو حركة الأرض والشَّمس.

والجواب أن يقال: لو توسع الصوَّاف فيما ذكره عن الفلكيين، وأطال الكلام بما لا فائدة فيه، وما هو خارج عن الموضوع الذي قرره الشيخ ابن باز؛ فكلامه هَهُنا في وادٍ وكلام الشيخ في وادٍ آخَر.

والكلام علىٰ ما تضمَّنه كلام الصوَّاف من الأخطاء مِن وجوه:

أحدها: أن ما زعمه من سبق العلماء إلىٰ القول بحركة الأرض، وثبات الشَّمس ليس بصحيح.

وإنَّما كان السابق إلىٰ ذلك فيثاغورس اليوناني، فهو أول من قال بحركة الأرض وثبات الشَّمس، وكان زمانه قبل زمان المسيح بنحو خمس مئة سنة، وقيل: ست مئة سنة، وقد خالفه أهْل الهَيْئةِ القديمة، وكان قوله مهجورًا عندهم، إلىٰ أن جاء فلاسفة الإفرنج المُتأخِّرون، ومنهم كوبرنيك البولوني في القرن العاشر من الهجرة.

ومنهم -أيضًا- هرشل الإنكليزي وأتباعه أصحاب الرصد والزيج

الجديد، وكانوا في القرن الثاني عشر، والقرن الثالث عشر من الهجرة، فنصروا قول فيثاغورس، وردوا ما خالفه، وسمَّوْا ما ذهبوا إليه «الهيئة الجَدِيدَة».

وكان ابتداء هذه الهيئة الجَدِيدَة من نحو أربع مئة سنة، وإنما شاعت بين الناس منذ زمن قريب.

قال محمود شكري الآلوسي في (صفحة٣) من كتابه الذي سماه «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»: «قد شاع في عصرنا قول فيثاغورس الفيلسوف الشهير في هيئة الأفلاك، ونصره الفلاسفة المتأخرون، بعد أن كان عاطلًا مهجورًا، وهو القول بحركة الأرض اليومية والسنوية علىٰ الشَّمس، وأنَّها مركز نظامها، وأن الأرض إحدىٰ الكواكب السيارة، وأنها سابحة في الجو، معلقة بسلاسل الجاذبية، وقائمة بها كسائر الكواكب، لا أنها كما ذهب إليه بطليموس في الأفلاك كالمسامير في الباب».

قال: «وقد سماها الفلاسفة المتأخرون «الهيئة الجَدِيدَة»؛ لكونها شاعت في العصر المتأخر، وإلا فالقول بها متقدم جدًّا.

وذكَر الآلوسي -أيضًا- في (صفحة٤٣) أنَّ المتأخِّرين مِمَّن انتظَم في سلك الفلاسفة كهرشل وأتباعه، أصحاب الرصد والزيج الجديد تخيَّلوا خلاف ما ذهب إليه الأوَّلون في أمر الهيئة، وقالوا بأن الشَّمس مركز الأرض، وكذا النجوم دائرة حولها.

وذكر الآلُوسِي -أيضًا- في (صفحة٢٩) ما ذهب إليه أصحاب الزيج الجُدد مِن أنَّ الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا، وأنها مركز العالَم، وأنَّ الأرض وكذا سائر السيارات والثَّوابِت تتحرَّك عليها.

وقال -أيضًا- في (صفحة٣٣) ما ملخصه: «والمنجمون يقسمون النجوم إلىٰ: ثوابت، وسيارات، والسيارات عند المتقدمين سبع بإجماعهم، وعند المنجمين اليوم، وهم أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أن الشَّمس في وسط الكواكب التي تَدُور حولها، وأنَّ لهَا حركة علىٰ نفسها، وجزَمُوا بأن ليس لها حركة حول الأرض، بل للأرض حركة حولها، وأن الأرض إحدىٰ السيارات، وهي عندهم: عطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ، ووسنة، وقد كشفها رجل منهم يقال له: «**أولبوس**»، في حدود سنة ثلاث وعشرين ومئتين وألف للهجرة، ونبتون قد كشفها رجل منهم يقال له «**هاردنق**»، في حدود سنة عشرين ومئتين وألف للهجرة، وسيرس قد كشفها رجل منهم يقال: له «**بياظي**»، في حدود سنة ست عشرة ومئتين وألف للهجرة، وبلاس قد كشفها «**أولبوس**» -أيضًا- في حدود سنة سبع عشرة ومئتين وألف.

والمشتري، وزُحَل، وأورانوس، وقد كشفها رجل منهم يقال له: «**هرشل**»، في حدود سنة سبع وتسعين ومئة وألف للهجرة.

وذكر الآلوسي -أيضًا- في هامش (صفحة٤٦) أن المتأخرين من

الفلاسفة الإفرنج ذهبوا إلىٰ أن الكواكب تتحرك بأنفسها، من غير أن تكون مركوزة في جسم آخر.

وقال -أيضًا- في (صفحة٥٩) ما نصه: «ثم قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يونس: ٦] في هذه الآية تنبيه إجمالي علىٰ قدرة الله تعالىٰ».

أي: في تعاقب الليل والنهار، وكَوْن كل منها خِلْفَة للآخر بحسب طلوع الشَّمس وغروبها التابعين عند أكثر الفلاسفة لحركة الفلك الأعظم حول مركزه، علىٰ خلاف التوالي؛ فإنه يلزمها حركة سائر الأفلاك، وما فيها من الكواكب مع سكون الأرض علىٰ ما زعموا.

وهذا في أكثر المواضع، وأما في عرض تسعين فلا يطلع شيء ولا يغرب بتلك الحركة أصلًا، بل بحركات أخرىٰ، وكذا فيما يقرب منه قد يقع طلوع وغروب بغير ذلك، وتُسمَّىٰ تلك الحركة: «**الحركة اليومية**»، وجعلها بعضهم وهُم فلاسفة الإفرنج بتمامها للأرض، وجَعل آخرون بعضها للأرض وبعضها للفلك الأعظم.

والقرآن العظيم ساكت عن المذهبَيْن، وذلك من براهين إعجازه.

قلت: ليس الأمر كما زعمه الآلوسي، فإنَّ الله تعالىٰ قد نصَّ علَىٰ جريان الشَّمس في عدة آيات من القرآن.

ونصَّ -أيضًا- علىٰ أنَّها تسبح في الفلك، والسَّبح: المر السريع، ونصَّ -أيضًا- علىٰ أنَّها بحسبان، ونصَّ -أيضًا- علىٰ دؤبها في السَّير، ونص -أيضًا- علىٰ إتيانها من المشرق، وعلىٰ طلوعها وغروبها ودلوكها؛ أي: زوالها، وجاء في القرآن عدة آيات تدل علىٰ سكون الأرض واستقرارها.

فكيف يقال: إن القرآن ساكت عن المذهبين، وهو قد أيد قول من قال بجريان الشَّمس، وسكون الأرض، ورَدَّ قول من قال بخلاف ذلك؟!

وقال الآلوسي -أيضًا- في (صفحة٦٧ و٦٨) ما ملخصه: قال أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة: الأرض جرم من الأجرام السماوية.

يعني أنها جِرْمٌ مِن الأجرام التابعة للشمس، وهي السيارات الدائرة حولها علىٰ أبعاد متفاوتة، وسُمِّيَت: «النظام الشَّمسي»، وشكلوا لذلك شكلًا في وسطه الشَّمس، ثم عطارد وهو أقرب إلىٰ الشَّمس مِن سائر السيارات المعروفة، وبعده الزهرة ثُم الأرض، ثم قمرها، ثم المريخ، ثم فسحة واسعة فيها مئتان واثنان وسبعون جرمًا صغيرًا، تُسمىٰ النجميات، أو الشبيهة بالسيارات، ثم المشتري، ثم زحل، ثم أورانوس، ثم نبتون.

إلىٰ أن قال: «وقالوا في شأن الأرض وحركتها: السَّيار التابع للنظام الشَّمسي، الذي نحن ساكنون عليه، هو الأرض، وأنها كروية الشكل».

إلىٰ أن قال: «وذهبوا إلىٰ أن حركتها، وكذا سائر الأجرام السماوية من

الغرب إلىٰ الشرق، وذهبوا إلىٰ أن لها حركة أخرىٰ غير الحركة اليومية، وهي الحركة السنوية؛ فللأرض عندهم حركتان: حركة يومية وهي دورانها علىٰ محورها، مرة من الغرب إلىٰ الشرق، ومنها: اختلاف الليل والنهار، وحركة من الغرب إلىٰ الشرق حول الشَّمس مرة واحدة كل سنة».

هذا ما ذكره علماء الهيئة الجَدِيدَة في شأن الأرض.

وقد تصفحت القرآن العظيم الشأن؛ فوجدتُ عِدَّة آيات نطقَتْ بِمَا يتعلَّق بالأرض من جهة الاستدلال بها علىٰ وجود خالقها، وعظمة باريها، ولم يذكر فيها شيء مما يخالف ما عليه أهْل الهَيْئةِ اليوم.

قلت: ليس الأمر علىٰ ما قاله الآلوسي، بل في القرآن آيات كثيرة تدل علىٰ سكون الأرض واستقرارها.

وفيه نصوص كثيرة تدل علىٰ جريان الشَّمس، ودؤبها في السير، وقد ذكرت ذلك مستقصًىٰ في أول الكتاب؛ فليراجع.

وقال الآلوسي -أيضًا- في (صفحة٩٥): «وأما قوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠]، فالفلك في الأصل كل شيء دائر، ومنه فلكة المغزل، والمراد به هنا علىٰ قول كثير هو موج مكفوف تحت السماء، تجري فيه الشَّمس والقمر».

وعن الضحاك: «هو ليس بجسم، وإنما هو مدار هذه النجوم».

وفيه: القول باستدارة السماء.

قال: «وغاية ما نقول أنَّ الفلَاسِفَة اليوم من الإفرنج وأهل الأرصاد القلبية، والمعارج المعنوية؛ خالَفُوا قول بعض الفلَاسفة المتقدِّمين المخالف لقولهم». انتهىٰ. المقصود مما ذكره الآلوسي.

وفيه ردٌّ لِمَا زعمه الصوَّاف مِن سبق العلماء المسلمين إلىٰ القول بحركة الأرض وسكون الشَّمس.

وبيان أنَّ أوَّل مَن تخيَّل حركة الأرض وثبات الشَّمس بعد فيثاغورس وأصحابه هم فلاسفة الإفرنج المتأخرون، مثل: كوبرنيك البولوني، وهرشل الإنكليزي، وأتباعهما أصحاب الرصد والزيج الجديد، وقد تلقَّىٰ ذلك عنهم كثيرٌ مِن ضُعفاء البصيرة مِن المسلمين ولاسيما في هذا القرن، وهو القرن الرابع عشر من الهجرة.

وقبل ظهور أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن الإفرنج، لا نعلم عن أحد من المسلمين خلافًا في سكون الأرض، وجريان الشَّمس.

وقد تقدَّم ما حكاه الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي مِن إجمَاع أهل السُّنة علىٰ وقوف الأرض وسُكونها، وأنَّ حرَكتها إنما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها.

وتقدَّم -أيضًا- ما حكاه القرطبي مِن إجماع المسلمين وأهل الكتاب علىٰ ذلك.

وتقدَّم -أيضًا- ذكر النصوص من الكتاب والسُّنة علىٰ جريان الشَّمس، ودؤبها في السير، وذلك ما لا خلاف فيه بين المسلمين، منذ زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أن ظهر المقلدون لكوبرنيك البولوني، وهرشل الإنكليزي وأتباعهما من أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، منذ زمن قريب؛ فأحدَثُوا بين المسلمين خلافًا لم يكن معروفًا بينهم من قبل.

ولا عبرة بخلاف هؤلاء المخدوعين بزخارف أعداء الله تعالىٰ، وتخرُّصَاتهم الكاذبة، وقد ذكَرْنَا فيما تقدَّم أنهم محجوجون بنصوص الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين علىٰ خلاف ما ذهبوا إليه.

الوجه الثاني: أن يقال: من هم العلماء المسلمون الذين لهم قدرهم ووزنهم في تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد قالوا بحركة الأرض وثبات الشَّمس، وقالوا عن سطح القمر والجبال التي فيه ما لم يقله أهل هذه الأزمان.

إنَّنا نتحدَّىٰ الصوَّاف أن يُسَمِّيَ علماء المسلمين الأجِلَّاء الذين قالوا هذه الأقوال قبل ما يقارب الألف عام، وأن يذكر كتبهم التي أثبتوا فيها ذلك، إن كان صادقًا، وما أبعده مِن الصِّدق!

الوجه الثالث: أن يقال: إنَّ أعظم هذه الأمة قدرًا، وأرجحهم وَزْنًا في تاريخ

الحضارة الإسلامية، هم الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-، ولم يقل أحد منهم بحركة الأرض وثبات الشَّمس، بل المأثور عنهم خلاف ذلك.

وكذلك لم يتهجموا علىٰ الغيب، ويرجموا بالظن عن سطح القمر وما فيه، ثم التابعون، وتابعوهم بإحسان، وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم، ولاسيما الأئمة الأربعة، وأقرانهم من أكابر العلماء، وكذلك مَن كان بعدهم مِن الأئمَّة الأعلام، فكل هؤلاء لم يقل أحد منهم بحركة الأرض، وثبات الشَّمس، ولم يتهجموا علىٰ الغيب، ويرجموا بالظن عن سطح القمر وما فيه.

فمن حَادَ عن منهاج الصحابة والتابعين، وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم، وقال بخلاف قولهم؛ فقوله مردود عليه.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء: ١١٥].

الوجه الرابع: أن يقال: إن كوبرنيك البولوني وأتباعه في آخر القرن العاشر من الهجرة، والقرن الحادي عشر، وكذلك هرشل الإنكليزي، وأتباعه من الإفرنج مثل أولبوس، وهاردنق، وبياظي، وغيرهم من فلاسفة الإفرنج في آخر القرن الثاني عشر من الهجرة، وأول القرن الثالث عشر، هُم الذين سبقوا إلىٰ القول بحركة الأرض، وثبات الشَّمس، وقد كان القول به مهجورًا منذ ذهب فيثاغورس اليوناني وأصحابه، إلىٰ أن جاء هؤلاء الإفرنج أصحاب الهيئة

الجَدِيدَة؛ فنصَرُوه وردُّوا ما خالفه.

فهل يقول الصوَّاف: إن هؤلاء علماء مسلمون، لهم قدرهم ووزنهم في تاريخ الحضارة الإسلامية؟!

الوجه الخامس: لو فرَضْنَا صحَّة ما زعمه الصواف من سبق بعض علماء المسلمين، إلىٰ القول بحركة الأرض، وثبات الشَّمس؛ فهو قول باطلٌ مردودٌ، لمخالفته للأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة، ومخالفته -أيضًا- لأقوال الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان، وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم، ومخالفته -أيضًا- لإجماع المسلمين علىٰ ثبات الأرض ووقوفها.

وكل قول خالف نصًّا مِن كتاب الله تعالىٰ، أو مِن سُنة رسوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أو خالف إجماع المسلمين؛ فمضروب به عرض الحائط، ومردود علىٰ قائله كائنًا مَن كان.

وقد ذكرت آنفًا أنَّ الَّذِين سبقوا إلىٰ القول بحركة الأرض، وثبات الشَّمس هُم: فيثاغورس اليوناني، وأصحابه، وبعدهم أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة من فلاسفة الإفرنج، وكان ابتداء الهيئة الجَدِيدَة من نحو أربع مئة سنة.

ولا يُعرف عن أحدٍ مِن علماء المسلمين قبل ظهور الهيئة الجَدِيدَة أنه قال بحركة الأرض وثبات الشَّمس... بعد ظهور الهيئة الجَدِيدَة، فقد كان بعض المنتسبين إلىٰ العلم يقلدون أهلها، ويحسنون الظن بهم.

وكما أنه لا يعتد بأقوال أعداء الله تعالىٰ في شيءٍ مِن المسَائل العلمِيَّة؛ فكذلك لا يعتد بأقوال مقلديهم بطريق الأولىٰ، والله أعلم.

الوجه السادس: أنَّ ما زعمَهُ أعداء الله تعالىٰ من وصول لُونَا (٩) إلىٰ القمر ورسوها علىٰ سطحه، وإرسالها الصور التلفزيونية إلىٰ الأرض كله كذب وتمويه علىٰ الأغبياء، والأمر في هؤلاء الكذَّابين كما قيل في أسلافهم:

سلاحهم في وجوه الخصم مكرهمُ وخير جندهمُ التدليس والكذبُ

ومِن أين لأعداء الله تعالىٰ أن يصلوا إلىٰ القمر، أو تصل مصنوعاتهم إليه، وهو في السماء بنص القرآن.

وبين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام، كما دلت علىٰ ذلك النصوص الثابتة عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقدرة البشر تعجز عن الوصول إلىٰ السماء، والصعود في الجو مسيرة خمس مئة سنة.

ولعل أعداء الله تعالىٰ إذا سقطت لهم سفينة فضائية في البحر، أو في مكان مجهول من البر، ولم يدروا أين ذهبت، قالوا: إنها ذهبت إلىٰ القمر، ورست علىٰ سطحه، وقد وجد لهم غير ما سفينة فضائية ساقطة.

والصور التي يزعمون أنها أرسلت إليهم من القمر، لا شك أنها من مخرقتهم، وصنع أيديهم؛ فإنهم معروفون بالمخرقة، والتدجيل قديمًا وحديثًا،

وقد ذكر العلماء عنهم من ذلك شيئًا كثيرًا، ولا يغتر بأباطيل أعداء الله تعالىٰ ويصدق بها، ويندهش لمخرقتهم وتدجيلهم، إلَّا مَن هو ناقص العقل.

ومِن أين للصُّوَر التلفزيونية أن تصل إلىٰ الأرض مِن مسيرة خمس مئة سنة، وهي لا تتجاوز في الأرض مسيرة عشرة أيام، أو نحوها إذا كانت قوية.

فوصولها من القمر محال، ومَن زعم وصولها منه؛ فهو من أكذب الكاذبين.

ومِن مخرقة أعداء الله تعالىٰ، وتدجيلهم فيما يتعلق بالقمر: زعمهم أن فيه أرضًا صالحة للنبات والسُّكنىٰ؛ فَهُم لذلك يرومون الانتقال إليه، والبناء فيه والسكنىٰ، وكثير مِن الجهال يصدقونهم في هذه المزاعم الكاذبة.

وليس لأعداء الله تعالىٰ ذَهاب ولا محيص عن هذه الأرض التي خُلِقُوا منها، ولو بلغوا في قوة الصناعة ما بلغوا؛ فمَرَدُّهم إلىٰ الأرض لا محالة.

قال الله تعالىٰ: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

[الأعراف: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾

[طه: ٥٥].

وقال تعالىٰ مخبِرًا عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

وفي هذه الآيات ردٌّ علىٰ مَن زعم أنَّ السُّكنىٰ في القمر أو في غيره من الأجرام العلوية ممكنة لبني آدم.

وأيضًا، فإنَّ الله تعالىٰ قد حرس السَّماء مِن الشياطين، كما جاء ذلك في آيات كثيرة من القرآن.

والقمر في السماء بنص القرآن؛ فهو محروس مِن وصول الشياطين إليه، والاستقرار علىٰ سطحه، وسواء في ذلك شياطين الجن وشياطين الإنس، بل إن شياطين الإنس شرٌّ مِن شياطين الجن، كما جاء ذلك فيما رواه ابن جرير عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يا أبا ذرٍّ، هَلْ تعوَّذْتَ باللهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الجنِّ وَالإِنْسِ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَهَلْ لِلإِنْسِ مِنْ شَياطِين؟ قَالَ: نَعَمْ، هُمْ شَرٌّ مِنْ شَياطِين الجنِّ**»(١).

فإنْ قِيلَ: إنَّ الشَّياطين إنما مُنِعوا مِن استراق السَّمع، وليس ذلك مراد الذين يَرُومُون الوصول إلىٰ القمر.

فالجواب أن يقال: إن المنع مِن استراق السَّمع يدلُّ علىٰ المنع مما هو أعظم منه، كالبناء، والسكنىٰ، والمجاورة لأهل الملإ الأعلىٰ.

فالذين يرومون هذه الأمور من شياطين الإنس أولىٰ بالطرد، والإبعاد من

---

(١) «تفسير الطبري» (١٢/ ٥٣)، وأخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٩٧٩): وقال محققه العلامة حمدي بن عبد المجيد السلفي: في إسناده ضعف.

الذين يسترقون السمع فقط.

وقد نشرت جريدة «المدينة» في عددها (٥٨٧) الصادر بتاريخ (٢١ - ١١ - ١٣٨٥هـ) كلامًا لبعض علماء الأمريكان، وهو «برنارد لوفيل، مدير مرصد جدويل بانك»، يندد فيه بالأمريكان والروس علىٰ السواء لتنافسهم في السباق إلىٰ القمر.

وقال: إنَّ التنافس نابع من صميم غباوة الإنسان.

ومضَىٰ يقول: إنَّ الطبيعة الإنسانية تواجه فشلًا كبيرًا إذْ تعالج هذه المهمة ليس فقط بصورة منفصلة بنفقات باهظة، بل وبإخفاق الشعبين اللَّذَيْنِ يقومان بها في تبادل المعلومات، وعلىٰ الأخص في وجه المشكلات الفنية الهندسية، والعلمية، والإنسانية التي تجابهها حضارة العالم.

هذه خُلَاصة كلامه الذي توخَّىٰ فيه بيان الأمر علىٰ الحقيقة، وهذا الكاتب وإن كان غير مسلم؛ فهو في الحقيقة أعقل من أغبياء المسلمين، الذين يصدقون أعداء الله في كل ما قالوه، ويندهشون لمخرقتهم وتدجيلهم.

الوجه السابع: أنَّ إطلاق اسم الكوكب علىٰ الأرض خطأ وضلَال.

والذين أطلقوا عليها اسم الكوكب هم الذين زعموا أنها تسير كما تسير الكواكب، وتَدُور علىٰ الشَّمس، وهم أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة مِن الإفرنج ومَن يقلدهم، ويَحذُو حذْوَهُم مِن جُهَّال المسلمين.

وهذا خلاف ما سمَّاها الله بها في كتابه، وما سماها به رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وجميع المسلمين، سوى الأغبياء المقلِّدين لأهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة.

ولازم هذا القول أن تكون الأرض مِن جُملة الزِّينة التي زيَّن الله بها السماء الدُّنيا، وجعلها رجُومًا للشَّياطين؛ لأنَّ الله تعالىٰ قال في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦، ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾

[المُلك: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فُصِّلَت: ١٢].

وقد ثبت عن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أنه قال: «بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ مَسِيرَة خَمْس مِئَة سَنَة»(١)، وقد تقدم ذكر هذه الأحاديث.**

وإذا كان بين السماء والأرض هذا البعد الشَّاسع، فكيف يقال: إن الأرض كوكب من جملة الكواكب التي جعلها الله زينة للسماء الدنيا؟! هذا مِن أبْطَل الباطل، ولا يقوله مَن له أدنىٰ مُسكة من العقل، وأيضًا فقد أخبر الله تعالىٰ في كتابه العزيز أنه جعل الأرض فراشًا، والسماء بناء.

---

(١) أخرجه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢١٠)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٦) (١٧٧٠)، وأبو داود (٤٧٢٣)، وابن ماجه (١٩٣).

وأخبر في آية أخرىٰ أنه جعل السماء سقفًا محفوظًا.

وقال تعالىٰ في آية أخرىٰ: ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥﴾ [الطور: ٥]؛ فدل القرآن علىٰ أن الأرض هي أسفل البناء، والسماء سقفه.

وما كان أساس البناء وأسفله كيف يقال: إنه كوكب من جملة زينة سقفه المرفوع؟! هذا تخبيط لا يقوله مَن يعلم ما يقول.

وقد قال الراغب الأصفهاني: «الأرض الجرم المقابل للسماء، ويعبر بها عن أسفل الشيء، كما يعبر بالسماء عن أعلاه»(١).

وقال أبو الفرج ابن الجوزي في «تفسيره»: «إنما سُمِّيَت الأرض أرضًا لِسَعتها.

وقيل: لانحطاطها عن السماء، وكل ما سفل فهو أرض، وسميت السماء سماء لعلوها»(٢).

وقال القرطبي في «تفسيره»: «السماء للأرض كالسقف للبناء، ولهذا قال تعالىٰ وقوله الحق: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفًا مَّحۡفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] وكل ما علا وأظل قيل: سماء»(٣).

---

(١) «مفردات غريب القرآن» (ص١٦).

(٢) «زاد المسير» (١/ ٤٨).

(٣) «تفسير القرطبي» (١/ ٢٢٩).

وقيل -أيضًا-: والسماء ما عَلَا، والأرض ما سَفل.

وقال الجوهريُّ وغيره من أئمة اللُّغة: كل ما سفل؛ فهو أرض.

وروىٰ ابن جرير في «تفسيره»، من طريق السُّدِّيِّ عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناسٍ مِن أصحاب النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [غافر: ٦٤]، فبِنَاء السماء علىٰ الأرض كهيئة القبة، وهي سقف علىٰ الأرض»(١)، وإذا كانت الأرض سافلة، والسماء عالية عليها، وسقفًا فوقها، فلا يقول: إن الأرض كوكب من جملة الكواكب التي قد جعلت زينة للسماء، إلَّا مَن هو مِن أجهل الناس.

وبعد تحرير هذا الموضع، وقفت علىٰ كلام للشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي، رد به علىٰ مَن زعم أنَّ الأرض كوكب مِن جملة الكواكب التي تدور حول الشَّمس، وقد رأيت أنْ أَسُوقَه هَهُنا؛ لِمَا فيه مِن تحقيق الحق وإبطال الباطل.

قال في كتابه «المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية» ما نصه:

«**المسألة التاسعة والتسعون**: في الجزء المذكور، يعني الجزء الرابع عشر من مجموعة مجلة «المنار» (صفحة٥٧٨): قال بعض أشياع محمد عبده مع مشاركة الشيخ رشيد رضا في بعض كلامه: «ما هذه الأرض التي نعيش عليها.

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٣٦٧).

هي كوكب من الكواكب التي تدور بمركز الشَّمس، وتُسَمَّىٰ بالسيارات».

قال الشيخ الكافي في الرد عليه:

«**قوله**: هي كوكب».

كذَبَ وافتَرىٰ علىٰ الله تعالىٰ مَن سمَّاها كوكبًا؛ لأن الله تعالىٰ الذي خلقها سماها أرضًا، والكوكب هو النجم ومحله العلو، والكوكب من وصفه الإضاءة، والإشراق، والطلوع، والأفول، والأرض بخلاف ذلك.

وقوله: «من الكواكب التي تدور بمركز الشَّمس ممنوع؛ لأنه تقدم أن الأرض ساكنة لا متحركة، فارجع إليه إن شئت». انتهىٰ.

وكلامه الذي أشار إليه هنا، وأنه قد تقدم قد ذكرته مستوفىٰ مع الكلام علىٰ تكفير من يقول بحركة الأرض وسيرها؛ فليراجع هناك.

الوجه الثامن: أن علماء المسلمين الذين هُم ورَثة النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالخلفاء الرَّاشدين، وسائر عُلماء الصحابة، والتَّابعين، وتابعيهم، وأئمة العِلْم والهُدىٰ مِن بعدهم، لم يَكُن أحدٌ منهم يشتغل بعلمِ الفلك، ولم يؤلفوا فيه شيئًا، ولم ينشئوا شيئًا مِن المراصد الفلَكِيَّة، كما قد يُوهِمه قول الصوَّاف: إنَّ العُلماء المسلمين أوَّل مَن اشتغل بعلم الفَلَك إلىٰ آخره.

وإنما الذين كانوا يشتغلون بعلم الفلك والتأليف فيه، وإنشاء المراصد الفلكية صنفان من الناس، وهم الفلاسفة والمُنَجِّمُون، وكثير مِن المُنتَسِبين

منهم إلىٰ الإسلام كانوا متهمين في دينهم.

بل منهم مَن هو شرٌّ علىٰ الإسلام والمسلمين مِن اليهود والنَّصارىٰ وسائر المشركين، مثل نصير الكفر الطُّوسِي، وابن سينا القرمطي الباطني، وغيرهم مِن الفلَاسِفَة الذين كانوا يَنتسِبُون إلىٰ الإسلام، وهم في غاية البُعد منه، بل هم الأعداء الألِدَّاء للإسلام وأهله علىٰ الحقيقة.

ثم لو سلَّمنا تسليمًا جدَلِيًّا أنَّ أحدًا مِن علماء المسلمين اشتغل بعلم الفلَك، وألَّف فيه شيئًا مِن المُؤلَّفات؛ فَهُم لم يقولوا بثَبات الشَّمس وحركة الأرض ودورانها علىٰ الشَّمس.

الوجه التاسع: أنَّ إنشاء المَراصد الفلَكِيَّة عند المسلمين إنما كان في زمن المأمون حين عربت كتب الأوائل ومنطق اليونان.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في «تذكرة الحفاظ» في ترجمة (شجاع بن الوليد بن قيس): «لمَّا قُتِل الأمين واستُخلِف المأمون علىٰ رأس المئتين نجم التشيع، وأبدَىٰ صفحته، وبزغ فجر الكلام، وعُرِّبت كتب الأوائل، ومنطق اليونان، وعمل رصد الكواكب، ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة، ولا يوافق توحيد المؤمنين قد كانت الأمة منه في عافية».

إلىٰ أن قال: «إنَّ مِن البِلَاء أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وتقدم عقول الفلاسفة، ويعزل منقول أتباع الرسل، ويماري في القرآن، ويتبرَّم

بالسُّنن والآثار، وتقع في الحيرة؛ فالقرار قبل حلول الدمار، وإيَّاكَ ومضِلَّات الأهواء، ومحارات العقول، ومَن يعتصم بالله؛ فقَد هُدِيَ إلىٰ صراط مستقيم».

انتهىٰ كلامه رحمه الله تعالىٰ[1].

فذكر أنه بسبب تعريب كتب الأوائل، ومنطق اليونان، وإنشاء المراصد الفلكية؛ نشأ للناس علم جديدٌ، مرد مهلك، لا يلائم علم النبوة، ولا يوافق توحيد المؤمنين، وهذا العلم المردي المهلك هو الذي نَجمَ عنه القول بسكون الشَّمس ودوران الأرض، والكلام في السموات والأجرام العلوية؛ بمجرد الآراء والظنون الكاذبة.

وقد كان الصحابة، والتابعون، وتابعوهم بإحسانٍ في عافيةٍ مِن هذا العِلم المردي المهلك، وإنما شغف به المتأخرون في زماننا؛ لبُعدِهم عن منهاج الصحابة والتابعين، وشدة مَيْلِهم إلىٰ أقوال الإفرنج، وتمسكهم بآرائهم وتخرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الوجه العاشر: أنَّ الظَّاهر مِن صَنيع الصوَّاف، حيث ذكر الفلكيين ههنا، وأطنب في ذِكْرِهِم، وذكر مراصدهم، والثناء عليهم، مع أن ذلك خارج عن موضوع البحث الذي هو بصدده، أنه أراد إيهام مَن لا علم عنده، أنهم كانوا يقولون بحركة الأرض وثبات الشَّمس.

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٤٠).

وليس الأمر كذلك؛ فإنَّ الفلَكِيِّين الذين ينتسبون إلىٰ الإسلام من قبل ظهور أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة كانوا علىٰ مذهب أهْل الهَيْئةِ القديمة، في القول بجريان الشَّمس وثبات الأرض، وإذًا فأيُّ فائدةٍ في ذكرهم ههنا، وذكر مراصدهم لولا قصد الإيهام الذي أشرنا إليه.

الوجه الحادي عشر: أن الصواف صرَّحَ أنَّ محمد بن جابر مسلم، ثم ذكر بعده البتاني، وجعله من جملة علماء المسلمين الذين أثنىٰ عليهم.

ويظهر من كلامه أنه يرىٰ أن البتاني غير محمد بن جابر، وهذا بخلاف ما ذكره محمد فريد وجدي في كتابه «دائرة المعارف» فإنه ذكر أن محمد بن جابر هو البتاني، وأنه ليس بمسلم، وإنما هو من الصابئين، وذكر عنه أنه رصد النجوم نحوًا من إحدىٰ وأربعين سنة.

وأنه كان يرصد في الرقة، وفي أنطاكية، ومحمد فريد وجدي أعلم بالفلكيين من الصواف؛ فكلامه ههنا هو المعتمد، لا ما توهمه الصواف.

* * *

فصل

قال الصواف: «حركة الأرض، يؤسفني أنه ليس لدي الآن من المصادر الإسلامية الكثيرة لعلم الفلك سوىٰ كتاب واحد، وفيه البركة -بإذن الله-، وفيه

ما يغني ويسد في موضوعنا هذا.

والكتاب لمؤلفه السيد: محمود شكري الآلوسي، العالم العراقي، السلفي المعروف، وقد فرغ من تأليفه في (٢٤) شوال، سنة (١٣٣٩)؛ أي: قبل سبعة وأربعين سنة، واسم الكتاب «ما دل عليه القرآن الكريم مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة القويمة البرهان»، وأود هنا أن أنقل ما قاله هذا العالم السلفي، قبل ما يقرب من خمسين سنة حول حركة الأرض وجريانها، وما نقله هو عن علماء الهيئة، وهم مسلمون، عُرِفَ أكثَرُهُم بالتقوىٰ والصَّلَاح.

ورأيه هو فيما سأنقله الكفاية فيما أحسب، في رد الأمر إلىٰ نصابه، وبيان الحق الصراح، وصوابه الذي نطق به علماء الإسلام قبل أن يكون للكفار والمشركين علم فلك، ولا نظر في النجوم.

فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفحة (٦٧ و ٦٨ و ٦٩) من كتابه:

«ومن آيات سورة **«الرعد»** **قوله تعالىٰ:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد: ٣]، هذه الآية متصلة بالآية التي قبلها، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢] الآية؛ فإنه سبحانه لمَّا ذكر من الشواهد العلوية ما ذكر، أَرْدفَها بذكر الدلائل السفلية، فقال:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾، قال علماء الهيئة الجَدِيدَة: الأرض جرم من الأجرام السماوية، يعني أنها جرم من الأجرام التابعة للشمس، وهي السيارات الدائرة حولها علىٰ أبعاد متفاوتة، وسُمِّيَت: (النظام الشَّمسي)، وشكَّلوا لذلك شكلًا في وسطه الشَّمس، ثم عطارد وهو أقرب إلىٰ الشَّمس من سائر السيارات المعروفة، وبعده الزهرة، ثم الأرض ثم قمرها، ثم المريخ، ثم فسحة واسعة فيها مئتان واثنان وسبعون جرمًا صغيرًا، تسمىٰ «النجيمات»، أو «الشبيهة بالسيارات»، ثم المشتري، ثم زحل، ثم أورانوس، ثم نبتون، ثم بُعْدٌ مهول، وخلاءٌ مجهول؛ حتىٰ ينتهي إلىٰ أقرب النجوم الثوابت، التي يعد كل واحد منها شمسًا لا يرىٰ توابعها؛ للبعد الشاسع، والنظام الشَّمسي ينتهي عند نبتون؛ أعني لا يعرف سيار أبعد من نبتون.

بل إنه إلىٰ الآن لم يكشف عن وجود جرم تابع للنظام الشَّمسي أبعد من المذكور، والنجوم الثوابت ليست من النظام الشَّمسي، بل هي أنظمة مستقلة ترىٰ منها شمسنا كما ترىٰ هي من عندنا؛ أي: نقطًا لامعةً نَيِّرَة في الطبقة الزَّرقاء».

ثم قال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وقالوا -أي**: علماء الهيئة في شأن الأرض أيضًا وحركتها-: السيَّار التَّابع للنِّظَام الشَّمسي الذي نحن ساكنون عليه هو الأرض، وإنها كُرَوِيَّة الشكل، وأقاموا علىٰ ذلك دلائلهم المعلومة في كتبهم: «ومن قال بكرويتها شيخ الإسلام ابن تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ»، وأنها؛ أي: الأرض علىٰ عظمها سابحة

في الفضاء، وليست لها حافَّة ينتهي إليها مَن يَجُوب سطحها، كما إذا مشت ذبابة علىٰ بِطِّيخَة معلقة؛ فهِيَ لا تنتهي إلىٰ حافَّة كذلك الأرض الكروية الشكل، السابحة في الفضاء ليس لها حافَّة ينتهي إليها مَن يَجُوب سطحها، وهي عائمة في الفضاء، وذهبوا إلىٰ أن حركتها وكذا سائر الأجرام السماوية مِن الغرب إلىٰ الشرق، لا كما يتراءىٰ أن حركة هذه الأجرام من الشرق إلىٰ الغرب: «وهذا ما يقوله علماء الفلك اليوم»، وذهبوا إلىٰ أنَّ لها -أي: الأرض- حركة أخرىٰ غير الحركة اليومية وهي الحركة السنوية، فللأرض عندهم حركتان: حركة يومية، وهي دورانها علىٰ محورها، مرَّة مِن الغرب إلىٰ الشرق، ومنها اختلاف الليل والنهار، وحركة من الغرب إلىٰ الشرق حول الشَّمس مرة واحدة كل سنة.

ثم قال الآلوسي العالم السلفي المنصف رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا ما ذكره علماء الهيئة الجَدِيدَة في شأن الأرض.

وقد تصفَّحْتُ القرآن العظيم الشَّأن؛ فوجدت عدة آياتٍ نطقت بما يتعلق بالأرض من جهة الاستدلال بها علىٰ وجود خالقها وعظمة باريها، ولم يذكر فيها شيء مِمَّا يخالف ما عليه علماء أَهْل الهَيْئَةِ اليوم، ولا ينافي كُرَوِيَّتها؛ ما يدل ظاهرها علىٰ المد والبسط والفرش، فإن هذا كله لا ينافي الكروية؛ لأن المراد مِن بَسْطِهَا وتوسعتها ومدها ما يحصل به الانتفاع لمن حولها، ولا يلزم من ذلك نفي كرويتها، كما أن الكرة العظيمة لعظمها ترىٰ كالسطح المستوي، وكان كل قطعة منها سطح مفروش يصح القعود والنوم عليه، والكرة كلما عظمت قربت

أقواس سطحها إلىٰ الخط المستقيم.

وفي الشريعة دلائل كثيرة تدل علىٰ كروية الأرض والسماء، منها اعتراف الأئمة باختلاف المطالع، فإن الصبح في بعض البلاد يوافق المساء في بلاد أخرىٰ، وطلوع الهلال في بعض الآفاق يوافق غيبوبته في بلاد أخرىٰ، وهكذا الشَّمس وسائر الكواكب، ففي بعض الآفاق يرىٰ القطب الشمالي فوق رؤوس أهله، والقطب الجنوبي لا يُرىٰ أصلًا، وسَكَنة خط الاستواء يرون القطبين علىٰ الأفق.

وفي بعض البلاد تكون الحركة فيه دولابية، وفي البعض حمائلية، وفي البعض رحوية، كل ذلك مبنيٌّ علىٰ كروية الأرض، ولولاها لَمَا كان شيء من ذلك.

وقوله تعالىٰ: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ**﴾ لا ينافي الكروية، وما علىٰ الأرض من الجبال والأودية والبحار لا يخرج الأرض عن الكروية، فإن أعظم جبل بالنسبة إليها كنسبة سبع عرض شعيرة إلىٰ كرة قطرها ذراع.

وقوله تعالىٰ: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ**﴾ معناه جعل فيها جبالًا ثوابت في أحيازها من الرُّسُوِّ، وهو ثبات الأجسام الثقيلة.

وفي الخبر: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ تعالىٰ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ، فَخَلَقَ اللهُ الجِبَالَ عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ، فَقَالَت المَلَائِكَةُ: رَبَّنَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَعْظَمَ مِنَ الْجِبَالِ؟ قَالَ:

نَعَمْ، الْحَدِيدُ. فقَالُوا: رَبَّنَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَعْظَمَ مِنَ الْحَدِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، النَّارُ. فقَالُوا: رَبَّنَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَعْظَمَ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ، المَاءُ. فقَالُوا: رَبَّنَا خَلَقْتَ أَعْظَمَ مِن المَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الهَوَاءُ. فقَالُوا: رَبَّنَا، خَلَقْتَ خَلْقًا أعْظَمَ مِنَ الهَوَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ابْنُ آدَمَ يَتَصَدَّقُ الصَّدَقَةَ بِيَمِينِهِ فَيُخْفِيهَا عَنْ شِمَالِه»(١).

فقال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد هذا:

وهذا -أيضًا- لا ينافي حركة الأرض اليومية والسنوية التي قال بها أهْل الهَيْئةِ، فإن الله تعالىٰ لو لم يخلق في الأرض الجبال لمَادتْ؛ أي: اضطربت، والميد: اضطراب الشيء العظيم.

فلمَّا ألقىٰ فيها الرَّواسي، وهي الجبال الثوابت؛ انتفىٰ ذلك، ووجه كون الإلقاء مانعًا من اضطراب الأرض أنها كسفينة علىٰ وجه الماء، والسفينة إذا لم يكن فيها أجرام ثقيلة تضطرب وتميل من جانبٍ إلىٰ جانب بأدنىٰ حركة شيء، وإن وضعت فيها أجرام ثقيلة تستقر، فكذا الأرض لو لم يكن عليها هذه الجبال؛ لاضطربت، فالجبال بالنسبة إليها كالأجرام الثقيلة الموضوعة في السفينة بالنسبة إليها، والمقصود أن جعل الرواسي فيها لا يعارض حركتها بوجه من الوجوه، كما أن السفينة إذا كان فيها أجرام ثقيلة تمنع اضطرابها وميلها من

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٢٤) (١٢٢٧٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٧٠).

جانب إلىٰ جانب لا ينافي حركتها.

وسنزيد ذلك بيانًا فيما يناسب من الآيات الآتية إن شاء الله تعالىٰ». انتهىٰ كلام الآلوسي.

فهل رأيتم كلامًا أصرح من هذا الكلام في كروية الأرض وحركتها؟! أليس هذا من مفاخر علمائنا، وتوفيق الله لهم في معرفة العلوم الكونية؟! إن هذا الكتاب «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة القويمة البرهان» انتهىٰ صاحبه من تأليفه كما قلتُ منذ قرابة خمسين عامًا، ومع هذا ففيه من الكلام الواضح الذي يدل علىٰ ما بلغوه من الدرجات العليا في العلوم الكونية، وحركات الأفلاك؛ رحمهم الله، وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء.

والجواب عما في هذا الفصل يتلخص في عشرة أمور:

الأول منها: مدحه لكتاب الآلوسي المسمىٰ «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»، وزعمه أن فيه البركة.

والجواب أن نقول: إن البركة في كتاب الله تعالىٰ، وسُنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما خالفَهُما، أو لم يَكُن له مستند منهما؛ فهو قليل البركة، أو عديمها، وكتاب الآلوسي فيه أشياء كثيرة ليس لها مستند صحيح، وفيها ما هو مخالف للكتاب والسنة؛ فلهذا لا خير فيه، ولا يستحق المدح؛ والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة.

وأقول قبل ذكر الأمثلة: إن في نفسي شكًّا مِن صِحَّة نسبة الكتاب إلىٰ

محمود الآلوسي لأمرين:

أحدهما: ما عُرِفَ عنه مِن حسن العقيدة، والرد علىٰ عُبَّاد القبور وأهل البدع، ولاسيما في كتابه: «غاية الأماني في الرد علىٰ النبهاني»، ومن كان هكذا فبعيد أن يصدر منه الكتاب المسمىٰ «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة».

والثاني: أن الذي أبرز هذا الكتاب من أهل العراق، قد قيل عنه ما قيل مِمَّا يقدح في عقيدته.

وعلىٰ هذا، فلا يؤمَن أن يكون قد نسب الكتاب إلىٰ الآلوسي، وهو لم يتحقق نسبته إليه، والله أعلم، وقد نسبت النقل من الكتاب إلىٰ الآلوسي جريًا علىٰ نسبة الكتاب إليه، والمقصود من ذلك رد الكلام الباطل، سواء كان للآلوسي أو مفترىٰ عليه.

فمن الأمثلة علىٰ نقصان الكتاب المشار إليه، وقلة بركته: أن المصنف قرر في صفحة (١٥و ١٦) أن خلق السماء مقدَّم علىٰ خلق الأرض، وتعسف في توجيه ذلك بما لا حاصل تحته، وأجاب عن قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت: ٩] بأن الخلق في الآية الكريمة بمعنىٰ التقدير لا الإيجاد.

أو علىٰ تقدير: الإرادة والمعنىٰ؛ أراد خلق الأرض، وكذا قوله تعالىٰ:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، الآية معناه أراد أن يجعل.

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] معناه قدره أو أراد إيجاده أو أوجد مواده، وكل هذا تخبيطٌ مخالف لنص الآية من سورة «البقرة»، ولنصوص الآيات من سورة «حم السجدة»، وهو مردود لأنه من تحريف الكَلِم عن مواضعه.

وقد تقدَّم قول شيخ الإسلام أبي العباس ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «من فسَّر القرآن والحديث، وتأوَّله علىٰ غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مُفترٍ علىٰ الله، ملحد في آيات الله، مُحَرِّف للكَلِم عن مواضعه»[١].

وقد قرَّر ابن كثير وغيرُه مِن المفسرين أن الأرض خُلِقَت قبل السَّماء.

وذكر ابنُ كثير أقوال السلف في ذلك، واستدلَّ علىٰ ذلك بالآية من سورة «البقرة»، وبالآيات من سورة «حم السجدة».

ثم قال: فهذه وهذه دالتان علىٰ أن الأرض خلقت قبل السماء، وهذا ما لا أعلم فيه نـزاعًا بين العلماء، إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة، أنه زعم أن السماء خُلِقَت قبل الأرض.

وقد توقف في ذلك القرطبي في «تفسيره»؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٢٧ - ٣٢].

قال: «فذكر خلق السماء قبل الأرض»(١).

وفي «صحيح البخاري» أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سئل عن هذا بعينه، فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء، وأن الأرض إنما دُحِيَت بعد خلق السماء، وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديمًا وحديثًا». انتهىٰ(٢).

ومنها: قوله في (صفحة١٩) عن هذا الفضاء إنه ليس له مبدأ ولا انتهاء.

وهذا خطأ ظاهر، وفيه موافقة لِمَا ذكره في (صفحة٣٤) عن أهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة أن سعة الجو غير متناهية عندهم.

ومعنىٰ هذا: نَفْي وجود السموات السبع وما فوقهن مِن الكُرسِيِّ والعرش العظيم.

وقد رد عليه المصنف في نفيهم وجود السموات، ثم وافقهم مِن حيث لا يشعر.

والحق الذي تدل عليه الأحاديث الصحيحة أن هذا الفضاء الذي نحن فيه

---

(١) «تفسير القرطبي» (٤/ ١٢).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢١٥).

يبتدئ من الأرض، وينتهي إلىٰ السماء الدنيا، ومسافته من كل جانب خمس مئة سنة، ثم بين كل سمائين فضاء مسافته من كل جانب خمس مئة سنة، وبين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمس مئة سنة، وبين الكرسي والماء مسيرة خمس مئة سنة، والعرش فوق ذلك، والله تعالىٰ فوق العرش.

والأدلة علىٰ هذا قد تقدم ذكرها مع الأدلة علىٰ ثبات الأرض واستقرارها؛ فلتراجع، وحسبنا أن نعتمد علىٰ ما صحت به الأحاديث، ولا نتعداه ففي ذلك الكفاية والعصمة من الخطإ والزلل.

ومنها: أنه ذكر في (صفحة٢١) أن الحكمة الباطنة في اختلاف تشكلات القمر النورية أن ذلك لاختلاف أحوال المواليد العنصرية؛ وهذا تخرُّص لا دليل عليه من كتاب ولا سنة.

وقد بيَّن الله تعالىٰ الحِكمَة في تقدير القمر منازل فقال تعالىٰ: ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

واختلاف تشكلات القمر النورية تابع لتنقله في المنازل؛ فلا يُقال: في ذلك بشيء لم يخبر الله به ولا رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ومنها: أنه أتىٰ في صفحة (٢٥ و٢٦) بجملة من أقوال أهل البدع وهذيان الصوفية في الكرسي، وقد تعقَّب ذلك بكلام بارد لا يشفي في ردها، وهذا خلاف

ما كان عليه أهل السنة؛ فإنهم كانوا لا يعبؤون بأقوال أهل البدع، ولا يذكرونها مع أقوال أهل السنة، ولا يعدون خلافهم خلافًا في الحقيقة، وإذا ذكروا شيئًا من أقوالهم ذكروه مقرونًا بالرد البليغ، والإنكار الشديد، والتحذير من الاغترار به، لا بالتمليس والرد الضَّعيف كما فعله الآلوسي.

ومنها: أنه ذكر في (صفحة٢٩) ما ذهب إليه أصحاب الزيج الجديد مِن أنَّ الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا، وأنها مركز العالم، وأن الأرض وكذا سائر السيارات والثوابت تتحرك عليها، وأقاموا علىٰ ذلك الأدلة والبراهين بزعمهم، وبنَوْا عليه الكسوف والخسوف ونحوهما، ولم يتخلف شيء من ذلك.

قلت: هذا القول معارض بالأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة والإجماع علىٰ جريان الشَّمس وسكون الأرض، وقد تقدم ذكرها في أول الكتاب؛ فلتراجع.

وليس من أهل الزيج الجَدِيدَة برهان علىٰ ما زعموه سوىٰ التخرصات والظنون الكاذبة.

ومنها: ما ذكره في (صفحة٣٣) عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أن الشَّمس في وسط الكواكب التي تدور حولها، وأن لها حركة علىٰ نفسها، وأن ليس لها حركة حول الأرض، بل للأرض حركة حولها، وأن الأرض إحدىٰ السيارات.

وكل هذا تخرص لا دليل عليه، وقد تقدم رَدُّه وبيان بطلانه بالأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة والإجماع.

ومنها قوله في (صفحة ٤٢) في الخبر أن الأرض بالنسبة إلىٰ السماء الدنيا كحلقة في فلاة، وهو بالنسبة إلىٰ العرش كذلك.

قلت: هذا غلط.

ولفظُ الحديث عن أبي ذَرٍّ الغِفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سأل النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكرسي، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبعُ عِندَ الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاة، وَإِنَّ فَضْلَ العَرْشِ علَىٰ الكُرسِيِّ كفَضْلِ الفَلَاةِ علَىٰ تِلْكَ الحَلْقَة**»، رواه ابن مردويه(١).

ومنها: أنه قال في (صفحة٦١): «الكثير علىٰ أن الأرض كرة واحدة، منقسمة إلىٰ سبعة أقاليم، وحملوا الآية علىٰ ذلك - يعني قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]»، وهذا خطأ ينبغي للآلوسي أن ينبه عليه لئلَّا يغتر به.

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) من طرق عن إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني، قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر - في حديث طويل، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني الدمشقي، قال أبو حاتم: كذاب، كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٤٢-١٤٣)، وقال الذهبي: متروك، وكذَّبه أبو زرعة كما في «ميزان الاعتدال» (١/ ٧٢)، وله طريق أخرىٰ أخرجها ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٣٩٩) حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، حدثني أبي، عن أبي ذر...، نحوه، وقد ساقها الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٧٥) وقال: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات، لكني أظن أنه منقطع. وقد ساق طرقًا أخرىٰ له، ثم قال: وجملة القول: إن الحديث بهذه الطرق صحيح.

وقد قال ابن كثير في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: «أي: سبعًا -أيضًا- كما في «الصَّحِيحَيْن»: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»[١]، وفي «صحيح البخاري»: «خسف به إلىٰ سبع أرضين»[٢]، ومن حمل ذلك علىٰ سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزغ، وخالف القرآن والحديث بلا مستند». انتهىٰ[٣].

ومنها: أنه في (صفحة٦٣) قال في الله تعالىٰ: «إنه ليس بجسم ولا جسماني»، وهذا من أقوال أهل البدع، وأما السلف الصالح فإنهم لم يتكلموا في الجسم بنفي ولا إثبات.

قال شَيخُ الإسْلامِ أَبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «لفظ الجسم في أسماء الله تعالىٰ وصفاته بدعة، لم ينطق بها كتابٌ ولا سُنة، ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها، فلم يقل أحد منهم: إنَّ الله تعالىٰ جسم، ولا أنَّ الله تعالىٰ ليس بجسم»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٤) من حديث سالم عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٥٦).

(٤) «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ١١٧) بتصرف.

وقال الشيخ -أيضًا- في موضع آخر: «لم يُنقَل عن أحد من الأنبياء، ولا الصحابة، ولا التابعين، ولا سلف الأمة أنَّ الله جسم، أو أن الله ليس بجسم، بل النفي والإثبات بدعة في الشرع». انتهىٰ(١).

وإذا علم هذا فليس بسلفي علىٰ الحقيقة، مَن لم يسَعْهُ ما وَسِعَ السَّلَف الصَّالح من السكوت عن الكلام في الجسم، وعدم التَّعرُّض له بالنفي أو الإثبات.

ومنها: أنه ذكر في (صفحة٦٦) قول الفلاسفة المتأخرين أنَّ للشَّمس حرَكَة مركزها.

قال: «وهو معنىٰ: ﴿تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]».

وهذا خطأ مردود من وجهين:

أحدهما: أنَّ الذي يجري لا يستقر في موضعه، بل يفارقه بالانتقال إلىٰ غيره.

ومعنىٰ قولهم: «حركة مركزها» أنها تتحرك علىٰ نفسها كما صرح به الآلوسي عنهم في عدة مواضع من كتابه، وتطبيق الآية علىٰ هذا القول من تحريف الكلم عن مواضعه، ودؤبها في السير، وأنها تأتي من المشرق وتذهب نحو المغرب، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين غربت الشَّمس: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ**

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٤٣٤).

حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ [يس: ٣٨]»، رواه الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، والشيخان، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح(١).

وفي رواية لمسلم، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال يومًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩).

(٢) أخرجها مسلم (١٥٩) من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وهذا الحديث الصحيح صريح في رد ما زعمه الفلاسفة المتأخرون من حركة الشَّمس علىٰ مركزها أو علىٰ نفسها.

وصريح -أيضًا- في رَدِّ ما حاوله الآلوسي من تطبيق الآية علىٰ زعمهم الباطل.

ومنها: أنه في صفحة (٦٧و ٦٨) ذكر قول أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في سكون الشَّمس ودوران الأرض عليها.

ثم قال: «وقد تصفَّحت القرآن العظيم الشأن؛ فوجدت عِدَّة آياتٍ نطقَتْ بما يتعَلَّق بالأرض من جهة الاستدلال بها علىٰ وجود خالقها، وعظمة باريها، ولم يُذكر فيها شيءٌ مما يخالف ما عليه أهْل الهَيْئةِ اليوم».

قلت: هذا مردود، وقد تقدَّم التنبيه عليه.

ومنها: أنه في (صفحة٨٥) ذكر قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ [الكهف: ١٧] الآية.

وقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾

[الكهف: ٨٦].

ثم قال: «فقد أثبت للشمس حركة الطلوع والغروب، ولعلَّ ذلك باعتبار نظر الناظر، كما في راكب السفينة، فإنه يرىٰ ما علىٰ الساحل متحرِّكًا، وليس بمتحرك».

قلت: هذا الكلام من تحريف الكَلِم عن مواضعه، وفيه موافقة لأهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، فيما زعموه من سكون الشَّمس واستقرارها؛ وذلك مردود بالنصوص الكثيرة الدالة علىٰ جريان الشَّمس، وسبحها في الفلك، ودؤبها في السير، وأنَّ الله يأتي بها من المشرق؛ فتطلع من مطلعها وتدلك؛ أي: تزول إذا كان نصف النهار وتغرب من مغربها.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يخبر بخلاف الحقيقة، وكذلك الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد تقدم إيراد الأدلة علىٰ جريان الشَّمس في أول الكتاب؛ فلتراجع ففيها إبطال تأويل المتأولين، وتحريف المحرفين.

ومنها: أنه في (صفحة٩٩) ذكر قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون: ١٧].

قال: والطرائق جمع طريقة، بمعنىٰ مطرقة، وهي: السموات السَّبع.

قال: «وسُميت السموات بذلك؛ لأنها طرائق الكواكب في مَسِيرهَا. وهذا عين مذهب الفلَاسفة المتأخرين، القائلين بالجاذبية ودوران الكواكب علىٰ الشَّمس».

إلىٰ أن قال: «ففي هذه الآية دليل، وأيُّ دليل لأهل فن الهيئة الجَدِيدَة».

قلت: ليس الأمر كما زعمه الآلوسي، فليس في هذه الآية دليل لأهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة بوجهٍ مِن الوجوه، وإنَّما فيها الرد عليهم في نفيهم وجود السموات السبع.

وفيها -أيضًا- الرد علىٰ الآلوسي فيما زعمه في (صفحة١٩) أن هذا الفضاء ليس لها مبدأ ولا انتهاء.

وفيها -أيضًا- الرد عليه فيما زعمه في (صفحة١٣٠) أنه يمكن أن تكون السموات أكثر من سبع.

وقد قال مجاهد في قوله: ﴿سَبۡعَ طَرَآئِقَ﴾: «يعني السموات السبع»[١].

وقال البغوي: «أي: سبع سموات، سميت طرائق لتطارقها، وهو أن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض»[٢].

وكذا قال الخليل[٣]، والفراء[٤]، والزَّجَّاج وغيرهم.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٦٩).

(٢) «تفسير البغوي» (٥/ ٤١٣).

(٣) الخليل، الإمام، صاحب العربية، ومُنشِئ علم العَروض، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، حدَّثَ عن: أيوب السختياني، وعاصم الأحول، وغيرهما، أخذ عنه: سيبويه النحو، والنضر بن شميل، وهارون بن موسىٰ النحوي، والأصمعي، وآخرون، وكان رأسًا في لسان العرب، دَيِّنًا، ورِعًا، قانعًا، مُتوَاضعًا، كبير الشَّأن، يقال: إنه دَعَا اللهَ أن يرزقه عِلمًا لا يُسبق إليه، فَفُتِح له بالعَرُوض، وله كتاب: «العين» في اللغة، وُلِد سنة مئة، ومات سنة بضع وستِّين ومئة، وقيل: بقِيَ إلىٰ سنة سبعين ومئة. انظر: «طبقات النحويين» للزبيدي (٤٧-٥١)، «الكامل» لابن الأثير (٦/ ٥٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٢٩).

(٤) هو إمامٌ في التفسير، وأمير المؤمنين في النحو، أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن

وذكر ابن الجوزي في «تفسيره» عن ابن قُتَيْبَة نحو ذلك(١).

وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [المُلك: ٣] الآية.

وقوله تعالىٰ مخبِرًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ [نوح: ١٥].

والقول بأن السموات إنَّما سُميت طرائق؛ لأنها طرائق الكواكب في مسيرها قول ضعيف، لم يُذكر عن أحد من الصحابة ولا التابعين، وإنما ذكره بعض المتأخرين بصيغة التمريض، ولم يذكر قائله، وليس في الآية علىٰ هذا القول دليل علىٰ ما يزعمونه من الجاذبية ودوران الكواكب علىٰ الشَّمس بوجه من الوجوه.

والاستدلال بها علىٰ هذا القول الباطل إلحاد في آيات الله تعالىٰ.

=

منظور، المُلقَّب بالفرَّاء، صاحب الكسائي، وُلد (١٤٤هـ)، كُوفِيٌّ مِن العِراق، عاش فِي عصرٍ اشتهرت فيه الخصُومَات بين المعتزلة وأهل السنة، فنسبه البعض للمُعتزِلَة، وأقرَّ البعض بأنَّه كان من أهل السنة؛ فقالوا عنه: «كانَ الفرَّاءُ مِن أهل السُّنة، ومذَاهِبُه في التَّفسِير حسَنة»، توفي (٢٠٧هـ)، انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ١١٨)، «تاريخ بغداد» للخطيب (١٤/ ١٤٩).

(١) انظر: «زاد المسير» (٥/ ٤٦٥).

وقد تقدم قول شيخ الإسلام أبي العباس ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-: «مَن فسَّرَ القرآن والحديث وتأوَّله علىٰ غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مفتر علىٰ الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه»(١).

وأيضًا، فإن الله تعالىٰ قد جعل الكواكب زينة للسماء الدنيا، ورُجومًا للشياطين، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦، ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾

[المُلك: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فُصِّلَت: ١٢]، وإذا كانت الكواكب زينة للسماء الدنيا ورجومًا للشياطين، فكيف يقال: إن السموات السبع طرائق للكواكب في مسيرها؟ لا شك أن هذا قول باطل، مردود بالآيات التي ذكرنا، والله أعلم.

ومنها: أنه في صفحة (١٠١ و١٠٢) ذكر قول الله تعالىٰ: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣]، ثم ذكر أنَّ أهل الأرصاد اليوم كشَفُوا في القمر جبالًا ووهادًا وأودية، وهكذا الشَّمس وسائر السيارات، وظنُّوا أنَّ فيها

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

مخلوقات نحو سَكَنة الأرض، وزعموا أنَّ فيها بحارًا وأنهارًا.

قال: «فلعلَّ جبال البرد المذكورة في الآية من تلك الجبال التي في هاتيك الأجرام، فيوصله الله إلىٰ الأرض بكيفية لا ندركها، وهو علىٰ كل شيء قدير».

قلت: هذا كله تخرُّص وهذَيان.

ومن أين لهم اكتشاف الشَّمس والقمر هما في السماء بنص القرآن. والكواكب من زينة السماء الدنيا بنص القرآن، وبين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام بنص الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ، فمن أين لبَنِي آدمَ أن يكتشفوا الأجرام العلوية من هذا البعد المفرط؟!

والبرد إنما ينزل من السحاب كما هو مشاهد، والسحاب إذا تراكم كان أمثال الجبال الشاهقة.

وقد قال بعض المفسرين: إن الجبال ههنا كناية عن السحاب.

وهذا هو الصحيح؛ لأن الله تعالىٰ ذكر نزول المطر من السماء في آيات كثيرة من القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد: ١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ [ق: ٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ [الفرقان: ٤٨، ٤٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾

[النحل: ١٠، ١١].

إلىٰ غير ذلك من الآيات التي يذكر الله فيها نزول الماء من السماء، والمراد بذلك السحاب، كما هو منصوص عليه في مواضع من القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم: ٤٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النور: ٤٣] الآية.

والودق: هو المَطَر.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ

ﭐلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ [فاطر: ٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٨- ٧٠].

وقد قال ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ ﴾ [القمر: ١١]: «كثير، لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب، فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم؛ فالتقىٰ الماءان علىٰ أمر قد قُدِر».

وإذا عُلِم هذا، فالبرد مطر منعقد من شدة البرد الذي يكون في السحاب، ولفظ السماء يُطلَق ويراد به السموات السبع ويطلق ويراد به الدنيا فقط.

ويطلق ويراد به ما عَلَا علىٰ الأرض من سحاب وسقوف كما في الآيات التي تقدم ذكرها، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الحج: ١٥] يعني سماء بيته وهو السقف.

وأيضًا فإن الله تعالىٰ ختم الآية بقوله: ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النور: ٤٣] وهذا أوضح دليل علىٰ أن المراد بالجبال المذكورة في الآية ما تراكم من السحاب وصار أمثال الجبال الشاهقة، والضمير في «برقه» عائد إلىٰ السماء الذي هو السحاب المتراكم؛ فإن «سَنا برقه» يكاد يذهب بأبصار الناظرين إليه من شدة ضوئه في الغالب.

فأما الأجرام العلوية فليس يرىٰ أهل الأرض منها شيئًا من البرق لا ضعيفًا ولا قويًّا يكاد سناه يذهب بالأبصار.

والله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إنما خاطب الناس بما يعرفونه، وأخبرهم بما يشاهدونه بأبصارهم في كثير من الأوقات.

وأيضًا، فلو كان البرد ينزل إلىٰ الأرض من جبال في الأجرام العلوية؛ لكان ينزل في الصحو وعدم السحاب كما ينزل في حال الغيم وتراكم السحاب، وهذا لا يقوله عاقل.

ومنها: أنه في (صفحة١٠٦) ذكر قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

ثم قال: «ربما استدل علماء الهيئة المتأخرون علىٰ ما ادَّعَوْهُ مِن حركة الأرض اليومية والسنوية، فإنهم يقولون: إن الرائي يرىٰ الجبال ساكنة، وهي متحركة أشد الحركة».

ثم ذكر عن المفسرين أنهم يرَوْنَ غير هذا الرأي، وأن ذلك إنَّما يكون يوم القيامة، وخراب العالم؛ لأنها تمر مرَّ السحاب اليوم.

قلت: والحق ما ذهب إليه المفسرون.

وقد بين الله تعالىٰ ذلك بقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ

مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٨٧ - ٩٠].

وأما حمل الآية علىٰ ما ذهب إليه أهل الهَيْئةِ المتأخرون؛ فهو مِن الإلحاد في آيات الله تعالىٰ، وتحريف الكلم عن مواضعه.

والعجب من الآلوسي! كيف ذكر هذا القول الباطل، ولم ينبه علىٰ بطلانه!! وهذا مما يعاب عليه.

ومنها: أنه في صفحة (١٠٩و ١١٠) ذكر عن أهْل الهَيْئةِ المتأخرين أن قيام العالم العلوي والسفلي بالجاذبيَّة.

وهذا لا دليل عليه من كتابٍ ولا سُنة، فلا ينبغي أن يثبت أو ينفىٰ إلَّا بدليل يدل علىٰ ذلك.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥].

فالسماء والأرض قائمتان بأمر الله تعالىٰ، وهو الذي يمسكهما أن تزولَا،

ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه؛ وحسب المسلم أن يعتقد ما أخبر الله به في كتابه ولا يتعداه.

ومنها ما في (صفحة ١١٦) نقلًا عن صاحب «روح المعاني» أنه قال في الشَّمس لا يبعد أن تكون لها نفس ناطقة كنفس الإنسان، بل صرح بعض الصوفية بكونها ذات نفس ناطقة كاملة جدًّا.

قال: «والحكماء المتقدمون أثبتوا النفس للفلك، وصرح بعضهم بإثباتها للكواكب أيضًا، وقالوا: كل ما في العالم العلوي من الكواكب والأفلاك الكلية والجزئية والتداوير حي ناطق».

ثم ذكر هَذَيانًا كثيرًا إلى أن قال في (صفحة١١٧): «فيمكن أن يقال: للشمس نفسًا مثل تلك الأنفس القدسية»، إلى آخر ما قاله من الهذيان.

قلت: أمَّا وصفه للفلاسفة بالحكماء؛ فهو خطأ ظاهر.

والصواب أن يقال: إنهم هم السفهاء الأغبياء الجاهلون؛ لأنهم قد أشركوا بالله، وخالفوا ما جاءت به الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، وزعموا أنَّ النبوة مكتسَبة، وأنها فَيْضٌ يَفِيض على روح النبيِّ إذا استعدَّت نفسه لذلك، فمن راضَ نفسَه حتى استعدت؛ فاض ذلك عليه، والنبيُّ عندهم مِن جنس غيره من الأذكياء الزُّهاد، لكنه قد يكون أفضل.

والملائكة عندهم هي ما يتخيَّل في نفسه من الخيالات النورانية، وكلام

الله هو ما يسمع في نفسه من الأصوات بمنزلة ما يراه النائم في منامه.

ويَجُوزون علىٰ الأنبياء الكذب في خطاب الجمهور للمصلحة والفيلسوف عند بعضهم أعظم من النبي، وعند بعضهم أنَّ الرسالة إنما هي للعامة دون الخاصة، والعبادات كلها عندهم مقصودها تهذيب الأخلاق، والشريعة عندهم سياسة مدنية. إلىٰ غير ذلك من أقاويلهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، وقد كان معلمهم الأول أرسطو وزيرًا للأسكندر بن فيلبس المقدوني، ملك اليونان.

وكان هو والملك وأصحابهما مشركين، يعبدون الكواكب والأصنام ويعانون السحر، ومَن كانت هذه حالهم؛ فَهُم السفهاء الجهلة، الأغبياء علىٰ كل حال، وأمَّا ما ذكَرَهُ عنهم من إثبات النفس للفلك وإثباتها للكواكب والأفلاك الكلية والجزئية والتداوير؛ فكله باطلٌ وضَلَال.

وقد ردَّ عليهم شيخ الإسلام أبو العباس ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في مواضع كثيرة مِن كُتبه، ولا يتَّسِع هذا الموضع لذكر شيءٍ من الرد عليهم، وإنما المقصود ههنا التنبيه علىٰ بطلان ما نقله عنهم صاحب «روح المعاني».

والتنبيه -أيضًا- علىٰ بطلان ما زعمه مِن إمكان أن يكون للشَّمس نفس ناطقة كنفس الإنسان، فإنَّ هذا لم يدل عليه كتابٌ ولا سُنة، ولا قاله أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا تابعيهم بإحسان، وإنَّما هو مأخوذ عن الفلاسفة الذين كانوا يعبدون الكواكب، ويُعَظِّمونها غاية التعظيم، ويتقرَّبون إليها بأنواع التقرُّبات.

ومنها أنه في صفحة (١١٨و١١٩) ذكر عن الفلاسفة المتأخِّرين أن الشَّمس تدور علىٰ مركز آخر؛ قالوا: «وهذا هو المراد بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨] فإنه يدل علىٰ دوران الشَّمس علىٰ مركز آخر، ويقال: إنه كوكب من كواكب الثريا، أو يقال: معنىٰ جريانها لمستقر أنها تجري علىٰ مركزها ومحورها».

قلت: وحمل الآية علىٰ ما ذكر ههنا من الإلحاد في آيات الله، وتحريف الكلم عن مواضعه؛ فأما القول بدوران الشَّمس علىٰ الثريا؛ فهو ظاهر البطلان؛ لأن الثريا مِن جملة الكواكب التي قد جعلها الله تعالىٰ زينة للسماء الدنيا، وما كان كذلك فإنه لا يكون مركزًا تدور عليه الأفلاك، وأما القول بأنها تدور علىٰ محورها؛ فإنه ينافي ما أخبر الله به من جريانها وسبحها في الفلك ودؤبها في ذلك.

وما أخبر به مِن طلوعها وغروبها ودلوكها، وأنه يأتي بها مِن المَشْرِق.

وما أخبر به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جريانها، وذهابها إلىٰ مستقرها تحت العرش إذا غربت، ورجوعها إلىٰ مطلعها، وطلوعها وارتفاعها، واستوائها وزوالها، ودنُوِّها للغروب، وغروبها وحبسها ليوشع بن نون حين حاصر القرية حتىٰ فتحها الله عليه، وقد ذكرت الآيات والأحاديث الدالة علىٰ جريان الشَّمس في أول الكتاب؛ فلتراجع.

وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين غربت الشَّمس: «**أَتَدْرِي**

أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ [يس: ٣٨]»، رواه الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، والشيخان، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح(١).

وفي رواية لمسلم، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»(٢).

وهذا الحديث صحيح في بيان المراد من قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩).

(٢) أخرجها مسلم (١٥٩) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

﴿تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾، وفيه: الرد علىٰ مَن تأوَّل الآية علىٰ غير تأويلها.

وأما قول الآلوسي: «**أو يقال:** معنىٰ جريانها لمستقر أنها تجري علىٰ مركزها ومحورها»؛ فهو خطأ مردود من وجهين:

أحدهما: أن الذي يجري لا يثبت في موضعه، بل يفارقه بالانتقال إلىٰ غيره، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ﴾ [الشورىٰ: ٣٣]؛ ففرَّق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بين جري السفن في الماء، وبين ركودها علىٰ ظهر البحر، وهو وقوفها وسكونها عليه.

وقال تعالىٰ عن سفينة نوح عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ [هود: ٤١، ٤٢]، الآيات إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [هود: ٤٤]؛ ففرَّق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بين جري السفينة في الماء وبين رسُوِّها واستوائها علىٰ جبل الجودي.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾ [الأنبياء: ٨١] الآية، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة جدًّا.

وفي «صحيح مسلم»، و«سنن أبي داود»، وابن ماجه، والدارمي[١] عن

---

(١) هو الإمام الحافظ، الحُجَّة، المُحدِّث، عبد الله بن عبد الرَّحمن بن الفَضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي، وُلد سنة مات ابن المبارك عام (١٨١هـ)، روىٰ عن: يزيد بن هارون، وأبي عاصم، وأبي نعيم، وأمَّا تلاميذه: فمسلم، وأبو داود، والترمذي،

جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «... فلمَّا دفع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يعني من مزدلفة- مرَّت به ظعن يجرين...» الحديث(١).

الوجه الثاني: أن الذي يدور علىٰ محوره مع ثباته في موضعه لا يوصف بالجريان، وإنما يوصف بالدوران، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد وصف الشَّمس بالجريان، ولم يصفها بالدوران، وكذلك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد وصفها بالجريان ولم يصفها بالدوران؛ فتبين بطلان ما حاوله المقلدون لأهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة من حمل الآية الكريمة علىٰ زعمهم الباطل.

ومنها أنه في (صفحة١١٩) ذكر قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ الآيات إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

ثم قال في (صفحة١٢٠)، وهذه الآية من أعظم ما يتمسك به المتشرعون من علماء الهيئة الجَدِيدَة.

قلت: ليس كذلك، بل في هذه الآيات ردٌّ عليهم؛ لأنَّ فيها النَّص علىٰ جريان

=

وغيرهم، توفي (٢٥٥هـ)، انظر: «تهذيب الكمال» (١٥/ ٢١٠)، و«تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٥٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٢٢٤).

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤)، والدارمي (٢/ ١١٦٧) (١٨٩٢).

الشَّمس، وهم قد أنكروه، وليس فيها ما يدلُّ علىٰ جريان الأرض كما زعموه.

ومنها: ما ذكره في (صفحة١٢٢) عن الفلاسفة أنَّ أصغر الثوابت عندهم أعظم من الأرض؛ وهذا مِن التَّخرُّص، والقول بغير علم.

وقد ذكرت في آخر الأدلة القرآنية علىٰ ثبات الأرض ما يدل علىٰ انتثار الكواكب في البحر يوم القيامة، وتكوير الشَّمس والقمر فيه؛ فليراجع، ففيه دليل علىٰ أن الأرض أعظم من الكواكب كلها، والله أعلم.

ومنها: أنه قال في (صفحة١٢٩): «وقد غلب علىٰ ظن أكثر أهل الحكمة الجَدِيدَة أنَّ القمر عالَم كعالم أرضنا هذه، وفيه جبال وبحار، ويزعمون أنهم يحسُّون بها بواسطة أرصادهم، وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الأمر فيه.

قلت: هذا تخرُّصٌ ورَجمٌ بالغَيْب، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا** ﴿٢٨﴾﴾ [النجم: ٢٨].

ومن أين لهم الوصول إلىٰ القمر، وتحقيق الأمر فيه، وهو في السماء بنص القرآن، وبين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة، فقدرتهم عاجزة عن اكتشاف القمر وتحقيق الأمر فيه.

وقد أخطأ الآلوسي في إطلاقه وصف الحكمة علىٰ الهيئة الجَدِيدَة ههنا وفي (صفحة١٣٠).

والصواب: أنها الجهل الكثيف، وعين المحادَّة لله ولرسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد اختلف العلماء في تفسير الحكمة:

فقال السُّدي: «هي النبوة»[١].

وقال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، **وقتادة:** «هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله»[٢].

وقال الضَّحاك: «القرآن والفهم فيه»[٣].

وقال مجاهد: «هي القرآن والعلم والفقه»[٤].

وعنه -أيضًا- أنه قال: «هي الإصابة في القول والفعل»[٥].

وقال أبو العالية: «الحكمة خشية الله»[٦].

وعنه -أيضًا-: «**الحكمة**: الكتاب والفهم»[٧].

وقال إبراهيم النخعي: «الحكمة الفهم»[٨].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٠٠).

(٢) «تفسير البغوي» (١/ ٣٣٤).

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري «تفسيره» (٥/ ٥٧٧).

(٥) المصدر السابق.

(٦) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٠٠).

(٧) أخرجه الطبري «تفسيره» (٥/ ٥٧٧).

(٨) أخرجه الطبري «تفسيره» (٥/ ٥٧٨) ولم يروه عن النخعي، بل قال: «وقال آخرون...» =

وقال أبو مالك: «**الحكمة**: السُّنة»[١].

وقال مالك: «الحكمة الفقه في دين الله»[٢].

قال ابن كثير: «والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة، بل هي أعم منها، وأعلاها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير علىٰ سبيل التَّبَع، كما جاء في بعض الأحاديث: «**من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يُوحىٰ إليه**»، رواه وكيع بن الجراح في «تفسيره»[٣].

وقال النووي[٤] **في تفسير الحكمة**: «أقوال كثيرة مضطربة، صفَا لنا منها: أنَّ الحكمةَ العلمُ المُشتَمِل علىٰ المعرفة بالله، مع نفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق للعمل به، والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك»[٥].

=

فذكره، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٧٠٠) عن النخعي.

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٠٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٠١)، وفي إسناده إسماعيل بن رافع المدني ضعفه أحمد وابن معين والنسائي، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها مما فيه نظر.

(٤) هو الحافظ، شيخ المذاهب، وكبير الفقهاء في زمانه، محيي الدين، أبو زكريا يحيىٰ بن شرف بن مُرِّي النووي ثم الدمشقي الشافعي، وُلِدَ (٦٣١هـ)، كان رأسًا في الزُّهد، وقدوة في الورع، وعديم النظير في مناصحة الحُكَّام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توفي (٦٧٦هـ)، انظر: «المَنْهل العَذْب الرَّوِي» للسخاوي.

(٥) «شرح النووي علىٰ مسلم» (٢/ ٣٣) بتصرف.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» بعد ما ذكر كلام النووي: «وقد تُطلَق الحكمة علىٰ القرآن، وهو مشتمِل علىٰ ذلك كله، وعلىٰ النبوة كذلك، وقد تُطلق علىٰ العلم فقط، وعلىٰ المعرفة فقط، ونحو ذلك»(١).

وقال -أيضًا-: «وأصح ما قيل في الحكمة: أنها وضع الشيء في محلِّه، أو الفهم في كتاب الله؛ فعلَىٰ التفسير الثاني قد توجد الحكمة دون الإيمان، وقد لا توجد؛ وعلىٰ الأوَّل فقد يتلَازمان، لأنَّ الإيمان يدل علىٰ الحكمة». انتهىٰ(٢).

ومِمَّا ذكرنا من أقوال العلماء في الحكمة يتَّضِح لطالب العلم أنه لا حَظَّ لأهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في الحكمة، وأنهم بعيدون منها غاية البُعد؛ فَهُم منها كما قيل:

سارت مشرِّقةَ وسرتُ مغرِّبًا ... شتان بين مُشرِّق ومُغرِّب

وقد كان مشركو قريش يُكنون أبا جهل بأبي الحكَم؛ فغيَّر النبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، وكنَّاه بأبي جهل.

وهكذا يقال: في أعداء الله تعالىٰ من أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة وأشباههم من الفلاسفة المشركين، أنهم أهل الجهل لا أهل الحكمة؛ لأنَّ صفة الجهل هي المطابقة لحالهم علىٰ الحقيقة، فوصفهم بذلك هو الذي يليق بهم كأبي جهل.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٤٦١).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٢٠٥).

أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والحكمة هي ما أنزله الله علىٰ أنبيائه الكرام من العلم النافع.

قال الله تعالىٰ مخاطبًا لنبيِّه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

وقال تعالىٰ بعد ذكر الأوامر والنَّواهِي في أول سورة الإسراء: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

قال البغوِيُّ: «وكل ما أمر الله به أو نهىٰ عنه فهو حكمة»[1].

وقال تعالىٰ: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ٥٤] وآل إبراهيم هم الأنبياء بعده.

وقال تعالىٰ في ذكر عيسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران: ٤٨].

وإذا كانت الحكمة مُنَزَّلة علىٰ الأنبياء فلورثتهم، وهُم العلماء العاملون حظ منها كل بحسبه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

---

(١) «تفسير البغوي» (٥/ ٩٤).

وفي الحديث الصحيح عن عبد الله ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»، رواه الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، والشيخان، والنسائي، وابن ماجه(١).

فأما الفلَاسفة المشركون؛ فَهُم أعداء الأنبياء، وليس لهم من الحكمة الموروثة عن الأنبياء حظٌّ ولا نصيب البتة، وبسبب كفرهم وعنادهم فقد أوتوا شرًّا كثيرًا، وجهلًا عظيمًا، ومع هذا يزعمون ويزعم المقلدون لهم أنهم من أهل الحكمة، ويحسبون أنهم علىٰ شيءٍ ألَا إنهم هم الكاذبون.

ومنها: أنه قرَّر في (صفحة١٢٩) أن كل أرض من الأرضين السبع محمولة بيد القدرة بين كل سماءين، وهناك ما يستضيء به أهلها؛ سابحًا في فلك بحر قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، ونسبة كل أرض إلىٰ سمائها نسبة الحلقة إلىٰ الفلاة، وكذا نسبة السماء إلىٰ السماء التي فوقها.

قلت: هذا كله تخبيطٌ وهَذَيانٌ لا دليل عليه، وسيأتي بيان بطلانه إن شاء الله تعالىٰ.

ومن هذا القبيل ما ذكره في (صفحة٣٠) عن ابن عربي(٢)، أنه قال: «إن

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

(٢) هو النَّكِرة، واسمه: محيي الدِّين محمد بن علي بن محمد بن عربي، الحاتمي،

الله تعالىٰ خلق الأرض سبع طبقات، وجعل كل أرضٍ أصغَر مِن الأخرىٰ؛ ليكون علىٰ كل أرض قبة سماء، وأن السموات علىٰ الأرضين كالقباب علىٰ كل أرض، سماء أطرافها عليها نصف كرة، وكرة الأرض لها كالبساط؛ فهي مدحية، دحاها من أجل السماء أن تكون عليها». انتهىٰ تخبيطه وهذيانه.

ومنها: قوله في (صفحة١٣٠): «ويمكن أن تكون الأرضون وكذا السموات أكثر من سبع، والاقتصار علىٰ العدد المذكور الذي هو عدد تام لا يستدعي نفي الزائد».

قلت: «هذا باطلٌ مردود؛ لمخالفته لنصوص القرآن والأحاديث الصحيحة، الدَّالَّة علىٰ أن السموات سبع فقط، وأن الأرضين سبع فقط».

ومخالفته -أيضًا- لإجماع أهل السنة والحديث، فقد ذكر الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي في كتابه «**الفرق بين الفرق**» إجماع أهل السنة علىٰ أن

=

الطائي، الأندلُسِي، أشهر غُلاة المُتصَوِّفين، صاحب الطريقة الأكبرية، وُلِد في (٥٥٨هـ)، كان كثير الاطِّلاع علي جميع الدرجات التَّنسُّكِيَّة في كل الأديان والمذاهب كالإغريق، وأفكار فيثاغورس، وأفلاطون؛ مما أدَّىٰ به للشطح، وزعَم أنه رأىٰ العرش الإلهي المحمول علىٰ أعمدةٍ مِن لهَب متفجِّر، ورأىٰ طائرًا بديع الصُّنع يُحَلِّق حول العرش، ويصدر إليه الأمر بأنْ يَرْتَحِلَ إلىٰ الشَّرق! وله خرافات أخرىٰ، توفي (٦٣٨هـ)، انظر: «الوافي بالوفيات» (١/ ٨٣)، و«ميزان الاعتدال» (٣/ ٤٥٣)، و«مقدمة ابن خلدون» (ص٤٧٣).

السموات سبع طباق، خِلَاف قول مَن زعم مِن الفلاسفة والمُنَجِّمِين أنها تِسْع.

وذكَرَ شيخ الإسلام أبو العباس ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- عن أبي بكر الأنباري أنه ذكر إجماع أهل الحديث والسنة علىٰ أن الأرضين سبع، بعضهن فوق بعض.

وقال الشيخ محمد بن يوسف الكافي في كتابه «المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية»:

«**المسألة التاسعة عشرة:** الأرضُ عقيدة المسلمين فيها أنها سبع أرضين، واحدة تحت واحدة، كما أن السماء سبع، واحدة فوق واحدة؛ فمن قال واعتقد أنها واحدة لا تعدد فيها؛ يكفر لتكذيبه الله تعالىٰ في خبره: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

ولتكذيبه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خبره أيضًا».

ثم ذكر ما رواه الإمام أحمد، والشيخان عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»(١).

وما رواه الإمام أحمد، والبخاري من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).

إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ»[١].

ومنها أنه في (صفحة ١٣٠) أشار إلىٰ ما قرره في (صفحة ١٢٩) مِن «أن كل أرض من الأرضين السبع محمولة بيد القدرة، بين كل سماءين» إلىٰ آخر كلامه.

ثم قال: «وليس ذلك مما يصادم ضروريًّا مِن الدِّين، أو يخالف قطعيًّا مِن أدلة المسلمين».

قلت: هذا قولٌ باطلٌ، مردودٌ بالنص والإجماع.

أما النص: فقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ**»، رواه الإمام أحمد، والبخاري من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[٢]، والأحاديث بنحوه كثيرة، وليس هذا موضع ذكرها.

والخَسْف إنَّما يكون من تحت، ولا يكون من جهة العلو؛ فإنَّ ذلك يُسَمَّىٰ عُروجًا وصُعودًا ورُقِيًّا، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ** ١٤﴾ [الحِجر: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿**كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ**﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال تعالىٰ مخبرًا عن كفار قريش أنهم قالوا: ﴿**أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٤).

(٢) تقدم تخريجه.

وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وفي قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خُسِفَ بِهِ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ**» دليل علىٰ أن الأرضين بعضهن فوق بعض، وأعْلَاهُنَّ ما نحن عليه.

قال ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»، بعد أن ساق عِدَّة أحاديث في إثبات سبع أرضين: قال: «فهذه الأحاديث كالمتواترة في إثبات سبع أرضين، والمراد بذلك: أن كل واحدةٍ فوق الأخرىٰ، والتي تحتها في وسطها عند أهْل الهَيْئَةِ حتىٰ ينتهي الأمر إلىٰ السابعة، وهي صَمَّاء لا جوف لها، وفي وسطها المركز، وهي نقطة مقدرة متوهمة، وهو محط الأثقال؛ إليه ينتهي ما يهبط من كل جانب إذا لم يعاوقه مانع». انتهىٰ(١).

وأما الإجماع:

فقال شَيخُ الإِسْلامِ أَبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ رحمه الله تعالىٰ: «قد خلق الله سبع أرضين بعضهن فوق بعض، كما ثبت في الصحاح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِن الْأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٢١).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٢٥٩) (٢٦٢٦٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، =

وقد ذكر أبو بكر الأنباري الإجماع على ذلك، وأراد به أهل الحديث والسنة». انتهى[(١)].

ولو كان الأمر على ما ذهب إليه الآلوسي من كون الأرضين بين السموات، وكل أرض منها بين سماءين؛ لكَانَ المخسوف به إلى سبع أرضين يخسف به على هذه الأرض التي نحن عليها، ثم يرفع فوق السماء الدنيا؛ فيخسف به في الأرض الثانية، ثم يرفع فوق السماء الثانية؛ فيخسف به في الأرض الثالثة، وهكذا إلى الأرض السابعة التي هي -على قول الآلوسي- بين السماء السادسة والسماء السابعة؛ وهذا لا يقوله مَن له أدْنَى مسكة من عقل.

ومجرد تصوره يكفي في معرفة فساده ومصادمته لِمَا هو معلوم بالضَّرورة من الدين، ومُخَالفَته لِمَا هو قطعي من أدلة المسلمين، وهو ما ذكرناه آنفًا من النص والإجماع، وستأتي بقِيَّة الأمثلة على نقصان كتاب الآلوسي، وقلة بركته مع الأمثلة على بطلان الهيئة الجَدِيدَة إن شاء الله تعالى.

ومما ذكرته من هذه الأمثلة التي تقدم ذكرها، والأمثلة التي ستأتي يتَّضِح أن كتاب الآلوسي لا خَيْرَ فيه، وأنه لا يستحق المدح.

وأيضًا، فقد اشتمل على تعظيم ابن عربي الطَّائي، إمام القائلين بوَحْدَة

=

والطبراني في «الكبير» (٧١٨٦) من حديث شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٩٥).

الوُجود، وتلقيبه بمُحيي الدين، والترحم عليه، والنقل من هذيانه، وما كان كذلك، فليس فيه بركة، ولا يستحق المدح، وإنما يستحق الذَّم والتَّحذِير منه.

وقد ثبت عند المُحَقِّقِين أنَّ ابن عربي مِن أكفر أهل الأرض، ومِمَّن سعَىٰ في إماتة دين الإسلام، وإبداله بنِحْلَتِه الخبيثة التي هي شر مِمَّا كان عليه اليهود والنصارىٰ بعد النسخ والتبديل.

وقد قال شَيخُ الإسْلامِ أبُو العبَّاسِ ابن تَيمِيَّةَ فيه وفي أشباهه أنهم أكفر من اليهود والنصارىٰ، وكلَام العلماء في تكفير ابن عربي كثيرٌ جدًّا.

وقد صنَّف العلَّامة برهان الدين البقَاعِي[1] كتابًا في تكفيره، وتكفير أشباهه من الاتِّحَادية، سمَّاه: «تنبيه الغبي إلىٰ تكفير ابن عربي»، قال في أوله: «وينبغي أن يعلم أولًا أن كلامه دائر علىٰ الوحدة المطلقة، وهي أنه لا شيء سوىٰ هذا العالم، وأنَّ الله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته.

ثم إنه يسعىٰ في إبطال الدين من أصله، بما يحل به عقائد أهله بأن كل أحد علىٰ صراط مستقيم، وأن الوعيد لا يقع منه شيء، وعلىٰ تقدير وقوعه فالعذاب المتوعد به إنما هو نعيم ونحو ذلك».

---

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط -بضم الراء وتخفيف الباء- بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، مؤرخٌ وأديب ومفسر، توفي (٨٨٥هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (١/ ٥٦).

ثم ذكر البقاعي شيئًا كثيرًا من شطحات ابن عربي وأقواله الباطلة، وذكر أقوال العلماء في تكفيره وتكفير أشباهه؛ فأجاد وأفاد، وصنف -أيضًا- كتابًا آخر في تكفيره، وتكفير ابن الفارض(١)، ومن كان علىٰ طريقتهما سماه: «تحذير العباد من أهل العناد»، وقد طبع الكتابان معًا في مطبعة «السنة المحمدية» بالقاهرة في سنة (١٣٧٢هـ)، وسمَّاهما الناشر: «مصرع التصوف»؛ فليراجعهما مَن لا يعرف حال ابن عربي؛ ليرَىٰ كلام العلماء فيه.

وإذا كان الأمر في ابن عربي ما ذكرنا؛ فليس بسلفيٍّ مَن يعظمه ويترحم عليه، ويعتمد علىٰ هذيانه، ولا خير في كتاب يشتمل علىٰ تعظيمه وتعظيم أشباهه، والله المستعان.

الأمر الثاني من الأخطاء: زعم الآلوسي أن الهيئة الجَدِيدَة قويمة البرهان، وأن القرآن الكريم يعضدها.

---

(١) ابن الفارض، شاعر الوقت، شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، ثم المِصْرِي، صاحب الاتحاد، أي وحدة الوجود، صرح بذلك في التائية التي مطلعها:

نعَـمْ بِالصِّـبَا قَلْبِـي صَـبَا لِأَحِبَّتِـي فَيَـا حَبَّـذَا ذَاكَ الشَّـذَا حِـينَ هَبَّـتِ

وقد أَوْرَدَ الذهبي منها جملة في «تاريخ الإسلام»، ودلَّل بها علىٰ اتِّحَاده، روىٰ عن القاسم بن عساكر، وحَدَّثَ عنه المُنذري، توفي (٦٣٢هـ). انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (ص١٢٣-١٢٤)، و«شذرات الذهب» (٥/ ١٤٩-١٥٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٦٨).

والجواب أن يقال: ليس الأمر كذلك، بل الهيئة الجَدِيدَة عديمة البرهان، والقرآن العظيم يعارضها ويشهد ببطلانها، وكذلك السنة وإجماع المسلمين، والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة، نذكر منها ما تيسر، وبالله المستعان:

المثال الأول: قولهم: إن الشَّمس ثابتة، وأنها مركز العالم، وأن الأرض وسائر السيارات والثوابت تتحرك عليها.

وهذا قول باطل، تَرُدُّه نصوص القرآن والسنة، وقد تقدَّم ذكرها في أول الكتاب؛ فلتراجع.

المثال الثاني: قولهم: إن الأرض تدور علىٰ الشَّمس.

وهذا قول باطل، ترده الأدلة الكثيرة من الكتاب والسُّنة.

ويرُدُّه -أيضًا- إجماع المسلمين علىٰ وقوف الأرض وسكونها، وأن حركتها إنَّما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها، وقد تقدَّم ذلك؛ فليراجع.

وقد اضطرب قول الآلوسي في هذه المسألة والتي قبلها، فمَرَّة يوافق أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة علىٰ قولهم ويحتج لهم، ومَرَّة يذكر قولهم ويسكت، ومرَّة يخالفهم، ويقول: إنه يجب الرجوع في هذا إلىٰ ما دل عليه الكتاب والسنة؛ وهذا القول هو الحق، لو كان الآلوسي يثبت عليه.

المثال الثالث: إنكارهم وجود السموات السبع. وذلك هو الكفر الصَّريح، والضلال البعيد؛ لمخالفته لنصوص الكتاب والسنة وإجماع

المسلمين، وكثير من جهال المسلمين يوافقونهم علىٰ هذا المذهب الباطل، وذلك ردة وخروج من دين الإسلام.

قال الآلوسي في (صفحة١٩) من كتابه الذي سماه: «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»: «وأما ما ذهب إليه متأخرو الفلاسفة، فلا سماء عندهم، بل الأجرام العلوية قائمة بالجاذبية، فإن الشَّمس وسائر الكواكب السيارات عليها، بل وجميع الثوابت ليست مركوزة في جسم من الأجسام».

إلىٰ أن قال: «غير أن المتأخرين لم يثبتوا من السموات سبعًا، ولا أكثر من ذلك ولا أنقص، والمتشرعون منهم قالوا: المراد من السموات السبع أصناف أجرام الكواكب، فإنهم جعلوها علىٰ سبعة أصناف في المقدار»؛ وذلك هو الضلال البعيد.

فلا يلزم أن يكون كل ما لم تصل إليه أيدي أفكارهم هو في حيز العدم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩].

فإن الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- كلهم أخبروا بوجود السموات في هذا الفضاء الذي ليس له مبدأ ولا انتهاء.

وهذا خاتمهم -صلوات الله عليه- قد ذكر ما ذكر مِمَّا رأىٰ في مِعْرَاجِه في السموات، واستفتاحه لها بواسطة جبريل؛ كل ذلك يبطل تأويل من أوَّل.

قلت: قد أجاد الآلوسي في رده علىٰ أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة في زعمهم عدم

السموات السبع، ولكنه أخطأ في قوله في الفضاء: إنه ليس له مبدأ ولا انتهاء، وقد تقدم رد ذلك مع الأمثلة التي تقدم ذكرها.

وذكر الآلوسي -أيضًا- في (صفحة٣٤) عن أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة أن سعة الجو غير متناهية عندهم، ومعنىٰ هذا إنكار وجود السموات السبع.

وذكر -أيضًا- في (صفحة٣٨) عن أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة أنهم لا يعترفون بوجود السموات السبع علىٰ الوجه الذي نطقت به النصوص، وذكر -أيضًا- في (صفحة٨٦) أن أهل الفن اليوم لا يعترفون بأجرام علوية غير الكواكب.

قلت: وهذا من مزيد كفرهم وعنادهم. وقد اعترف فرعون بوجود السموات مع شدة كفره بالله، واعترف بذلك قوم شعيب ومشركو قريش؛ فَهُم إذًا أخفُّ كفرًا مِن أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة.

قال الله تعالىٰ مخبرًا عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] الآية.

وقال تعالىٰ عن قوم شعيب: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، والكسف القطع، وقال تعالىٰ عن مشركي قريش: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢].

والقول بنفي وجود السموات السبع معلوم البطلان بالضرورة من الدين.

والأدلة على إثبات السموات السبع من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشق استقصاؤها لكثرتها، وحسبنا أن نذكر ههنا طرفًا منها:

فمن ذلك: قول الله تعالى مخبرًا عن نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣-٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ١١-١٢].

وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤] الآية.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] الآية.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

ففي هذه الآيات كلها النص علىٰ وجود السموات، والنص علىٰ أنهن سبع، ففي هذا رد علىٰ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة الذين أنكروا وجود السموات.

وفيها -أيضًا- رد علىٰ الآلوسي، حيث زعم أنه يمكن أن تكون السموات أكثر من سبع، وفي الآية من سورة «الطلاق» رد عليه -أيضًا- في زعمه أنه يمكن أن تكون الأرضون أكثر من سبع، وقد تقدم كلامه في ذلك قريبًا.

وفي الآية من سورة «عمَّ» النص علىٰ أن السموات مبنية، وأنها شداد؛ أي: في غاية الإحكام والشدة والكثافة.

وقد جاء في الأخبار عن بنائها عدة آيات من القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [غافر: ٦٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾

[النازعات: ٢٧-٢٨].

وقد أخبر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه جعل السماء سقفًا لِمَا تحتها مِن المخلوقات، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [غافر: ٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥].

وأخبر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -أيضًا- عن ارتفاعها بقوله: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه: ٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ﴾ [الرعد: ٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ [النازعات: ٢٧-٢٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥].

وأخبر تعالىٰ أن للسَّماء أبوابًا، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ﴾ [الأعراف: ٤٠] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: ١٤-١٥].

وأخبر تعالىٰ أن في السموات سُكَّانًا، فقال تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ﴾ [النور: ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٨] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٣-٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل: ٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وأخبر تعالىٰ عن السموات أنهن يكَدْنَ يتفطرن من سماع دعْوَىٰ الولد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ إعظامًا للرب، وإجلالًا له، فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم: ٨٨-٩٢]، وقال تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورىٰ: ٥].

وأخبر تعالىٰ أنها تنشق يوم القيامة، وأنه يطويها ويجعلها في يمينه، فقال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾ [الانشقاق: ١-٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]؛ **أي: انشقت.**

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩]؛ **أي: شقت.**

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١]؛ **أي: نزعت فطويت.**

وقال الزَّجَّاج: «قلعت كما يقلع السقف»(١).

قال البغوي: «**ومعنىٰ الكشط**: رفعك شيئًا عن شيء قد غطاه، كما يكشط الجلد عن السنام»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وأخبر تعالىٰ أن السماء والأرض قائمتان بأمره، وأنه يمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض إلا بإذنه، وأنه يمسك السموات والأرض أنْ تزولَا.

والآيات الدَّالة علىٰ وجود السموات كثيرة جدًّا، وفيما ذكرته كفاية لطالب الحق.

أما الأدلة علىٰ ذلك من السُّنة فكثيرة أيضًا، ونذكر ههنا طرفًا من ذلك:

فمنها: ما رواه الإمام أحمد، ومسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُتِيتُ بِالبُرَاقِ** -فذكر الحديث وفيه قال- **ثُمَّ عُرِجَ بِي**

---

(١) أورده البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٨).

(٢) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٨).

إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ له: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ له: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ.

قَالَ: فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَي الْخَالَةِ يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ، فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ.

فَفُتِحَ لَنَا الْبَابُ فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ قَالَ: يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ

إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ.

فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَإِذَا هُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»، الحديث، وقد رواه البخاري، والنسائي، وابن أبي حاتم بنحوه(١).

وفي رواية ابن أبي حاتم: «قَالَ: ثُمَّ أَخذَ بِيَدي جِبْرِيل، فصَعِدَ بِي إِلَىٰ السَّمَاء، فَلمَّا انْتهَيْنَا إِلَىٰ البَاب، اسْتَفْتَح، فقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا جِبْرِيل. قَالُوا: ومَنْ معَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّد. قَالُوا: وقَدْ بُعِثَ إِلَيْه؟ قَالَ: نعَمْ. قالَ: ففتَحُوا لَهُ، وقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ وَبمَنْ معَك. قَالَ: فَلمَّا اسْتوَىٰ عَلَىٰ ظَهرِهَا إذَا فِيهَا آدَمُ»، فذكر الحديث بنحو ما تقدم(٢).

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي، والنسائي، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن مالك بن صَعصَعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٣) حدَّثه أن نبيَّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٢)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ١٤٨) (١٢٥٢٧).

(٢) أخرج ابن أبي حاتم نحوها في «تفسيره» (١٣٥٥٧)، وأوردها السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٨٢) وعزاها لابن أبي شيبة.

(٣) هو الصحابي الجليل، مالك بن صعصعة بن وهب بن مالك بن عدي، من بني

حدَّثَهُم عن ليلة أُسري به، فذكر الحديث بنحو ما تقدَّم(١).

ومنها: ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان أبو ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يُحدِّث أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال...، فذكر الحديث بنحو ما تقدم(٢).

ومنها: ما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «زوائد المسند» عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان أبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يحدِّث أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال...، فذكر الحديث بنحو ما تقدم.

ومنها: ما رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «دلائل النبوة» عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال له أصحابه: يا رسول الله، أخبِرنَا عن ليلة أُسْرِيَ بك؟ قال: فأخبرهم. فذكر الحديث بنحو ما تقدم وفيه زيادات كثيرة(٣).

=

النجار، المشهور براوي حديث المعراج، سكن المدينة ومات فيها، لم يروِ سوىٰ حديثين. انظر: «التاريخ الكبير» (٧/ ٣٠٠)، و«أسد الغابة» (٤/ ٤٠٩).

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٨) (١٧٨٦٩)، والبخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤)، والترمذي (٣٣٤٦)، والنسائي (٤٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٣٠١).

ومنها: ما رواه ابن جرير، والبيهقي عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بنحو ما تقدم.

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، والبغوي عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كُنا جلوسًا مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالبطحاء، فمرَّتْ سَحابة، فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالَ: قُلْنَا: السَّحَابُ، قَالَ: «**وَالْمُزْنُ**»، قُلْنَا: وَالْمُزْنُ، قَالَ: «**وَالْعَنَانُ**»، قَالَ: فَسَكَتْنَا، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟**» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ، بَيْنَ رُكَبِهِنَّ وَأَظْلَافِهِنَّ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ وَلَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ**»، وقد رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة في كتاب «التوحيد»، والحاكم في «مستدركه»[(١)].

وفي روايتهم، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ بَيْنَ السَّمَاءِ

---

(١) أخرجه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢١٠)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٦) (١٧٧٠) شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف جدًّا»، وأبو داود (٤٧٢٣)، وابن ماجه (١٩٣)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٠٩٣).

وَالأَرْضِ؟» قَالُوا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ، حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَىٰ ظُهُورِهِمُ العَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ»، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن أبي حاتم، والبزَّار عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينما نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالِسٌ وأصحابُه، إذْ أتَىٰ عليهم سحاب، فقال نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا العَنَانُ، هَذِهِ رَوَايَا الأَرْضِ يَسُوقُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ قَوْمٍ لَا يَشْكُرُونَهُ وَلَا يَدْعُونَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهَا الرَّقِيعُ، سَقْفٌ مَحْفُوظٌ، وَمَوْجٌ مَكْفُوفٌ»، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ سَمَاءَيْنِ، مَا بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ» حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ العَرْشَ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ

السَّمَاءِ بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءَيْن»(١).

ومنها: مَا رواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**ما بين كل سماء إلىٰ الأخرىٰ مسيرة خمس مئة عام وبين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام وما بين السماء السابعة إلىٰ الكرسي مسيرة خمس مئة عام وما بين الكرسي إلىٰ الماء مسيرة خمس مئة عام والعرش علىٰ الماء والله علىٰ العرش ويعلم أعمالكم**»، إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم(٢).

ورواه من وجه آخر، ولفظه: «**ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام وبصر كل سماء خمس مئة -يعني غلظها-**»، وذكر بقيته بنحو ما تقدم(٣).

وهذا الحديث له حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال مِن قِبَل الرَّأي، وإنما يقال عن توقيف.

ومنها: ما رواه ابنُ حِبَّان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه» عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَالَ مُوسَىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ، وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَىٰ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: إِنَّمَا**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٠) (٨٨١٤)، والترمذي (٣٢٩٨)، وضعفه الألباني.

(٢) أخرجه ابن خريمة في «التوحيد» (١/ ٢٤٢).

(٣) أخرجه ابن خريمة في «التوحيد» (٢/ ٨٨٥).

أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَىٰ، لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(١).

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، والطبراني عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَن اثْنَتَيْنِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وذكر تمام الحديث»(٢).

ومنها: ما رواه ابن مردويه عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكرسي، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبعُ عِندَ الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ،**

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٣٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٩٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٩) (٦٥٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٤).

وَإِنَّ فَضْلَ العَرْشِ علَىٰ الكُرسِيِّ كفَضْلِ الفَلَاةِ علَىٰ تِلْكَ الحَلْقَةِ»(١).

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو عند النوم: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ**»، الحديث، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» وإسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين(٢).

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ نبيَّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو بهذه الدَّعَوات عند الكرب: «**لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ**

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) من طرق عن إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني، قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر - في حديث طويل، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني الدمشقي، قال أبو حاتم: كذاب، كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٤٢-١٤٣)، وقال الذهبي: متروك، وكذَّبه أبو زرعة كما في «ميزان الاعتدال» (١/ ٧٢)، وله طريق أخرىٰ أخرجها ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٣٩٩) حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، حدثني أبي، عن أبي ذر...، نحوه، وقد ساقها الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٧٥) وقال: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات، لكني أظن أنه منقطع. وقد ساق طرقًا أخرىٰ له، ثم قال: وجملة القول: إن الحديث بهذه الطرق صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٤٠٤) (٩٢٣٦)، والترمذي (٣٤٨١)، وابن ماجه (٣٨٣١).

السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»(١).

ورواه ابن ماجه بإسناد صحيح، وعنده في آخره: «**سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم**»(٢).

ومنها: ما رواه النسائي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه» عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ير قرية يريد دخولها إلَّا قال حين يراها: «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا**»، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٣).

وقد رواه الطبراني بنحوه، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير عطاء بن أبي مروان وأبيه، وكلاهما ثقة(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣١٣٣).

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٨٧٧٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٠٩)، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٢٦٩٨).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٣١٥)، وانظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٧١١٨).

وروى الطبراني -أيضًا- في «الأوسط» من حديث أبي لبابة بن عبد المنذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه. قال الهيثمي: وإسناده حسن(١).

وروى الطبراني -أيضًا- من حديث أبي معتب بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه. قال الهيثمي: «وفيه راوٍ لم يُسَم، وبقية رجاله ثقات»(٢).

ومنها: ما رواه الترمذي عن بُريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شكَىٰ خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَىٰ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، ما أنام الليل من الأرق! فقال النبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَبْغِيَ، عَزَّ جَارُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»، قال الترمذي: ليس إسناده بالقوي(٣).

ومنها: ما رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا تَخَوَّفَ أَحَدُكُمُ السُّلْطانَ فَلْيَقُل: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَواتِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيم، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ فُلانِ بنِ فُلانٍ**»، الحديث(٤).

قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير جنادة بن سلم، وقد وثَّقه ابن

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٥١٦)، وانظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٧١١٦).
(٢) انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٧١١٧).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٢٣)، قال الألباني في «الضعيفة» (٢٤٠٣): ضعيف جدًّا.
(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩٨١٥)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٤٠٠).

حبان، وضعفه غيره[١].

والأحاديث الدالة علىٰ وجود السموات كثيرة جدًّا، وفيما ذكرته كفاية، إن شاء الله تعالىٰ، ولو لم يكن منها إلَّا حديث واحد من أحاديث الإسراء؛ لكان كافيًا في الرد علىٰ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة الذين ينكرون وجود السموات، وقد اشتملت هذه الأحاديث علىٰ إثبات السموات، وأن لهن أبوابًا، وأن للأبواب حجابًا وخزنة، وأنه لا يدخل أحد من أبوابها إلَّا مِن بعد أن يؤذن له، ويفتح له الباب، وأن فيهن سُكَّانًا.

وفيها النص علىٰ أن السموات سبع.

ودل حديث العباس، وحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا علىٰ أن كِثَف كل سماء مسيرة خمس مئة سنة.

وفيهما أيضًا، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن «بُعْدَ ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة، وأن كل سَماءَيْنِ مسيرة خمس مئة سنة».

وفي الأحاديث عن أبي سعيد، وعبد الله بن عمرو، وأبي ذر، وصهيب، وأبي لُبابة، وأبي معتب بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ النص علىٰ أن الأرضين سبع كالسموات؛ فَفِي ذلك ردٌّ علىٰ الآلوسي في زعمه أنه يمكن أن تكون السموات أكثر من سبع، وأن تكون الأرضون أكثر من سبع.

---

(١) «مجمع الزوائد» (١٧١٣٥).

وإذا علم ما ذكرنا من الآيات والأحاديث الدالة علىٰ إثبات السموات السبع؛ فليعلم أيضًا أن الشَّيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي ذكر في آخر كتابه «الفَرق بين الفِرق» عن أهل السنة، أنهم أجمَعُوا علىٰ أنَّ السَّموات سبع طِبَاق؛ خِلَاف قول مَن زعم من الفلاسفة والمُنَجِّمين أنها تِسْع؛ وفي هذا ردٌّ علىٰ مَن أنكر وجود السموات، وردٌّ علىٰ الآلوسي -أيضًا- في قوله: إنه يمكن أن تكون السموات أكثر من سبع.

وقد قال الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي في كتابه «المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية»:

«**المسألة الخامسة عشر**: السماء عقيدة المسلمين فيها أنها بناء عظيم، وسقف لِمَا تحتها بلَا عَمد تُرىٰ، ووصفها الله تعالىٰ في كتابه العزيز بما ينطق بأنها بناء بالغ الغاية في الإتقان، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٣-٥].

فمن قال واعتقد أنها جوٌّ وفَضاء لا بناء، واستمر مُصَمِّمًا علىٰ ذلك؛ يكفر لتكذيبه الله تعالىٰ في خبره: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢]، وفي خبره: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وفي خبره: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥]، وفي

قوله: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٨]، وغير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أنها بناء محكم». انتهىٰ.

المثال الرابع: زعمهم أن سَعة الجو غير متناهية، ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٣٤)، وهذا قول باطل.

والحق: أن هذا الجو الذي نحن فيه ينتهي إلىٰ السماء الدنيا، ومسافته من كل جانب من جوانب الأرض خمس مئة سنة.

ثم بَيْنَ كل سمَاءَيْنِ فضَاء مسيرته مِن كل جانب خمس مئة سنة، وقد تقدَّم التَّنبِيه علىٰ ذلك، مع الأمثلة علىٰ نُقصَان كتاب الآلوسي، وقلة بركته، وخطأ الصواف في مدحه.

المثال الخامس: زعمهم أنَّ الشَّمس أعْظَم مِن الأرض بألفِ ألْفِ مرة، وثلاث مئة وثمانية وعشرين ألف مرة، ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٣٣).

والجواب أن يقال: قد ذكر ابن القيم -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- عن أهْل الهَيْئَةِ القديمة أنهم اتفقوا علىٰ أن الشَّمس بقدر الأرض مئة مرة ونَيِّفًا وستين مرة.

وكل من الطرفين لا دليل لهم علىٰ ما قالوه سِوَىٰ الظنون الكاذبة، والرَّجم بالغيب، وإثبات مثل هذه الأمور يحتاج إلىٰ دليلٍ قاطع من كتاب الله تعالىٰ، أو مِن سُنة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وما لم يكن عليه دليل؛ فليس عليه تَعْوِيل.

ولو قال قائل: إنَّ الأرض أعظم مِن الشَّمس بكثير؛ لكان قوله أقرب إلىٰ

الصواب من قول أهْل الهَيْئةِ القديمة، ومِن قول أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التكوير: ١-٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾ [الانفطار: ١-٢].

قال البغوي وغيره في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير: ٢]: «أي: تناثرت من السماء، وتساقطَتْ علَىٰ الأرض»(١)، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفطار: ٢].

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **أنه قال: «يكور الله الشَّمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث ريحًا دبورًا فيضرمها نارًا»**، رواه ابن أبي حاتم بإسناد ضعيف، وكذا ذكر البغوي في «تفسيره» عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا(٢).

قال ابن كثير: «وكذا قال عامر الشعبي»(٣).

قلت: ويَشْهَد لِهَذا الأثر ما رواه البخاري في «صحيحه» عن عبد الله الداناج، قال: حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الشَّمْسُ وَالقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَة**»(٤).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في (١٩١٤٢)، وانظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٦)، وقد عزاهُ السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٦) لابن أبي الدنيا في «الأهوال».

(٣) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٠٠).

ورواه البزَّار من حديث عبد الله الداناج، قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة، وجاء الحسَن، فجلس إليه فحدَّث، قال: حدثنا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ثَوْرَانِ فِي النَّارِ عَقِيرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

فقال الحسَن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول: وما ذنبهما؟!»، إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم(١).

وروَىٰ أبو يَعْلَىٰ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الشَّمْسُ وَالقَمَرُ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ**»، قال الهيثمي: فيه ضعفاء قد وُثِّقُوا(٢).

قلت: وما تقدَّم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشهد له ويقويه.

وروىٰ ابن أبي حاتم عن الشَّعبي أنه سَمِعَ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

وجهنم هو هذا البحر الأخضر، تنتشر الكواكب فيه، وتكور فيه الشَّمس والقمر، ثم يوقد فيكون هو جهنم»(٣).

وروَىٰ الإمام أحمد، وابن جرير، والحاكم عن يعلىٰ بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٨٦٩٦).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده» (٤١١٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٣٩٤).

قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «**البَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ**»، قال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقَهُ الذهبي في «تلخيصه»(١).

وفِيمَا ذكرنَا دليل علَىٰ أنَّ الأرض أعْظَم مِن الشَّمس والقمَر، والكَواكب؛ لأنَّ الجَمِيع ينتثر يوم القيامة في البحر فيسعها كلها، ولو كانت الشَّمس بقدر الأرض، أو أعظم منها لملأت الأرض كلها، وزادت عليها بكثير.

وعلىٰ قول أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة تكون الشَّمس أعظم مما بين السماء والأرض، وهذا لا يشبه كلَام العُقَلاء، وإنَّما هو هذَيان يشبه كلام المَجانِين.

ونقول -أيضًا- مَن الذي ذهب مِن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أو غيرهم إلىٰ الشَّمس، وقاسَها، وعلم مقدارها، وما بينها وبين الأرض مِن التَّفاوت العظيم في الكبر، وإذا كان هذا ممتنعًا في حق البشَر، فمِنْ أين لهم العلم بقدرها علىٰ الوجه الذي حددوه تحديد من ذهب إليها وقاسها، أو من كان معه نصٌّ عن الله تعالىٰ أو عن رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يطابق ما قاله.

وأيضًا، فهذه الأرض التي خُلِقُوا منها، وعاشُوا عليها لم يَطَّلِعُوا عليها كلها مع كثرة طوافهم فيها، وكثرة ما لديهم من وسائل الاكتشاف، وقد أخبر الله تعالىٰ في كتابه العزيز عن يأجوج ومأجوج.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٢٣) (١٧٩٨٩)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٦٢).

وعن سد ذي القرنين الذي بناه دونهم، وأخبَر أنَّهم يخرجون في آخر الزَّمان، وكذلك أخبَر رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنهم في عِدَّة أحاديث، وأخبر أنهم يخرجون في آخر الزَّمان؛ فيحصُرون المُسلِمين، فيدعو عليهم نبي الله عيسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأصحابه؛ فيهلكهم الله تعالىٰ وهم من بني آدم بلَا خِلَاف.

ومع هذا لم يطلع عليهم، ولا علىٰ سَدِّ ذي القرنين أحد من هؤلاء الكذَّابين الذين يزعمون مقدار الشَّمس والقمر، وغيرهما من الأجرام العلوية، ويعلمون ما فيها من المواد.

وكذلك قد جاء في حديث تميم الدَّاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ الدَّجال موثَّق بالحَدِيد في بعض جزائر البحر.

وقد حدَّث تميم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحديثه، فصَدَّقه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبَر النَّاس بذلك، ومع هذا لم يطلع علَىٰ الدَّجال أحد بعد أهل السفينة الذين كانوا في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيقال للذين يزعمون أنهم اكتشَفُوا علىٰ الأجرام العلوية، وعلِمُوا مَوادَّها ومقاديرها: إنكم قد عجزتم عن اكتشاف جميع الأرض التي خُلِقتُم منها، وعِشْتُم فيها، فأنتم عن اكتشاف الأجرام العلوية أعجز وأعجز، ولقد أحسن الشاعر حيث يقول:

أَطُلَّاب النُّجُومِ أحلتمُونَا ... علَىٰ خَبَرٍ أدَقَّ مِنَ الهَبَاءِ

عُلُومَ الأَرْضِ لَمْ تَصِلُوا إِلَيْهَا فكَيْفَ وصَلْتُمُ خبَرَ السَّماءِ

والكلام في مقادير الأجرام العلوية وأبعادها وموادها، وما جعل الله فيها يحتاج إلىٰ نصٍّ قاطعٍ عن الله تعالىٰ، أو عن رسوله ﷺ؛ لأنَّ ذلك من أمور الغيب التي لا تعلم إلَّا من طريق الوحي، ولا نص في ذلك البتة.

وما لم يخبر الله به ولا رسوله ﷺ من أمور الغيب فالواجب الإعراض عنه، وعدم الخوض فيه لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

فأما الاعتماد علىٰ الأرصاد في معرفة مقادير الأجرام العلوية وأبعادها وموادها، وما جعل الله فيها كما هو شأن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، وأتباعهم فذلك من التخرُّص، واتِّباع الظن، والرَّجم بالغيب، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وأيضًا، فإنَّ الله تعالىٰ قد عظَّمَ شأن الأرض في كتابه، ونوَّه بذكرها أكثر مِمَّا عظَّم مِن شأن الشَّمس والقمر والكواكب، وقرن خلقها مع خلق السموات في عدة آيات من القرآن.

وأخبَر أنه خلقها، وما فيها في أربعة أيَّام، وأنه خلق السموات وما فيهن في يومين، وذلك يدلُّ علىٰ عِظَم الأرض، وأنها أكبر من الشَّمس والقمر وسائر الكواكب.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ﴾ [الشورىٰ: ٢٩] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية، وقال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة الدَّالة علىٰ عِظَم الأرض وسعتها.

وقد جاء في تعظيم خلق الأرض أحاديث كثيرة عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

منها: حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي تقدَّم ذكره، وفيه أن الله تعالىٰ قال: **«لَوْ أَنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**[(١)]، ونحوه ما في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في ذكر وصية نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لابنه، وقد تقدم أيضًا.

وكذلك حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُونَ السَّبعُ عِندَ الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاة»**، الحديث، وقد تقدَّمَ ذِكره[(٢)].

وروىٰ الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي، والنسائي عن عبد الله بن

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السنة» (١٢٧٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) من طرق عن إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني، قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر - في حديث طويل، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني الدمشقي، قال أبو حاتم: كذاب، كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٤٢-١٤٣)، وقال الذهبي: متروك، وكذَّبه أبو زرعة كما في «ميزان الاعتدال» (١/ ٧٢)، وله طريق أخرىٰ أخرجها ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٣٩٩) حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، حدثني أبي، عن أبي ذر...، نحوه، وقد ساقها الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٧٥) وقال: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات، لكني أظن أنه منقطع. وقد ساق طرقًا أخرىٰ له، ثم قال: وجملة القول: إن الحديث بهذه الطرق صحيح.

مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «جاء حبر من الأحبار إلىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]»، الآية(١).

وروىٰ الإمام أحمد، والترمذي -أيضًا- عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهُوَ جَالِسٌ، قَالَ: كَيْفَ تَقُولُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ يَوْمَ يَجْعَلُ اللهُ السَّمَاءَ عَلَىٰ ذِهْ -وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ-، وَالْأَرْضَ عَلَىٰ ذِهْ، وَالْمَاءَ عَلَىٰ ذِهْ، وَالْجِبَالَ عَلَىٰ ذِهْ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَىٰ ذِهْ، كُلُّ ذَلِكَ يُشِيرُ بِأَصَابِعِهِ. قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]»، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح(٢).

والأحاديث الدالة علىٰ عِظَم الأرض كثيرة جدًّا، وفيما ذكرته ههنا كفاية إن شاء الله تعالىٰ.

المثال السادس: زعمهم أنَّ القمَر دون عظم الأرض بتسع وأربعين مرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٥١) (٢٢٦٧)، وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (٥٤٥).

ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٣٤)، وهذا من نمط ما قبله من التخرص والرجم بالغيب.

المثال السابع: زعمهم أن بُعد الشَّمس عن الأرض أربعة وثلاثون ألف ألف فرسخ فرنسي، وهو المُقَدَّر بمسافة ساعة وخمس مئة ألف فرسخ، ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٣٤).

وهذا مِن نمَط ما قبله من الهذيان، فإن هذه المسافة التي ذكروها تطابق اثني عشر ألف سنة أو قريبًا من ذلك، وهذا يقتضي أن تكون الشَّمس فوق السماء السابعة بمقدار خمسة آلاف، وأن تكون فوق الكرسي أيضًا، وهذا باطل قطعًا، فإنَّ الشَّمس في السماء بنص القرآن، وليست فوق السموات السبع.

والصواب في هذا أن يقال: الله أعلم بمقدار بعد الشَّمس عن الأرض، ولم يخبرنَا الله ولا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بُعدها بشيء نعتمد عليه، ولو كان في ذلك فائدة تعود علىٰ المكلَّفين في أمر دينهم أو دنياهم لَبيَّنه الله تعالىٰ لهم، ولم يهمله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، وقال تعالىٰ مخبرًا عن موسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

فالواجب علىٰ المسلم أن يتمسك بما جاء عن الله تعالىٰ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويسكت عمَّا سكت الله ورسوله عنه، ولا يتكلف ما لا علم له

به، فإنَّ ذلك مِمَّا نَهىٰ الله عنه قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

المثال الثامن: زعمهم أنَّ القمر من سيارات السيارات؛ لأنه يدور حول الأرض ودورانها حول الشَّمس. ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة ٣٤).

والجواب أن يقال: أمَّا قولهم بدوران القمر علىٰ الأرض فهو صحيح، يجري في الفلك ويدور علىٰ الأرض، وكذلك الشَّمس وسائر الكواكب؛ فكلها تجري وتدور علىٰ الأرض، هي المركز للجميع كما تقدم في أوَّل الكتاب.

وأما قولهم: إنَّ القمَر من سيارات السيارات، وإنَّ الأرض تدور حول الشَّمس فهو مِن نمَط ما قبله مِن التخرُّص، والقول بغير علم، وقد تقدم رده في أول الكتاب.

وقد تناقض قول أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في مدَار القمر، وذلك أنهم زعموا أن الشَّمس هي المركز الثَّابت، وأن الأرض وجميع السيارات تدور عليها، وأقربها إلىٰ الشَّمس عطارد، ثم الزُّهرة، ثم الأرض، ثم القمر، ثم المريخ.

وعلىٰ هذا القول ينتفي الكسوف عن الشَّمس؛ لأن القمر إنَّما يدور عليها من وراء مدار الأرض، فلا يتوسط بين الأرض وبين الشَّمس.

وكسوف الشَّمس إنما يكون بسبب حيلولة القمر بينها وبين الأرض.

ولما عَلِم أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة بما في هذا القول من الفساد قالوا: إن القمر من سيارات السيارات، وإنه يدور علىٰ الأرض، والأرض تدور هي وقمرها علىٰ الشَّمس.

وهذا باطل قطعًا؛ لأنها لو كانت تدور علىٰ الشَّمس، مع ما زعموه من البُعد المُفرِط بينها وبين الأرض؛ لكان مدار الأرض وقمرها من فوق الكرسي بمسافة بعيدة جدًّا، وكانا يخترقان السموات السبع في حال دورانهما، وهذا من أبطل الباطل، وأيضًا فالدوران إنما يكون علىٰ مركز ثابت، وما ليس بثابت كالسيارات فليس بمركز يدار عليه.

المثال التاسع: زعمهم أن البُعد الأبْعَد للقمر عنها -أي: عن الأرض- أحد وتسعون ألفًا وأربع مئة وخمسون فرسخًا، والبُعد الأقرب له ثمانون ألفًا ومئة وخمسة فراسخ؛ فيكون البُعد الأوْسَط نحو ستة وثمانين ألف فرسخ. ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة ٣٤).

وهذا من نمط ما قبله مِن الهذَيان والتَّخَرُّص، وذلك أن مسافة البعد الأبعد تُطابِق إحدىٰ وثلاثين سنة وتسعة أشهر تقريبًا.

ومسافة البعد الأوسط تطابق تسعًا وعشرين سنة وعشرة أشهر تقريبًا.

ومسافة البعد الأقرب تطابق سبعًا وعشرين سنة وعشرة أشهر تقريبًا.

والقرآن العظيم يرد هذا القول ويُبطِله، قال الله تعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ

فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تعالىٰ مخبرًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦].

ففي هذه الآيات النَّص علىٰ أن القمر في السماء.

وقد ثبت عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه قال: «بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة عام»**، وقد تقدَّمت الأحاديث بذلك في أول الكتاب.

وفيها مع الآيات التي ذكرنا ردٌّ لِمَا تخَرَّصَهُ أَهْل الهَيْئَةِ الجَدِيدَة في بُعد القمر عن الأرض.

المثال العاشر: تسميتهم الأرض كوكبًا. ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٣)؛ وهذا خطأ وضلَال.

وإنَّما أطلقوا عليها اسم الكوكب؛ لأَنَّهُم زعَمُوا أنها تسير كما تسير الكواكب وتدور علىٰ الشَّمس، وقد تقدَّم رد هذا وبيان بُطلَانِه في أثناء الكتاب؛ فليراجع.

المثال الحادي عشر: زعمهم أن في النجوم الثَّوابت شموسًا، مثل هذه الشَّمس أو أكبر منها.

وذكر الآلوسي عنهم في (صفحة٦٨) أن النجوم الثَّوابت يُعَد كل واحد منها شمسًا لا يرىٰ توابعها للبُعد الشاسع.

وقال محمد رشيد رضا في (صفحة٦٣٧) من الجزء السابع من «تفسيره»: «وإنَّنا نقتبس مما نقل عن علماء الهيئة كلمة في أبعاد بعض النجوم الثوابت التي هي شموس من جنس شمسنا».

وقال -أيضًا- في (صفحة٦٣٨): «ومِن الاعتِبَار قول صاحب «المقتطف» لَمَّا انتهىٰ من الكلَام علىٰ النظام الشَّمسي، ورجَّح أنه لا يصلح شيء من سياراته لحياة البشر غير الأرض، وأنه يحتمل أن تكون سيارات سائر الشموس كذلك، وكلها أكبر من هذه الشَّمس».

والجواب أن يقال: هذا كله تخرُّصٌ ورَجْمٌ بالغيب، والقرآن يرد هذا الزَّعم الكاذب، وكذلك السُّنة.

قال الله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، والحسن، وقَتادة: «البروج هي الكواكب العِظَام»(١).

وقال البغوي: «هي النُّجوم الكبار، مأخوذة مِن الظُّهور، يقال: تبرجت

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٢٠).

المرأة؛ أي: ظهرت»[(١)].

وقال أيضًا: «وسُمِّيَت بروجًا لظهورها»[(٢)].

وقال تعالىٰ مخبِرًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦-٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

ففي هذه الآيات النص علىٰ أن الشَّمس والقمر في السماء، وفيها النص علىٰ أن الله تعالىٰ جعل الكواكب زينة للسماء الدُّنيا ورجُومًا للشياطين.

وإذا كان كل مِن الشَّمس، والقمر، والنجوم في السماء، فلِمَ ظهرت هذه

---

(١) «تفسير البغوي» (٤/ ٣٧١).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/ ٩٢).

الشَّمس وحدها، واختفت شموس أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، مع أنهم يزعمون أن كُلًّا منها أكبر من هذه الشَّمس؛ فهذا مما يدل علىٰ بطلان قولهم.

وروىٰ الإمام أحمد، والشيخان، والدارمي، وابن ماجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً**»، الحديث، وقد رواه الترمذي مختصرًا، وقال: هذا حديث صحيح(١).

وروىٰ مسلم -أيضًا- من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نحوه موقوفًا.

ورواه الإمام أحمد مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإسناده إسناد مسلم.

وروىٰ الإمام أحمد -أيضًا-، والترمذي، والطبراني عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوه أيضًا، وقال: الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وروىٰ الطبراني -أيضًا- في «الأوسط» عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوه. قال الهيثمي: وإسناده صحيح.

وفي هذه الأحاديث دليل علىٰ أن أعظم كوكب في السماء لا يبلغ نوره مثل نور القمر، فضلًا عن ضوء الشَّمس؛ ولهذا تكون الزمرة الأولىٰ من أهل الجنة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

علىٰ صورة القمر، وتكون الزُّمرة الثَّانية علىٰ أشد كوكب في السماء إضاءة.

ولو كان الأمر علىٰ ما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مِن كَوْنِ النجوم الثوابت شموسًا مثل هذه الشَّمس، أو أكبر منها؛ لكانت الزمرة الثانية من أهل الجنة أفضل من الزمرة الأولىٰ، وأعظم نورًا منهم بكثير، وهذا باطل قطعًا، والأحاديث الصحيحة تَرُدُّه.

وروىٰ الطَّبَراني عن أبي أُمَامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا كان يوم القيامة قامت ثلة من الناس يسدون الأفق نورهم كالشَّمس، فيقال: النبي الأمي، فيتحشحش**[1] **لها كل نبي، فيقال: محمد وأمته، ثم تقوم ثلة أخرىٰ تسد ما بين الأفق نورهم مثل كل كوكب في السماء فيقال: النبي الأمي، فيتحشحش لها كل نبي**»، الحديث، قال الهيثمي: رجاله وُثِّقوا[2].

وفي روايةٍ له أُخرَىٰ عن أبي أُمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**تخرج يوم القيامة ثلة غر محجلون فتسد الأفق، نورهم مثل نور الشَّمس، فينادي مناد: النبي الأمي، فيتحشحش لها كل نبي أمي، فيقال: محمد وأمته، فيدخلون الجنة ليس عليهم حساب ولا عذاب، ثم تخرج ثلة أخرىٰ غرًّا محجلين، نورهم مثل نور القمر ليلة البدر، فتسد الأفق، فينادي مناد: النبي الأمي،**

(١) عند الطبراني: «فيَتحَسَّس».

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٧٩٦).

فيتحشحش[١] **لها كل نبي أمي، فيقال: محمد وأمته، فيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم تخرج ثلة أخرىٰ نورهم مثل أعظم كوكب في السماء، يسد الأفق نورهم، فينادي مناد: النبي الأمي، فيتحشحش لها كل نبي أمي، فيقال: محمد وأمته، فيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»، الحديث، قال الهيثمي: رجاله وثقوا علىٰ ضعف فيهم[٢].

وهذا الحديث كالأحاديث قبله، يدلُّ علَىٰ أنَّ أعظم الكواكب لا يبلغ نوره مثل نور القمر؛ فضلًا عن نور ضوء الشَّمس.

وروىٰ الإمام أحمد، والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا سِوَارُهُ لَطَمَسَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ**»[٣]، وهذا الحديث يدلُّ علىٰ أن ضوء الكواكب كلها لا تقاوم ضوء الشَّمس، فضلًا عن أن يكون فيها ما هو أكبر من الشَّمس وأعظم منها ضوءًا بكثير.

وفي هذا الحديث والأحاديث قبله رد علىٰ الذين يتخرَّصُون في الكواكب، ويدعون فيها بأشياء لا مستنَد لها سِوَىٰ الظنون الكاذبة.

---

(١) عند الطبراني: «فيتحسَّس».

(٢) أخرجها الطبراني في «الكبير» (٧٧٣٩).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١٦٩) (١٤٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٦٥).

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، ثم قال تعالىٰ: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۝٣٠﴾ [الفاتحة: ١-٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝١١٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١١٧﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وأيضًا، فإن الله تعالىٰ لم يذكر في كتابه سوىٰ شمس واحدة، وكذلك الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يذكر سِوَىٰ شمس واحدة، ولو كان هناك شموس غيرها؛ لبيَّنها الله تعالىٰ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لقَدْ تَركنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما يُقَلِّبُ طَائِرٌ جَناحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَر لنَا مِنْهُ عِلْمًا**»، رواه ابن جرير (١).

ومِن هذا القبيل من التخرص والرجم بالغيب: زَعْمهم أنَّ الأقمار عشرون قمرًا، واحد منها للأرض، واثنان للمريخ، وأربعة للمُشتري، وثمانية لزحل،

---

(١) أخرجه وكيع في «الزهد» (٥٢٢)، والطيالسي في «مسنده» (٤٧٩)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ١٥٣) (١٦٢)، والبزار في «مسنده» (٣٨٩٧)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٤٨)، والأثر قويٌّ بطرقه.

وأربعة لأورانوس، وواحد لنبتون.

ذكر ذلك محمد فريد وجدي في كتابه «دائرة المعارف».

وهذا قول باطل مردود بقول الله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

فذكر تعالىٰ أنه جعل في السماء بروجًا، وهي الكواكب الكبار من السيارات وغير السيارات، وأنه جعل فيها سراجًا، وهو الشَّمس، وقمرًا منيرًا، وهو القمر المعروف.

وفي هذه الآية دليل علىٰ أنه ليس في السماء سوىٰ شمس واحدة، وقمر واحد، ولو كان فيها شموس وأقمار سوىٰ هذه الشَّمس وهذا القمر؛ لذكرَهَا الله تعالىٰ في كتابه، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ مخبِرًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦].

وفي هاتين الآيتين أوْضَح دليل علىٰ أنه ليس في السموات السبع سوىٰ شمس واحدة، وقمر واحد؛ وفيهما أبلغ رد علىٰ ما يهذو به طواغيت الإفرنج من الشموس والأقمار التي لا وجود لها.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤] الآية.

فذكر تعالىٰ أنه خلق الشَّمس، والقمر، والنجوم، وسخَّرها بأمره؛ وفي هذا أوضح دليل علىٰ أنه ليس في السماء سوىٰ شمس واحدة، وقمر واحد، وما سواهما من اللَّامعات فكلها نجوم.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

فذكر تعالىٰ أن الليل والنهار، والشَّمس والقمر آيات من آياته الدالة علىٰ كمال قدرته، وعظيم شأنه، وأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له دون مَن سواه.

وفي هذه الآية دليلٌ علَىٰ أنه ليس في الوجود سِوَىٰ شمس واحدة وقمر واحد، ولو كان فيه شموس وأقمار سوىٰ هذه الشموس وهذا القمر؛ لذكرها الله تعالىٰ مع هذه الآيات العِظَام.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: ٩٦-٩٧].

فذكر تعالىٰ في الآية الأولىٰ الليل والنهار، والشَّمس والقمر، وذكر في الآية الثَّانية النجوم، وهي ما عدا الشَّمس والقمر مِن الأجرام السماوية.

وهذه النجوم التي نصَّ الله عليها في كتابه، وذكر أنه جعلها لعباده ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، هي التي يزعم طواغيت الإفرنج أن منها شموسًا أكبر من هذه الشَّمس بكثير، وأن منها أقمارًا سوىٰ هذا القمر، وفي هذه الآية الكريمة أبلغ رد عليهم.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ [القيامة: ٧-١٠].

فذكر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنَّ القمر يُخسَف يوم القيامة، وأنه يجمع بينه وبين الشَّمس.

وفي الحديث الصحيح أنهما يكوران يوم القيامة، وأنهما ثوران في النار عقيران، رواه البخاري، والبزار من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وتقدم ذكره قريبًا(١).

وفي هذا دليل علىٰ أنه ليس في السماء سوىٰ شمس واحدة وقمر واحد، ولو كان في السَّماء شموس وأقمار متعدِّدة كما يزعمه أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة؛ لقال: (وجمعت الشموس والأقمار).

---

(١) سبق تخريجه.

ولقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (الشموس والأقمار مكورات يوم القيامة، وإنها ثيران عقيرة في النار).

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التكوير: ١-٢]. فذكر تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الشَّمس بلفظ المفرد؛ لأنها واحدة، وذكر النجوم بلفظ الجمع؛ لأنها متعددة، ولو كان في السماء شموس متعددة لذكرها بلفظ الجمع كما ذكر النجوم بلفظ الجمع في الآية التي ذكرنا، وفي آيات كثيرة سواها.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس: ١-٢]، فذكر كُلًّا مِن الشَّمس والقمر بلفظ المُفرَد، لأنَّ كلًّا منهما مفرد لا نظير له، ولو كان في السماء شموس وأقمار متعددة لذكرها بلفظ الجمع.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [يونس: ٥]، الآية فذكر تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كُلًّا من الشَّمس والقمر بلفظ المفرد؛ لِاتِّحاد كلٍّ منهما، ولو كان في الوجود شموس وأقمار متعددة؛ لذكرها بلفظ الجمع.

وأيضًا، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج: ١٨] الآية، فذكر تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الشَّمس والقمر بلفظ المفرد؛ لأن كُلًّا منهما لا نظير له، وذكر ما سواها بلفظ الجمع؛ لأن كل جنسٍ منها متعدد.

والآيات الدالة علىٰ بطلان قول أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في تعدد الشموس والأقمار أكثر مما ذكرنا، وفيما ذكرنا كفاية لمن أراد الله هدايته.

وقد جاء عن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في عدة أحاديث صحيحة أنه قال: «**إن الشَّمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته**»، فذكر كُلًّا مِن الشَّمس والقمر بلفظ المفرد؛ لأنه لا نظير لواحد منهما، ولو كان هناك شموس وأقمار متعددة لعبَّر عنها بلفظ الجمع.

والأحاديث التي ذكرت فيها الشَّمس أو القمر بلفظ المفرد كثيرة جدًّا، وفيما ذكرنا كفاية لمن أراد الله هدايته.

المثال الثاني عشر: زعمهم أنَّ صِغَار الكواكب الثوابت أعظم من الأرض، ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة١٢٢).

وهذا من جنس ما قبله مِن التخرُّص والرَّجم بالغيب، وقد قدَّمنا ذكر الآيات والآثار الدالة علىٰ تكوير الشَّمس والقمر والنجوم في البحر يوم القيامة؛ وهذا يدل علىٰ أن الأرض أعظم من الشَّمس والقمر، وسائر الكواكب، وقد تقدَّم إيراد ذلك قريبًا بما أغنَىٰ عن إعادته.

المثال الثالث عشر: هذَيانهم في بُعْدِ النجوم الثوابت عن الأرض.

قال الآلوسي في (صفحة٦٨): «والنجوم الثوابت ليست من النظام الشَّمسي، بل هي أنظمة مستقلة، تُرَىٰ منها شمسُنا كما تُرَىٰ هي من عندنا؛ أي:

نقطًا لامعةً نَيِّرةً في القبة الزرقاء».

وذكر محمد رشيد رضا في تفسيره سورة «الأنعام» عن أَهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة: «أن النسر الطائر يبعد عن الأرض سبعة وثمانين ألف ألف ألف ألف ميل، يعني قريبًا من أحد عشر ألف ألف ألف سنة.

وأن النسر الواقع يبعد عن الأرض مئة وثمانين ألف ألف ألف ألف ميل، يعني قريبًا من إحدىٰ وعشرين ألف ألف ألف سنة.

وأن السماك الرَّامح يبعد عن الأرض ثلاث مئة ألف ألف ألف ألف ميل، يعني قريبًا من خمسة وثلاثين ألف ألف ألف سنة».

قال: «وأول مَن قاس أبعاد النجوم بالضبط الفلكي «ستروف»، فإنه قاس بُعد النسر الواقع سنة (١٨٣٥) إلىٰ سنة (١٨٣٨) ميلادية، فجاءت نتيجة قياسه مطابقة لنتيجة القياسات الحديثة، مع أنَّ الفلكِيِّين يستخدمون الآن من الوسائل ما لم يكن معروفًا في عصره». انتهىٰ(١).

قلت: وهذا كله باطلٌ وضلَالٌ، وهذَيانٌ يشبه هذيان المجانين، والدليل علىٰ بطلانه، قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] الآية.

---

(١) «تفسير المنار» (٧/ ٣٥٠-٣٥١).

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: ٦-٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، والبروج هي الكواكب العظام.

فدلت هذه الآيات بالنص علىٰ أن الكواكب كلها قد جعلت زينة للسماء، ودلت الآيات الثَّلاث الأُوَل علىٰ أنها قد جُعلت زينة للسماء الدنيا.

والنسر الطائر، والنسر الواقع، والسماك الرامح، والسماك الأعزل من جملة الكواكب التي قد جعلت زينة للسماء الدنيا.

وقد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة»، رواه عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعة من الصحابة، وهُم:

عبد الله بن عمرو، وأبو هريرة، والعباس، وأبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(١)].

وروي -أيضًا- عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا، وله حكم الرفع كنظائره، وقد تقدَّمَت هذه الأحاديث مع الأدلة علىٰ سكون الأرض وثباتها؛ فلتراجع.

وروىٰ الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، وأبو يعلىٰ، والبزار، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَيْلٌ لِلْأُمَرَاءِ، وَيْلٌ لِلْأُمَنَاءِ، وَيْلٌ لِلْعُرَفَاءِ، لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ ذَوَائِبَهُمْ كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِالثُّرَيَّا، يَتَذَبْذَبُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَلُوا عَمَلًا**»، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[(٢)].

وفي روايةٍ لأحمد، والحاكم أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيُوشِكَنَّ رَجلٌ أَنْ يتمَنَّىٰ أَنَّه خَرَّ مِن الثُّرَيَّا ولَم يَلِ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا**»، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[(٣)].

وفي هذا الحديث دليل علىٰ أن النجوم الثوابت في السماء الدنيا، فإن الثريا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، والطبراني في «الكبير» (٩٠٠٥) موقوفًا علىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٥٢١) (١٠٧٦٩)، والطيالسي (٢٦٤٦)، وأبي يعلىٰ (٦٢١٧)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٣٦٩٨).

(٣) أخرجها أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٧) (٨٨٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٠١٥).

من جملة الثوابت، ولو عُلِّقَ فيها شيء كان متدليًا بين السماء والأرض، ولو خَرَّ منها شيءٌ خرَّ علىٰ الأرض.

وفي هذا الحديث مع ما تقدم من الآيات والأحاديث أبلغ رد علىٰ ما يهذو به طواغيت الإفرنج في أبعاد النجوم الثوابت، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾

[النجم: ٣-٤].

ومِمَّا ذكَرْنَا من الآيات والأحاديث يعلم أنه ليس بيننا وبين النجوم الثَّوابت إلَّا مسيرة خمس مئة سنة.

وأين هذه المسافة مما يهذو به طواغيت الإفرنج من ملايين الملايين من السنين.

وقد قال بعض السلف: «إن ارتفاع العرش عن الأرض السابعة خمسون

ألف سنة»، ورواه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)]، ولو كان الأمر في النجوم الثوابت علىٰ ما يزعمه طواغيت الإفرنج ومَن يصدقهم ويحذو حذوهم مِن جهال المسلمين؛ لكانت الثوابت فوق العرش؛ وهذا مِن أبطل الباطل، فإنه ليس فوق العرش شيء سوىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأما قولهم: إن هذه الشَّمس تُرىٰ من الثوابت نقطة لامعة كما تُرَىٰ الثوابت من عندنا نقطًا لامعة»؛ فهو مِن جنس ما قبله مِن الهذَيان والتخرُّص، ومَن هو الذي ذهب إلىٰ النجوم الثوابت فرأىٰ الشَّمس منها نقطة لامعة؟! وإذا كان الذهاب إليها ليس في مقدرة أحد من البشر، فهل كان عندهم خبرٌ ثابتٌ عن الله تعالىٰ، أو عن رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك؟ وإذا كان ذلك معدومًا فليس لهم دليل سوىٰ آرائهم الفاسدة، وظنونهم الكاذبة، وتوهماتهم الخاطئة، وقد قدَّمنا مِن الآيات والأحاديث ما يكفي في رَدِّها، والنداء علىٰ بطلانها.

المثال الرابع عشر: هذَيانهم في وصول نور الشَّمس والكواكب إلينا.

فأما الشَّمس، فزعَمُوا أن نورها يصل إلينا في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية. ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٣٤).

وأما الكواكب الثوابت فزعموا أن منها ما لا يصل نوره إلىٰ الأرض في مئة سنة، بل أكثر مع شدة سرعة الضوء. ذكره الآلوسي -أيضًا- في (صفحة٣٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٩٨٧).

وقال محمد رشيد رضا في (صفحة٦٣٧) من الجزء (السابع) من «تفسيره»: «وقد وجد بالرصد أن أقرب النجوم منا لا يصل نوره إلينا إلا في أربع سنوات ونحو نصف سنة، ومن النجوم ما لا يصل النور منه إلينا إلَّا في ألف سنة أو أكثر، فالنجم المسمىٰ بـ«النسر الطائر» يصل النور منه إلينا في أربع عشرة سنة ونصف سنة، والنجم المُسمَّىٰ بـ«النسر الواقع» يصل النور منه إلينا في نحو ثلاثين سنة، والنجم المسمىٰ بـ«السماك الرامح» يصل النور منه إلينا في نحو خمسين سنة».

قلت: هذه الأقوال كلها تخرُّصات وظنون كاذبة، وقد رأَيْنَا نور الشَّمس ينتشر علىٰ ما قابلَهُ مِن حين يبدو طرف قرصها علينا، إذا لم يكن هناك حائل من غيم أو قتر، وكذلك النسر الطائر، والنسر الواقع، والسماك الرامح، وغيرها من الكواكب النيرة كلها يرىٰ نورها مِن حين تبدو مِن الأُفُق، إذا لم يكن هناك حائل يمنع من رؤيتها، وهذه الكواكب من زينة السماء الدنيا كما نصَّ الله علىٰ ذلك في كتابه؛ فالتَّفرِيق بين أبعادها ووصول نورها إلىٰ الأرض تفريق بين أشياء متماثلة، وذلك باطل مردود.

المثال الخامس عشر:

قال الآلوسي في (صفحة٩٤): «وذهَب المتأخِّرون مِن الفلَاسفة إلىٰ أن العالم كله كان قطعة واحدة فأصابته صدمة فتفرق إلىٰ ما يرىٰ من الأجرام وكثر

منهم في ذلك القيل والقال».

قلت: وهذا من نمط ما قبله من الهذيان الذي يشبه هذيان المجانين، وهل يكون في إمكان الصَّدمة أن تضع الأرض والسموات، والشَّمس والقمر والنجوم علىٰ هذا الوضع العجيب، وأن تنسقها هذا التنسيق المُحكَم الذي لا يقدر عليه إلَّا الله الذي يقول للشَّيء: كُن فيكون؛ فهو الذي خلقها ورتَّبها علىٰ هذا الترتيب الباهر الذي هو الغاية في الإتقان.

قال الله تعالىٰ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

فالأجرام السُّفلِيَّة، والأجرام العُلوِيَّة لم تصب بصدمة أبدًا كما يزعمه أعداء الله تعالىٰ، وإنَّما قيل لها: كوني؛ فكانت، كما أراد فاطِرُهَا ومُوجِدُها من العدم، لا إله إلا هو ولا رب سواه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩-١٢].

وروىٰ ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أن اليهود أتت النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فسألَتْهُ عن خَلْق السموات والأرض؟ فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ الأَحَد وَالإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الجِبَالَ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ وَما فِيهِنَّ مِنْ مَنَافِعَ، وَخلَق يَوْمَ الأَرْبعاء الشَّجَرَ وَالمَاءَ وَالمَدَائِنَ وَالعُمْرَانَ والخَرَابَ، فَهَذِهِ أَرْبَعَةٌ، ثُمَّ قال:** ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: ٩-١٠] **لِمَنْ سأله. قالَ: وَخَلَقَ يَوْمَ الخَمِيسِ السَّمَاءَ، وَخلَق يَوْمَ الجُمْعَةِ النُّجُومَ والشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالمَلائِكَةَ إِلَىٰ ثَلاثِ سَاعَاتٍ بَقِيَتْ مِنْهُ فَخَلَقَ فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلاثَةِ الآجَالِ حِينَ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ، وفِي الثَّانِيَةِ أَلْقَىٰ الآفَةَ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ، وَفِي الثَّالِثَةِ آدَمَ وَأَسْكَنَهُ الجَنَّةَ، وَأَمَرَ إِبْلِيسَ بالسُّجُودِ لَهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا فِي آخِرِ سَاعَةٍ**»(١).

وروىٰ ابن جرير -أيضًا- عن عبد الله بن سلام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٢) أنه قال: «**إِنَّ اللهَ بَدَأَ الخَلْقَ يَوْمَ الأحَد، فخَلَقَ الأَرَضِينَ في الأَحَدِ والإِثْنَيْنِ، وخلَقَ الأَقْواتَ والرَّواسِيَ في الثُّلاثَاء والأَرْبعَاء، وخلَقَ السَّموات في الخَمِيس والجُمُعَة، وفرغ**

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٢) هو الصحابي الجليل، الإمام الحَبْر، المشهود له بالجنَّة، عبد الله بن سلام بن الحارث، من ذرية يوسف، وكان من خواصِّ أصحاب النبيِّ، وكان يهوديًّا من يهود بني قينقاع، لَزِمَ المدينة المنورة يَعِظ ويُفْتِي، ويَشْرح أُمور الدِّين حتَّىٰ تقدَّم به العمُر، وتوفي (٤٣هـ)، انظر: «طبقات ابن سعد» (٢/ ٣٥٣)، و«أسد الغابة» (٣/ ٢٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤١٣).

في آخِرِ سَاعةٍ من يَوم الجمُعَة؛ فخَلقَ فِيهَا آدَم علَىٰ عَجَل، فتلك السَّاعة التي تَقُوم فيها السَّاعة»(١).

وروىٰ ابن جرير -أيضًا- من طريق السُّدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرَّة عن ابن مسعود، وعن ناسٍ مِن أصحاب النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ**﴾ [البقرة: ٢٩].

قال: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كان عرشه علَىٰ الماء، ولم يخلق شيئًا غير ما خلق قبل الماء، فلمَّا أراد أن يخلق الخَلْق أخرج من الماء دُخَانًا، فارتفع فوق الماء، فسَمَا عليه، فسمَّاه سماءً، ثم أيبس الماء فجعله أرضًا واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والإثنين، وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها، وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء، وذلك حين يقول: ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا**﴾ [فصلت: ٩-١٠]، يقول: أنبت شجرها ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا**﴾، يقول: أقواتها لأهلها ﴿**فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ**﴾

يقول: قل لمن يسألك: هكذا الأمر، ﴿**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ**﴾ [فصلت: ١١]، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس، فجعلها سماءً

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٣٧).

واحدة، ثم فتقها؛ فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة، وإنما سُمِّيَ يوم الجمعة؛ لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢].

قال: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة، والخلق الذي فيها من البحار، وجبال البَرد، وما لا يعلمه غيره، ثم زيَّن السماء الدنيا بالكواكب؛ فجعلها زينة وحِفظًا تحفظ من الشياطين، فلمَّا فرغ من خلق ما أحب استوىٰ علىٰ العرش؛ فذلك حين يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويقول: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]»(١).

وقال البغوي في «تفسيره»، عند قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]: «قال قتادة والسُّدي: يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها. وقال مقاتل: وأوحىٰ إلىٰ كل سماءٍ ما أراد من الأمر والنهي، وذلك يوم الخميس والجمعة». انتهىٰ(٢).

وفي الآيات التي ذكرنا مع حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وما ذكر بعده من الآثار عن الصحابة والتابعين دليلٌ علىٰ أنَّ كل شيء من العالم قد خُلِق علىٰ حِدَتِه، وأن الأرض خُلِقَت قبل السماء وما فيها من الشَّمس والقمر والنجوم.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٣٥-٤٣٦) بتصرف.

(٢) «تفسير البغوي» (٧/ ١٦٦).

بل في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ الشَّمس والقمر والنجوم خُلِقت يوم الجمعة، وهو آخر الأيام الستة التي خلق الله فيها الخليقة؛ وفي هذا أبلغ رد على ما زعمه أعداء الله من أن العالم كله كان قطعة واحدة، فأصابته صدمة فتفرق إلى ما يرى مِن الأجرام.

المثال السادس عشر: زعمهم أنَّ الأجرام العلوية ممسكة بالجاذبية. ذكره الآلوسي عنهم في مواضع كثيرة من كتابه، وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، وما لم يكن عليه دليل؛ فليس عليه تعويل.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

المثال السابع عشر: زعمهم أنَّ في القمر جبالًا ووهادًا وأودية، وهكذا الشَّمس وسائر السيارات، وظنوا أنَّ فيها مخلوقات، نحو سكنة الأرض، وزعموا أنَّ فيها بحارًا وأنهارًا. ذكره الآلوسي عنهم في صفحة (١٠١ و١٠٢ و١٢٩)، وهذا من التخرُّص، والرَّجم بالغيب.

وقد تقدم التنبيه على ذلك، مع الأمثلة على نقصان كتاب الآلوسي؛ فليراجع.

المثال الثامن عشر: ما في تخرُّصاتهم في الشَّمس والقمر مِن التناقض والتخبيط.

فمن ذلك: أنهم قالوا: إن الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا، وأنها مركز العالَم، وأنَّ الأرض وكذا سائر السيارات والثوابت تتحرَّك عليها، ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة (٢٣، ٢٩)، ثم نقضوا قولهم هذا؛ فزعموا أن للشمس حركة علىٰ نفسها.

ذكره الآلوسي عنهم في صفحة (٣٣ و٦٦)، ثم نقضوا ذلك؛ فزعموا أن للشمس حركة علىٰ كوكب من كواكب الثريا.

وجوَّزوا أن يكون لذلك الكوكب حركة علىٰ كوكب آخر أبعد منه، وهكذا إلىٰ ما لا يعلمه إلا الله تعالىٰ. ذكره الآلوسي عنهم في صفحة (٣٤ و١١٩ و١٢٩).

ثم نقضوا ذلك فزعموا أن النجوم الثوابت أنظمة مستقلة. ذكره الآلوسي عنهم في صفحة (٦٨).

قلت: أما قولهم: إنَّ الشَّمس ساكنة لا تتحرك أصلًا، وأنها مركز العالم؛ فهو مردود بما تقدَّم في أول الكتاب من النصوص الدالة علىٰ جريَانها ودورانها علىٰ الأرض.

وأما قولهم: إنَّ الأرض تتحرَّك علىٰ الشَّمس؛ فهو مردود بما تقدَّم في أول الكتاب من الأدلة الكثيرة علىٰ سكون الأرض وثباتها.

وأما قولهم: إنَّ للشمس حركة علىٰ نفسها، أو علىٰ كوكب من كواكب

الثريا؛ فقد تقدم التنبيه علىٰ بطلانه، مع الأمثلة علىٰ نقصان كتاب الآلوسي.

وأما قولهم: إن النجوم الثوابت أنظمة مستقلة؛ فمعناه أن كل واحد منها يُعَد مركزًا ثابتًا كالأرض، وله توابع من النجوم تدور عليه كما تدور الشَّمس والقمر والنجوم علىٰ الأرض.

وقد ذكر الآلوسي في (صفحة٦٨) عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أنهم قالوا في النجوم الثوابت إن كل واحد منها يعد شمسًا، لا يرىٰ توابعها للبعد الشاسع.

قلت: وإنَّما قالوا: يعد شمسًا؛ لأن عندهم أنَّ الشَّمس هي المركز الثَّابت الذي تدور عليه الأرض والسيارات من النجوم، بخِلَاف ما عليه المسلمون من القول بثبات الأرض، وأنها هي المَركز الذي تدور عليه الشَّمس والقمر والنجوم.

وقد ذكرت في «المثال الثالث عشر» نموذجًا مِن هذَيان أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في بُعدِ النُّجوم الثوابت عن الأرض، واختِلَاف بعضها عن بعض في البُعد، وذكرت الأدِلَّة علَىٰ بُطلان قولهم، وفيها النَّص علىٰ أنَّ الكواكب كلها مِن زينة السَّماء الدُّنيا.

وإذا كانت النجوم الثَّوابت مِن زينة السماء الدنيا، فليس لشيءٍ منها نظام يتبعه، ويدور عليه؛ لأنها لو كانت لها توَابع تدور عليها لكانت توابعها تخترق السماء في حال دورانها، وهذا باطل.

وإنَّما قالوا بدوران الشَّمس علىٰ الثُّريا، وأنَّ النجوم الثَّوابت لكلٍّ واحدٍ منها نظام يتبعه، ويدور عليه؛ لأنهم يرون أن سَعة الجو غير متناهية، وأنه ليس فوقنا سماوات مَبْنِيَّة شِدَاد، وقد تقدَّم رد هذا في «المثال الثالث»، و«المثال الرابع».

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، وفي هاتين الآيتين إشارة إلىٰ أنَّ الشَّمس والقمر والنجوم كلها تجري وتَدُور علىٰ الأرض؛ لقيام مصالح العباد ومعايشهم، ولهذا امتن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهم بذلك في هذه الآية الأخيرة، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: ٩٦-٩٧].

قال قتادة: «**خلق الله النجوم لثلاث:** جعلها زينة للسماء، ورُجومًا للشَّياطين، وعلامات يُهتدَىٰ بها، فمَن تأوَّل فيها غير ذلك فقد أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به»، ذكره البخاري في «صحيحه»؛ تعليقًا مجزومًا

به، ووصله عبد بن حميد، وابن أبي حاتم وغيرهما[١].

وإذا عُلِم هذا، فالنجوم الثوابت كلها في فلَكٍ واحدٍ تدور فيه جميعًا علىٰ ترتيبٍ واحدٍ لا يتقدم شيء منها عن موضعه، ولا يتأخَّر عنه كما هو مشاهد.

وقد قرَّرَ ذلك الإمام أبو الحُسَين أحمد بن جعفر بن المنادي، وذكر أنه لا خِلَاف بين العلماء في ذلك، ونقله عنه شيخ الإسلَام أبو العباس ابن تَيمِيَّةَ، رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ-.

ومِن تنَاقُضِهم أيضًا أنهم شكَّلوا للنِّظام الشَّمسي شكلًا في وسطه الشَّمس، ثم عطارد، وبعده الزهرة، ثم الأرض، ثم القمر، ثم المريخ، إلىٰ آخر ما زعموه من السيارات، ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٦٧).

ثم نقضوا ذلك، فزعموا أن القمر مِن سيَّارات السيارات، وليس من السيارات. ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٣٤)، وقد تقدَّم الكلَام علىٰ هذا التَّناقض في المثال الثَّامن؛ فليُرَاجع.

المثال التاسع عشر: زعمهم أنَّ الأرض جِرم مِن الأجْرَام السَّماوية ذكره الآلوسي عنهم في (صفحة٦٧).

وعلىٰ هذا الزَّعم الكاذب، والرَّأي الفاسد اعتمَد كثيرٌ مِن جُهَّال

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا (٦/ ٢١١) في بدء الخلق، باب في النجوم، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩١٥٧).

المسلمين؛ فكانُوا لذلِكَ يُسَمُّون الأرض الكوكب الأرضي؛ ولَازِمُ هذا القول أن تكون الأرض مِن جملة الزِّينة التي زيَّن الله بها السماء الدُّنيا وجعلها رجومًا للشَّياطين؛ وهذا من أبطل الباطل.

وكيف تكون الأرض جِرْمًا مِن الأجرام السَّماوية، وبينها وبين السَّماء مسيرة خمس مئة عام، هذا لَا يقوله مِن له أدْنَىٰ مسكة من عقل، وقد تقدَّم التَّنبيه علىٰ هذا الخطإ الكبير، عند قول الصوَّاف أن لونا (٩) أرسلت صورًا تلفزيونية إلىٰ الكوكب الأرضي؛ فليراجع.

وإذَا كان حاصل الهيئة الجَدِيدَة ما ذكرنا مِن هذه الأمثلة، فكيف يقال: إنها قويمة البرهان، وإن القرآن يُعضِّدها؛ هذا قول باطل مردود، والصواب أنها عديمة البرهان، والقرآن شاهد ببطلانها.

الأمر الثالث من أخطاء الصواف: زعمه أنَّ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مُسلِمُون عرف أكثرهم بالتقوىٰ والصلاح.

والجواب أن يقال: هذا تَمْوِيهٌ وتَلْبِيس علىٰ الجهَلة الأغبياء، وليس الأمر كما زعمه الصواف.

فإنَّ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة ليْسُوا من المسلمين، وإنَّما هم من فلاسفة الإفرنج.

وقد صرَّح الآلوسي في (صفحة٢٣) من كتابه الذي سماه «ما دل عليه

القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»، أنهم هرشل الإنكليزي وأتباعه أصحاب الرصد والزيج الجديد، وأنهم هم الذين تخيَّلوا خلاف ما ذهب إليه الأوَّلون في أمر الهيئة، وقالوا بأن الشَّمس مركز، وأنَّ الأرض والنُّجوم دائرة حولها.

وذكرهم -أيضًا- في صفحة (٣٣ و٤٦ و٥٩ و٩٥)، وأشار إليهم في مواضع كثيرة سوىٰ هذا الموضع، وسمَّىٰ منهم هرشل في صفحة (٢٣ و٣٤ و٤٥)، وسمىٰ منهم أيضًا في صفحة (٣٣ و٣٤) أولبوس، وهاردنق، وبياظي، وسمىٰ منهم محمد رشيد رضا، وستروف.

وقد ذكر محمد فريد وجدي في «دائرة المعارف» منهم كوبرنيك البولوني، وتيخو براهي الدانماركي، وكبلر، وغاليليه، ونيوتين الإنجليزي، وهرشل الإنجليزي، ومنهم أيضًا داروين الإنجليزي؛ فهؤلاء الفلاسفة كلهم من الإفرنج، وهُم أَسَاطِين الهيئة الجَدِيدَة.

وأقوالهم هي التي أوْدعَها الآلوسي في كتابه الذي سماه «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»، فهل يقول الصَّواف: إنهم مسلمون معروفون بالتقوىٰ والصلاح؟

أمَّاذا يجيب به عن قوله الذي لم يتبين فيه، وفيما يتَرتَّب عليه مِن الحُكم لأعداء الله تعالىٰ، بالإسلام والتَّقوىٰ والصَّلاح.

فإن ادَّعىٰ أنَّهم غير هؤلاء الذين سمَّاهم الآلوسي وغيره.

فالجواب أن يقال: أنت إنَّما اعتمدت علىٰ كتاب الآلوسي، وما نقله عن علماء الهيئة الجَدِيدَة.

والآلوسي لم ينقل عن أحدٍ مِن عُلماء المسلمين في أمر الهيئة الجَدِيدَة شيئًا، ولا ادَّعىٰ أنَّ علماء الهيئة الجَدِيدَة مسلمون.

وقد صرَّح في (صفحة٢٣) أن هرشل الفيلسوف وأتباعه هم أصحاب الرَّصد والزيج الجَدِيدَة، وأنهم هُم الذين تخيَّلوا خلاف ما ذهب إليه الأولون في أمر الهيئة، وقالوا بأنَّ الشَّمس مركز، وأن الأرض والنجوم دائرة حولها.

وهذا صريح في تعيين أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، وأنهم من الإفرنج لا من المسلمين.

وفيه إبطال لِمَا يدَّعي به الصواف في غيرهم إن ادَّعَىٰ ذلك.

ولو فرضنا أن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مسلمون، ومعروفون بالتقوىٰ والصَّلاح كما زعمه الصوَّاف؛ لمَا كانت ظنونهم وتخرُّصَاتهم في السموات والأرض، والشَّمس والقمر والنجوم مقبولة مِن أجْلِ إسلَامهم وتقواهم وصلاحهم، وإنَّما هي مردودة عليهم لمُخالفتها لمَدلُولِ الكتاب والسُّنة، وإجماع المسلمين.

وقد ذكرت تسعة عشر مثالًا مِمَّا نقله الآلوسي مِن الأقوال الباطلة، ونبهت علىٰ بطلانها؛ فليراجع.

الأمر الرابع: **قوله**: إن رأي الآلوسي هو الكفاية في ردِّ الأمر إلىٰ نِصَابه،

وبيان الحق الصُّراح وصوابه.

والجواب أن يقال: ليست الكفاية في أقوال الرِّجال وآرائهم، وإنَّما الكافية في كتاب الله تعالىٰ وسُنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهما المِيزَان العدل الذي تُوزَن به أقوال الرِّجال وآرائهم، فمَا وافقَهُما فهو حق مقبول، وما خالفَهُما؛ فهُوَ باطل مردود، وقد اضطرب قول الآلُوسِي فيما نقله عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، ففي بعض المواضع يوافقهم، ويتعسَّف في تطبيق الآيات علىٰ ما يوافق أقوالهم.

وفي بعض المواضع يذكر أقوالهم، ويسكت وفي بعض المواضع يخالفهم، ويقول: إنه يجب الرُّجوع في هذا إلىٰ ما دل عليه الكتاب والسُّنة، وأنه لا يسلم لهم إلَّا ما لم يلزم منه محذور في الدين.

وهذه المواضع التي خالفهم فيها، وقال: إنه يجب الرُّجوع إلىٰ ما دل عليه الكتاب والسنة هي التي رد الأمر فيها إلىٰ نِصَابه، وأتىٰ بِبَيان الحق وصوَابه، وما سواها فهو باطِل مردود؛ لمخالفته لمدلول الكتاب والسُّنة وإجماع المسلمين.

وقد ذكرت كثيرًا مِن أخطائه في أوَّل هذا الفصل، ونبَّهت علىٰ بُطلَانها؛ فلتراجع.

الأمر الخامس: قوله: إنَّ علماء الإسلام قد نطقوا بما نقله الآلوسي عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة قبل أن يكون للكفار والمشركين علم فلك، ولا نظر في النجوم.

والجواب أن يقال: ليس هذا بصحيح، وإنَّما هو في الحقيقة مكابرَة وتمويه

علىٰ ضعفاء البصيرة.

إذْ مِن المعلوم أنَّ أول مَن تكلَّم في علم الهيئة والنجوم هم فلاسفة اليونان، وكانوا قبل زمان المسيح بدهرٍ طويل، وكانوا مشركين يعبدون الكواكب والأصنام، ولم ينقل عن أحد مِن سلَف الأمة، وأئمَّتها مِن الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم بإحسانٍ أنهم تكلَّموا في علم الهيئة بشيءٍ؛ حتَّىٰ عُرِّبَت كتُب اليونان في زمَنِ المأمون، فظهر الكلَام في علم الفلك والنُّجوم منذ ذلك الزمان، ولم يكن يعاينه ويشتغل به إلَّا الفلَاسفة والمنجمون الذين هم من أقل الناس حظًّا في الإسلام، وكثير منهم يُظهِرون الإسلَام نفاقًا وتَقِيَّةً.

ومنهم مَن هو أضر الإسلام والمسلمين مِن اليهود والنَّصارىٰ كنَصِير الشِّرك الطوسي(١)، وابن سينا(٢)، وأمثالهما مِن رؤساء الفلَاسفة الذين

(١) أبو جعفر، المسمىٰ بنصير الدين الطوسي، شيخ الشيعة، وصاحب التصانيف، محمد بن الحسن بن علي الطوسي، قَدِمَ بغداد، وتفقَّه أوَّلًا للشافعي، ثم أخذ الكلام وأصول القوم عن الشيخ المفيد رأس الإمامية، ولزمه وبرع، وعمل التفسير، أعرض عنه الحُفَّاظ لبدعته، وقد أُحرِقَت كتبه عدَّة نوب في رحبة جامع القصر، واستتر لمَّا ظهر عنه مِن التنقص بالسلف، وكان يسكن بالكرخ محلة الرافضة، ثم تحول إلىٰ الكوفة، وأقام بالمشهد يفقههم، ومات سنة (٤٦٠هـ). انظر: «طبقات السبكي» (٤/ ١٢٦-١٢٧)، و«الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة» (٢/ ١٤) و(٢٦٩)، و(٤٨٦) و(٣/ ٣٢٨) و(٥/ ١٤٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٣٣٤).

(٢) ابن سينا، العلامة الشهير الفيلسوف، أبو علي، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن

ينتسبون إلىٰ الإسلام، وهم في غاية البُعد عنه.

ولم يذكر عن أحدٍ مِن عُلماء المسلمين، ولا الفلاسفة المنتسبين إلىٰ الإسلام أنهم قالوا بشيءٍ مِن أقوال أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة سِوَىٰ القول بكروية الأرض، وليس أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أوَّل مَن قال بذلك؛ حتَّىٰ ينسب القَوْل به إليهم، وإنَّما هو مأثور عن علماء المسلمين.

وقد تقدم كلَام شيخ الإسلام أبي العبَّاس ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في ذلك، وما ذكرَهُ مِن الاتِّفاق علىٰ ذلك في أوَّل الكتاب مع الأدِلَّة علَىٰ سكون الأرض واستقرارها، وكذلك ما نقلَهُ عن أبي الحُسَين بن المنادي أنه حكَىٰ الإجماع علىٰ ذلك؛ فليُرَاجع.

وقد كان القول بسكون الأرض واستقرارها، وجريان الشَّمس والقمر والنجوم هو المَعروف عند المسلمين، وقد حكَىٰ القُرطبِيُّ إجماع المسلمين وأهل الكتاب علىٰ ذلك، وأوَّل مَن قال بخِلَاف هذا هو كوبرنيك البولوني وأتباعه من الإفرنج؛ ذكره عنهم محمد فريد وجدي في كتابه «دائرة المعارف».

ثُمَّ قال به هرشل الإنكليزي وأتباعه من الإفرنج، كما صرَّح بذلك

=

علي بن سينا، البلخي، ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطب، والفلسفة، والمنطق، كان شيعيًّا إسماعيليًّا. انظر: «تاريخ حكماء الإسلام» للبيهقي (ص٥٢-٧٢)، و«تاريخ الحكماء» للشهرستاني (ص٤١٣-٤٢٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٥٣١).

الآلوسي في (صفحة٢٣) من كتابه الذي كان الصوَّاف ينقل منه ويعتمد عليه.

وكان كوبرنيك في آخر القرن العاشِر من الهجرة، وكان مولد هرشل في سنة (١٧٣٨) ميلادية، ومات في سنة (١٨٢٢)، وهرشل وأتباعه هم الَّذِين كان الآلوسي ينقل عنهم، ويتعسف في تطبيق الآيات علىٰ ما يوافق أقوالهم.

وليْسُوا مِن عُلماء الإسلام كما قد زعمه الصواف، وإنَّما هم مِن أعداء الإسلام، ولا يخلو الصوَّاف في زعمه فيهم من أحد أمرين:

إما إرادة التَّمويه والتَّلبيس علىٰ الجهَلة الأغبياء بما لا حقيقة له في نفس الأمر.

وإما شدة الغباوة فيه، حيث نبَا فهمه عمَّا صرح به الآلوسي في صفحة (٢٣ و٣٣ و٣٤ و٣٦ و٥٩ و٩٥) من كون أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة من الإفرنج.

الأمر السادس: ما نقله الصوَّاف عن الآلوسي بما ذكره عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، أنَّهم قالوا: إنَّ الأرض جرم مِن الأجرام السماوية، وأنها تابعة للشمس ودائرة حولها، وأنَّ النجوم الثَّوابت أنظمة مستقلة تُرىٰ منها شمسنا كما تُرَىٰ هي من عندنا؛ أي: نُقَطًا لامعةً نيِّرة في القبة الزَّرقاء.

وأن الأرض كروية الشكل، وأنها سابحة في الفضاء، وأنَّ لها حركة يومية علىٰ محورها، وحركة سنوية علىٰ الشَّمس، وأن القرآن لم يُذكر فيه شيء مِمَّا يخالف ما عليه أهْل الهَيْئةِ اليوم.

والجواب أن يقال: كل ما ذكره هَهُنا باطل سِوَىٰ القول بكُروِيَّة الأرض، وقد تقدَّم الرَّد عليه في مواضع كثيرة؛ فأغنىٰ عن إعادته هَهُنا.

الأمر السابع: ما نقَلُه الصَّوَّاف عن الآلُوسِي أنه قال: «وفي الخبر «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ**»، الحديث[1].

قال الآلوسي: «وهَذَا لا يُنافِي حركة الأرض اليومية والسَّنوية التي قال بها أهْل الهَيْئةِ، فإنَّ الله تعالىٰ لو لم يَخلُق في الأرض الجبال؛ لمَادَتْ فلما ألقىٰ فيها الرواسي، وهي الجبال انتفىٰ ذلك».

ووجه كون الإلقاء مانعًا مِن اضطِرَاب الأرض، أنها كسَفِينة علىٰ وجه الماء، والسَّفينة إذا لم يكن فيها أجرام ثقيلة تضطرب وتميل من جانب إلىٰ جانب، وإن وضعت فيها أجرَام ثِقِيلَة تستقر؛ فكذا الأرض لو لم يَكُن عليها هذه الجبال؛ لاضطربت، فالجبال بالنسبة إليها كالأجرام الثَّقيلة المَوضُوعة في السَّفينة بالنسبة إليها، والمقصود أنَّ جعل الرَّواسي فيها لا يعارض حرَكَتها بوجهٍ مِن الوُجوه، كما أنَّ السَّفينة إذا كان فيها أجرَام ثقيلة تمنع اضطرابها وميلها من جانب إلىٰ جانب لا ينافي حركتها.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٢٤) (١٢٢٧٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٧٠).

والجواب أن يقال: إنَّ الخبَر الذي ذكره الآلُوسِي حُجة عليه، فإن فيه أنَّ الأرض كانت تَمِيد، فلمَّا ألقيت الجبال عليها استقرَّت، وهذا نصٌّ في سُكون الأرض وثَباتها، والاستقرار ينافي السير والحركة كما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ علم ومعرفة.

وأما تشبيه الأرض بالسفينة علىٰ وجه الماء، وأنها إذا وضعت فيها أجرام ثقيلة لم تمنع حركتها وسيرها؛ فهو تشبيه غير مطابق، لأن الأرض قد أرسيت بالجبال من جميع نواحيها، والجبال متوجهة بثقلها نحو المركز الذي هو وسط الأرض؛ فصارت للأرض كالأوتاد التي تمنعها من الحركة، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧)﴾ [النبأ: ٦-٧].

قال ابن منظور في «لسان العرب»: «وأوتاد الأرض الجبال لأنها تثبتها». انتهىٰ[1].

وإذا كانت الجبال أوتادًا للأرض فالتشبيه المطابق هو تشبيهها بالسفينة التي قد وضع فيها ما يثقلها، وأوتدت بالأوتاد في مرساها؛ فوقفت فيه ولم تتحرك.

وأما قول الآلوسي: «إنَّ السَّفينة إذا وضعت فيها أجرام ثقيلة تستقر، فكَذا الأرض لو لم يَكُن عليها هذه الجِبَال لاضطربت».

---

(١) «لسان العرب» (٣/ ٤٤٥).

إلىٰ أن قال: «إنَّ جعل الرَّواسي فيها لا يُعارض حرَكتها بوجهٍ مِن الوُجوه.

فجوابه أن يقال: إنَّ الاستِقرَار ينافِي السَّير والحرَكة، كما هو معروف في لغة العرب.

قال في «القاموس»: «وشرحه قرَّ بالمكان، يَقَرُّ بالكسر والفتح، قَرارًا وقُرورًا، وقَرًّا، وتَقِرَّةً: ثبت وسكن، فهو قارٌّ، كاستقرَّ وتقَارَّ، وهو مستقر». انتهىٰ[(١)].

وإذا كان الاستقرار معناه الثبات والسكون، فاستقرار الأرض المذكور في الخبر المتقدم معناه سكونها وثباتها، وذلك ينافي حركتها وسيرها.

وكذلك استقرار السفينة معناه وقوفها وثباتها في مرساها، وذلك ينافي حركتها وسيرها.

وأما أن يقال في السفينة السائرة إذا وضعت فيها الأجرام الثقيلة التي تمنع اضطرابها وميلها من جانب إلىٰ جانب: إنها مستقرة في حال سيرها وجريانها في الماء؛ فهذا لا يُعرف في لغة العرب.

وقد حاول الآلوسي الجمع بين استقرار الأرض وحركتها، واستقرار السفينة وحركتها؛ وذلك خطأ مردود من وجهين:

---

(١) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص٥٩٢) بتصرف.

أحدهما: مخالفته لغة العرب.

والثاني: جمعه بين النقيضين.

الأمر الثامن: **قوله**: «فهل رأيتم كلامًا أصرح من هذا الكلام في كروية الأرض وحركتها؟».

والجواب أن يقال: أمَّا كروية الأرض، فقد تقدَّم ما هو أصرح منه في كلام شيخ الإسلام أبي العباس ابن تَيمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- وما نقله عن أبي الحسين ابن المنادي في ذلك.

وأما حركتها فقد تقدَّم رده وبيان بطلانه، وذكرت هناك الأدلة من الكتاب والسُّنة علىٰ ثبات الأرض واستقرارها.

وما حكاه الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي من إجماع أهل السُّنة علىٰ ذلك، وكذلك ما حكاه القرطبي من إجماع المسلمين وأهل الكتاب علىٰ ذلك.

فهذا أصرح وأوضح مما ذهب إليه الصوَّاف، وجادل به من القول الباطل ليدحض به الحق.

الأمر التاسع: **قوله**: أليس هذا مِن مَفاخر علمائنا، وتوفيق الله لهم في معرفة العلوم الكونية.

والجواب أن يقال: كل ما نقله الصوَّاف عن الآلوسي؛ فهو مِمَّا نقلَهُ

الآلوسي عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، وهم كوبرنيك البولوني، وهرشل الإنكليزي، وأتباعهما مِن فلَاسفة الإفرنج.

فهَؤُلَاء هم علماء الصوَّاف الذين يفتخر بهم، ويثني عليهم، وبئس العلماء هؤلاء، وهُم في الحقيقة مخذولون، وليسوا موفَّقِين.

ويقال -أيضًا-: ليس ما قاله أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة في العلوم الكونية صوابًا، وقولًا سديدًا حتىٰ يفتخر بهم الصوَّاف ويثني عليهم.

وإنما هي تخرُّصات وظنون كاذبة، أوْحَاها الشَّيطان إليهم، وخدعَهُم بها، وخدع بها علىٰ أيديهم وأيدي أتباعهم بشرًا كثيرًا، فخالفوا لأجلها نصوص الكتاب والسنة علىٰ جريان الشَّمس ووجود السموات السبع.

وخالفوا -أيضًا- الأدلة الكثيرة من الكتاب والسُّنة وإجماع المسلمين علىٰ ثبات الأرض واستقرارها، إلىٰ غير ذلك من أقوالهم المخالفة، لِمَا دل عليه الكتاب والسُّنة والإجمَاع، وقد تقدَّم التَّنبيه علىٰ ذلك في مواضعه.

ولو فرضنا أنَّ أحدًا من علماء المُسلِمين سبق أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة إلىٰ ما قالوه مِن التَّخرُّصات في الأرض والسموات، والشَّمس والقمر والنجوم؛ لكان ذلك عيبًا ونقصًا علىٰ مَن قاله، واستحق بذلك الذم والتجدير من قوله.

ولم يَكُن ذلك مَنْقَبة وفضيلة يفتخر بها، ويثني علىٰ صاحبها كما ذهب إليه الصواف.

الأمر العاشر: قوله: إنَّ في كتاب الآلوسي من الكلام الواضح الذي يدل علىٰ ما بلغوه مِن الدَّرجات العليا في العلوم الكونية وحركات الأفلاك؛ رحمهم الله، وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء.

والجواب أن يقال: إنَّ غالب ما ينقله الآلوسي عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة مخالفٌ للكتاب والسُّنة وإجماع المُسلِمين.

وقد تقدَّم إيضاح ذلك في مواضع كثيرة، وما كان مخالفًا للكتاب والسنة وإجماع المسلمين؛ فهو بعيد مِن الوضوح غاية البُعد، وقد بلَغ الدَّركات السُّفلىٰ في السقوط والتَّخبِيط.

فأبعد الله أعداءه من أهْل الهَيْئةِ الجديدة، وجزَاهم عمَّا أدخلوه علىٰ أهل الإسلام مِن التَّخرُّصات والظنون الكاذبة شر الجزاء، فلقد كانوا كما قال الله تعالىٰ في أسلافهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وبعدُ، فهل تدري أيها الصوَّاف علىٰ مَن تترَحَّم، وتسأل الله أن يجزيهم عن الإسلام خير الجزاء؟ إنهم أعداء الله من فلاسفة الفرنج.

وأوَّلهم كوبرنيك البولوني، ثم أتباعه من الإفرنج، ومِن أعيانهم: تيخو براهي الدانمركي، وكبلر، وغاليليه، ونيوتن الإنجليزي، وهرشل الإنجليزي، وداروين الإنجليزي، وأولبوس الإنجليزي، وهارذنق، وبياظي، وستروف، فهؤلاء كلهم من

الإفرنج، وهم أساطين الهيئة الجَدِيدَة، وأقوالهم هي التي أودعها الآلوسي في كتابه الذي سماه «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجَدِيدَة»، وقد تقدمت الإشارة إلىٰ ذلك قريبًا في «الأمر الثالث»، و«الأمر الخامس».

فإن كنتَ لا تدري فتلك مُصيبةٌ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظمُ

* * *

فصل

قال الصواف: إحاطة السماء بالأرض والقول بالجاذبية.

ثم نقل عن الآلوسي ما ذكره في (صفحة١٠٩) في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]: «وما ذهب إليه أَهْل الهَيْئةِ المُتأخِّرون مِن أنَّ قيام العالَم العُلوي والسُّفلي بالجاذبية لا يخالف الآية الكريمة، فالله سبحانه هو الذي أودع تلك الجاذبية، وبأمره كانت.

وفي الخبر: إنَّ الأرض بالنسبة إلىٰ السماء الدنيا كحلقة في فَلاة، وهما بالنسبة إلىٰ العرش كذلك».

ثم قال الصواف: «فسبحان مَن لا يُحِيط بشيءٍ مِن علمه أحد».

والجواب أن يقال: أما ما ذكره الآلوسي عن أَهْل الهَيْئةِ المتأخرين مِن أنَّ قيام العالَم العلوي والسُّفلي بالجاذبية، فهذا لا دليل عليه مِن كتابٍ ولا سُنة،

وما لم يكن عليه دليل فليس عليه تعويل، وقد تقدَّم التنبيه علىٰ ذلك قريبًا.

وأما ما ذكره مِن الخبَر في عظم السَّماء الدُّنيا بالنسبة إلىٰ الأرض؛ فهو غلط.

ولفظ الحديث عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكرسي؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُونَ السَّبعُ عِندَ الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاة، وَإِنَّ فَضْلَ العَرْشِ عَلَىٰ الكُرسِيِّ كفَضْلِ الفَلَاةِ علَىٰ تِلْكَ الحَلْقَة**»، رواه ابن مردويه[1]، وقد تقدَّم التنبيه علىٰ ذلك في أول الفصل الذي قبل هذا الفصل.

وأما قوله: «فسبحان مَن لا يحيط بشيءٍ مِن علمه أحد؛ فهو خطأٌ ظاهر، ويلزم علىٰ هذا الإطلاق أن يكون بنو آدم كلهم جهَّالًا، الأنبياء فمَنْ دُونَهُم،

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) من طرق عن إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني، قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر - في حديث طويل، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني الدمشقي، قال أبو حاتم: كذاب، كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٤٢-١٤٣)، وقال الذهبي: متروك، وكذَّبه أبو زرعة كما في «ميزان الاعتدال» (١/ ٧٢)، وله طريق أخرىٰ أخرجها ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٣٩٩) حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، حدثني أبي، عن أبي ذر...، نحوه، وقد ساقها الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٧٥) وقال: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات، لكني أظن أنه منقطع. وقد ساق طرقًا أخرىٰ له، ثم قال: وجملة القول: إن الحديث بهذه الطرق صحيح.

وكذلك الملائكة ومؤمنو الجن».

والصواب: إثبات ما أثبته الله تعالىٰ، مِن إحاطتهم مِن علمه بما شاء أن يعلموه.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فكل ما يعلمه العباد من العلم الصحيح؛ فهو مما أطلعهم الله تعالىٰ عليه مِن علمه، وشاء أن يعلموه.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦].

قال ابن كثير: «أي: فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدىٰ والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه، ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالىٰ المقدسة التي لا يعلمها نبيٌّ مُرسَل ولا ملَكٌ مُقرَّب، إلا أن يعلمه الله به». انتهىٰ[1].

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال تعالىٰ مخبِرًا عن الملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٦).

وروى الإمام أحمد، والبزار، والطبراني في «الكبير»، و«الأوسط» عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت أبا القاسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: يَا عِيسَىٰ، إِنِّي بَاعِثٌ بَعْدَكَ أُمَّةً إِنْ أَصَابَهُمْ مَا يُحِبُّونَ حَمِدُوا وَشَكَرُوا، وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ احْتَسَبُوا وَصَبَرُوا، وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ. قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ هَذَا لَهُمْ وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ؟ قَالَ: أُعْطِيهِمْ مِنْ حِلْمِي وَعِلْمِي**»(١).

قال الهيثمي: «رجال أحمد رجال «الصحيح»، غير الحسن بن شوار، وأبي حلبس يزيد بن ميسرة، وهما ثقتان».

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة موسىٰ والخضر -عليهما السلام- قال: «**وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَىٰ حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ**»(٢).

* * *

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٥٠) (٢٧٥٨٥)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٥٢)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٠٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٥).

فصل

ونقل الصواف عن الآلوسي أنه قال: «وأما الأَرَضُون السبع، فقد حارت فيها عقول المفسرين، وذكروا فيها أقوالًا كثيرة، وقد جعلها الله تعالىٰ مثل السموات، والمثلية تصدق بالاشتراك في بعض الأوصاف.

فقال الجمهور: المثلية هنا في كونها سبعًا، وكونها طباقًا بعضها فوق بعض، بين كل أرضٍ وأرضٍ مسافة كما بين السماء والأرض، وفي كل أرض سُكان مِن خَلْقِ الله عَزَّوَجَلَّ، لا يعلم حقيقتهم إلَّا الله تعالىٰ.

ووَرَدَ في بعض الأخبار: «في كل أرضٍ نبِيٍّ كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسىٰ كعيسىٰ».

والمراد: أن في كل أرض خلقًا، يرجعون إلىٰ أصلٍ واحدٍ رجوع بني آدم في أرضنا إلىٰ آدم، وفيهم أفراد ممتازون علىٰ سائرهم، كنوح وإبراهيم وغيرهما فينا.

وقول الجمهور هذا أصح سائر الأقوال، وهو أن بين كل أرضٍ وأرضٍ مِن السبع مسافة عظيمة، وفي كل أرض خَلْقٌ لا يعلم حقيقتهم إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ، ولهم ضياء يستضيئون به.

ويجوز أن يكون عندهم ليلٌ ونهار، ولا يتعيَّن أن يكون ضياؤهم مِن هذه

الشَّمس، ولا من هذا القمر.

والجواب أن يقال: أمَّا كون الأرضين سبعًا مثل السموات؛ فقد دلَّ عليه قول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

ودلت علىٰ ذلك -أيضًا- الأحاديث الكثيرة، التي فيها إثبات سبع أرضين.

ودل قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ**»(١)، علىٰ أن الأرضين بعضهن فوق بعض، وذكر أبو بكر الأنباري الإجماع علىٰ ذلك.

وأما تقدير المسافة بين كل أرضين؛ فقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث قتادة، عن الحَسَن عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّ بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْن سَبْعَ مِئَةِ عَامٍ**»، ورواه الترمذي، وعنده: «**أَنَّ بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْن خَمْس مِئَة سَنَة**»، وقال الترمذي: حديث غريب(٢).

قال: ويُروىٰ عن أيوب، ويونس بن عبيد، وعلي بن زايد، أنهم قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٩٨)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٥٧٣٥).

(٣) «سنن الترمذي» (٥/ ٤٠٣).

ورواه ابن جرير من حديث سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلًا[(١)].

قال ابن كثير: «ولعل هذا هو المحفوظ»[(٢)].

قلت: وهذا الخبر لم يصح إسناده، فلا يعتمد عليه في تقدير المسافة بين كل أرضين.

وأمَّا ما فيه مِن تقدير المسافة بين السماء والأرض بخمس مئة عام؛ فهو ثابتٌ مِن حديث عبد الله بن عمرو، وابن مسعود، والعباس، وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد تقدمت أحاديثهم في أول الكتاب.

وأما قوله: «**وفي كل أرض سكان من خلق الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يعلم حقيقتهم إلَّا الله تعالىٰ**».

فجوابه أن يقال: إثبات السُّكان في كل أرض غير الأرض العُليا يحتاج إلىٰ دليلٍ مِن كتاب الله أو مِن سُنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا دليل علىٰ ذلك.

وأما الأثر المَرْوِيُّ في ذلك من طريق أبي الضُّحَىٰ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أنه قال:** «فِي كُلِّ أَرْضٍ نَبِيٍّ كَنَبِيِّكُم»، إلىٰ آخره، فهو أثر منكر جدًّا[(٣)].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٦٨-١٦٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٨).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٢٢)، وقال: هذا صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي في «التلخيص».

قال البيهقي: «هو شاذٌّ بمَرَّة، لا أعلم لأبي الضحىٰ عليه متابعًا»(١).

وقد ذكره ابن كثير -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «البداية والنهاية»: «وقال: إنه محمولٌ إنْ صحَّ نقْلُه عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا علىٰ أنه أخذَهُ مِن الإسرائيليات»(٢).

قلت: ومثله لا يثبت به شيء، والله أعلم.

وأمَّا قوله: «ولهم ضِيَاء يستَضِيئون به، ويَجُوز أن يَكُون عندهم ليل ونهار، ولا يتعيَّن أن يكون ضياؤهم مِن هذه الشَّمس، ولا مِن هذَا القمَر».

فجوابه أن يقال: كل هذه تخرُّصات لا دليل عليها مِن كتابٍ ولا سُنة، وما لم يَكُن عليه دليل، فليس عليه تعويل.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء: ٣٦].

* * *

فصل

قال الصواف: «لقد رصد أسلَافُنا القمَر قبل أهل الشَّرق والغرب، واهتمُّوا اهتمامًا عجيبًا بتحقيق الأمر فيه».

---

(١) «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٢٦٨).

(٢) «البداية والنهاية» (١/ ٢٢).

ويظهر لي أنه لو كانت لهم مِن الوسائل ما لعلماء الفلَك في هذا العصر؛ لحاوَلُوا الصُّعود إليه لِكَشْفِ أمره وتحقيق الحكم فيه.

وقد جاء في كتاب «ما دل عليه القرآن» (صفحة١٢٩): «وقد غلب علىٰ ظن أكثر أهل الحكمة الجَدِيدَة أنَّ القمَر عالَمٌ كعَالَمِ أرضنا هذه، وفيه جبال وبحار، ويزعمون أنهم يحسُّون بها بواسطة أرصادهم، وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الأمر فيه».

هذا ما قاله مؤلف الكتاب قبل ما يَقرُب من خَمسِين سنة، ونقله عن علماء مُسلمِين قالوه قبل مئات السِّنين، وأرجو أن يلفت القارئ إلىٰ عبارتين وردتا في هذه الفقرة التي نقلتها من الكتاب:

الأولىٰ: أن القمر عالَم كعالم أرضنا هذه، وفيه جبال، وبحار، وأنهم أحسُّوا بها في مرَاصِدهم.

والثانية: قوله «وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الأمر فيه».

ألَا تدل هاتان العبارتان علىٰ العجب العجاب الذي وصل إليه علماء المسلمين منذ قرون؟! أمَا كان الواجب علينا أن نُتَمِّمَ ما بدؤوه مِن بحوثهم العلمية المستفيضة في علوم الكون والفلك وغيرهما؟!

وهل سار علماؤنا في هذا الطريق إلا بأمر من الله، ووحي من فهم كتاب الله، وسُنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟!

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حينما يقول، وهو يخاطب رسوله ليخاطب الناس: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١]، فهل المراد مجرَّد النَّظَر للتفرج والتفكه والتَّسَلِّي، أَمْ هو النظر للبحث، والعلم، والتحقيق، والاعتبار، والادِّكَار؟!

والجواب أن يقال: لم يَكُن أحدٌ مِن الصَّحابة ولا التَّابعين ولا تَابعِيهم بإحسان، ولا أئمَّة العِلْم والهُدَىٰ مِن بَعْدِهِم يرصُدونَ القمر، ويرجمون بالغيب عمَّا فيه، وحاشَاهُم مِن التَّخَرُّصات واتباع الظُّنون الكاذبة.

ولو كان رصد القمر والبحث عمَّا فيه خيرًا؛ لكان الصَّحابة -رضوان الله عليهم- أسبَق إلىٰ ذلك من غيرهم، وكذلك التَّابعون وأئمة العلم والهدي مِن بَعْدِهِم، وقد غلب علىٰ ظنِّ أكثر أهل الحكمة الجَدِيدَة، إلىٰ آخر كلامه.

وذكر الآلوسي أيضًا في صفحة (١٠١ و١٠٢) أنَّ أهل الأرصاد اليوم كشَفُوا في القمر جبالًا ووهادًا وأودية، وهكذا الشَّمس وسائر السيارات، وظنوا أنَّ فيها مخلوقات نحو سكنة الأرض، وزعموا أنَّ فيها بحارًا وأنهارًا.

وصرَّح الآلُوسِي -أيضًا- في عِدَّة مواضع من كتابه أنَّ أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة من فلاسفة الإفرنج.

وصرح في (صفحة٢٣) أنهم هرشل وأتباعه.

وذكر محمد فريد وجدي في «دائرة المعارف» أن غاليليه هو الذي اخترع المنظار الفلكي؛ فرصَدَ به القمر، فرأىٰ فيه الجبال، والأودية، والظِّلال الكثيفة

الممتدة علىٰ سهوله.

قلت: وكان غاليليه في القرن الحادي عشر من الهجرة، وهو الذي نشر أقوال كوبرنيك البولوني؛ فهؤلآء هُم أسلَاف الصوَّاف الذين رصَدُوا القمر، واهتموا بتحقيق الأمر فيه.

وبِئْسَ ما رضِيَ الصواف لنفسه، حيث جعل كوبرنيك، وغاليليه، وهرشل وأتباعهم من فلاسفة الإفرنج سلفًا له.

وأما قوله: «وقد غلب علىٰ ظنِّ أكثر أهل الحكمة الجَدِيدَة أنَّ القمَر عالم كعالم أرضنا هذه، وفيه جبال وبحار، ويزعمون أنَّهم يحسُّون بها بواسطة أرصادهم، وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الأمر فيه».

فجوابه أن يقال: ما ذكره الآلوسي عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة كله تخرص ورجم بالغيب.

ومن أين لهم اكتشاف القمر، وتحقيق الأمر فيه، وهو في السماء بنص القرآن، وبين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة، فقدرتهم عاجزة عن اكتشافه من هذا البعد الشاسع وتحقيق الأمر فيه.

وقد أنفق بعض كبار الدول في زماننا أموالًا كثيرة وبذلوا غاية الجهد في محاولة الوصول إلىٰ القمر وتحقيق الأمر فيه فما استطاعوا ذلك ولن يستطيعوه أبدًا، وقد صرَّح بعض الأذكياء من علمائهم المختصين بمعرفة الأرصاد أنهم لن

يستطيعوا الوصول إلىٰ القمر، وأما إطلاقه وصف الحكمة علىٰ فلاسفة الإفرنج فهو خطأ ظاهر...

والصواب: أنهم أهل الغباوة، والجهل الكثيف، وقد تقدَّم التنبيه علىٰ هذا مع ذكر أخطاء الآلوسي.

وأما قوله: ونقله عن علماء مسلمين قالوه قبل مئات السنين.

فجوابه أن يقال: هذا غلط فاحش؛ لأن الذين نقل عنهم الآلوسي في شأن القمر ما نقل ليسوا بمسلمين، وإنما هم أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، وقد ذكرت مرارًا أن الآلوسي صرح في عدة مواضع من كتابه أن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة من فلاسفة الإفرنج.

وصرح في (صفحة٢٣) أنهم هرشل وأتباعه.

وقول الصواف: إنهم قالوه قبل مئات السنين، ليس بصحيح؛ لأن هرشل وأتباعه إنما كان زمانهم من نحو مِئتي سنة فأقل.

وإنا نتحدَّىٰ الصوَّاف أن يسمي لنَا عُلماء المسلمين الذين نقل عنهم الآلوسي في شأن القمر ما نقل، وأن يذكر كتبهم التي ذكروا فيها ذلك إن كان صادقًا، وما أبعدَه مِن الصِّدق!

وأما قوله: «وأرجو أن يلفت القارئ إلىٰ عبارتين:

الأولىٰ: أنَّ القمر عالم كعالم أرضنا هذه، وفيه جبال، وبحار، وأنهم

أحسُّوا بها في مرَاصدِهم.

والثانية، قوله: وهم مهتمون بالسعي في تحقيق الأمر فيه».

فجوابه أن يقال: وهل ظننت أيها الصَّواف أنَّ هاتين العبارتين مِن كتاب الله تعالىٰ، أو مِمَّا صح عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ ترجو من القُرَّاء أن يلفتوا نظرَهُم إليهما.

وأي فائدة للقُرَّاء في تخرُّصات أعداء الله وظنونهم الكاذبة، وما أوْحَاه الشَّيطان إليهم حتىٰ يُلفِتُوا نظرهم إلىٰ ذلك، بل الحق أنه ينبغي للقُرَّاء الذين عافاهم الله تعالىٰ مِن اتِّباع الظُّنون الكاذبة إذا وقفوا علىٰ مثل هاتين العبارتين أن يَحمدُوا الله الذي عافاهم مِمَّا ابتلَىٰ به المُتخَرِّصِين المتكلفين مَا لا علم لهم به وما ابتلىٰ به أتباعهم مِن جُهَّال المسلمين المَفتُونين بزَخارِفهم وهذَيانِهم.

وأما قوله: «ألَا تدلُّ هاتان العبارتان علىٰ العجب العُجَاب الذي وصل إليه علماء المسلمين منذ قرون».

فجوابه أن يقال: قد ذكرنا أن الذين تخرصوا في القمر وزعموا فيه ما زعموا ليسوا بمسلمين، وإنما هم من فلاسفة الإفرنج، وهم أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة، ومِن أوَّلهم كوبرنيك البولوني، وكان في القرن العاشر من الهجرة.

ثم كان بعده كبلر، وغاليليه، وكانا في القرن (الحادي عشر) من الهجرة، ثم هرشل الإنكليزي وأتباعه، وكانوا في القرن (الثاني عشر) والقرن

(الثالث عشر) من الهجرة.

ولو فرضنا أنَّ أحدًا مِن المسلمين تخرَّص في القمَر منذ قرون، وقال فيه بما قاله أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة فيه؛ لما كان تخرصه فيه مقبولًا مِن أجل إسلامه، بل ذلك مردود لِمَا فيه مِن الرَّجم بالغيب واتِّباع الظَّن.

وأي فائدة للمسلمين في التَّخرُّصات والظُّنون التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ويقال -أيضًا-: ليس العجب العجاب مِن كُفَّار يتخرَّصون في القمَر، ويرجمون بالغَيْبِ عمَّا فيه، فما هُم عليه مِن الكفر بالله تعالىٰ أعظم من تخرُّصَاتهم وظنونهم في القمر.

وإنما العجب العجاب مِن رَجُل مسلم ينتسب إلىٰ العلم، ويتصدَّر للتَّدريس والإرشاد، وهو مع هذا يصدِّق أعداء الله في تخرُّصاتهم وظُنونهم الكاذبة، ولا يتورَّع عن الافتِرَاء لتأييد القول الباطل الذي هو مفتون به؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يُقضىٰ علىٰ المرء في أيام محنته ... حتىٰ يرىٰ حسنًا ما ليس بالحسن

وأما قوله: «أما كان الواجب علينا أن نُتمِّم ما بدؤوه مِن بُحوثِهم العِلمِيَّة في علوم الكون والفلك».

فجوابه أن يقال: إذَا كُنت ترَىٰ ذلك واجبًا عليك؛ فاذهب إلىٰ القمر

وغيره مِن الأجْرَام العلوية، وتمَّم ما بدأه أسلافك أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة من المزاعم الباطلة والظنون الكاذبة فيها، ولا يخفىٰ عليك أن من ترك الواجب عليه؛ فهو آثم.

أما غيرك فإنَّهم قد وَقَفُوا حيث وُقِفَ بهم، فما جاءهم عن الله تعالىٰ ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلقَّوه بالقبول والتسليم، وما سكت الله ورسوله عنه سكتوا عنه، ولم يتكلفوا ما لا علم لهم به؛ لعِلْمِهم أنَّ الله تعالىٰ قد نهىٰ عن ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وأمَّا قوله: «وهل سار علماؤنا في هذا الطَّريق إلَّا بأمر من الله، ووحي من فَهِم كتاب الله، وسُنة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

فجوابه أن يقال: عُلماؤك من أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة لم يسيروا فيما زعموه عن القمر وغيره مِن الأجرام العلوية علىٰ أمر من الله تعالىٰ، ووحيٍ مِن فَهْمِ كتاب الله، وسُنة رَسُوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنَّما ساروا علىٰ مجرَّد ظنونهم وأرصادهم التي لا تغني من الحق شيئًا.

وقد صرَّح الآلوسي بذلك في قوله: «وقد غلب علَىٰ ظن أكثر أهل الحكمة الجَدِيدَة أنَّ القمر عالَم كعالَمِ أرضنا هذه وفيه جبال، وبحار، ويزعمون أنهم يحسون بها بواسطة أرصادهم؛ فذكر أنهم ساروا علىٰ مجرَّد

الظن وما تقتضيه الأرصاد، لا علىٰ أمرٍ مِن الله تعالىٰ، ووَحْيٍ مِن فَهْمِ كتابه، وسُنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وذكر الآلوسي -أيضًا- في (صفحة٢٣): «إن هرشل الفيلسوف وأتباعه أصحاب الرصد والزيج الجديد تخيَّلوا خلاف ما ذهب إليه الأولون في أمر الهيئة، وقالوا بأنَّ الشَّمس مركز، والأرض وكذا النجوم دائرة حولها».

وهذا صريحٌ في أن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة إنَّما ساروا علىٰ مجرَّد التَّخَيُّلَات، وهي التخرصات والظنون الكاذبة، لا علَىٰ أمرٍ مِن الله تعالىٰ، ووَحْيٍ مِن فَهْمِ كتابه، وسُنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويلزم علىٰ قول الصوَّاف أن يكون الصَّحابة والتَّابعون وتابِعُوهم بإحسَانٍ قد ترَكُوا العمل بأمرٍ أمَر اللهُ به، ولم يفهموا ما جاء في الكتاب والسُّنة عنه.

وأنَّ الذين عَرَّبُوا كتاب اليونان، وعملوا رصد الكواكب في زمن المأمون وما بعده هم الذين عمِلُوا بما أهمله الصحابة والتابعون وتابعوهم، وفهموا من الكتاب والسُّنة ما لم يفهمه الصَّحابة والتابعون وتابعوهم.

هذا ما يقتضيه كلام الصوَّاف كما لا يخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ علم وفهم، ولا يخفىٰ -أيضًا- ما يقتضيه كلام الصواف من الإزراء بالصَّحابة، والتَّابعين، وتابعيهم بإحسان.

وما يقتَضِيه -أيضًا- مِن الثَّناء علَىٰ الَّذِين عمِلُوا رصد الكوكب،

وتخرَّصُوا في الأجرام العُلوِيَّة، وزعموا فيها المَزاعم الباطلة.

وما كان مقتضيًا لِمَا ذكرنا؛ فهُوَ قولٌ سيِّءٌ ينبغي التَّحذِير منه؛ لئلَّا يغتر به.

وقد ذكرت في أثناء الكِتَاب كلَامًا حَسنًا للحافظ أبي عبد الله الذهبي، قال فيه: «إنَّه لَمَّا عُرِّبَتْ كتب الأوَائل ومَنطِق اليونان، وعمل رصد الكواكب؛ نشَأ للنَّاس عِلمٌ جديدٌ، مُرْدٍ مُهلِك، لا يُلائم عِلْمَ النُّبوة، ولا يُوافِق توحيد المؤمنين؛ قد كانت الأُمَّة منه في عافِيَة»(١).

قلت: وعن هذا العلم المُرْدِيِّ المُهْلِك نجَمَ الكلام في القمر، وغيرِه من الأجرام العلوية، والإخبار عما فيها بمجرَّد التخرُّصات والظُّنون الكاذبة.

وعلىٰ هذا العلم المُرديِّ المهلك سار عُلماء الصوَّاف، لا علىٰ ما زعمه من الأمر والوحي اللَّذَيْنِ لا وجُودَ لَهُما.

وأما قوله: «والله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ حينما يقول وهو يخاطب رسوله ليخاطب الناس: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يونس: ١٠١]، فهل المُراد مجرَّد النَّظر للتفرُّج والتَّفكُّه والتَّسَلِّي، أم هو النظر للبحث، والعلم، والتحقيق، والاعتبار، والادِّكَار؟!».

فجوابه أن يقال: ليس المُراد مِن الأمر بالنَّظر في ملَكُوت السموات

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٤٠).

والأرض مجرد النظر للتفرج، والتفكه، والتسلي، ولا النظر للبحث والكشف عما في الأجرام العلوية مِن جبالٍ وبِحَار، وغير ذلك مِمَّا لم يُخبِر الله به، ولا رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنَّ هذا مِن الرَّجم بالغيب، والقول بغير علم.

وإنَّما الأمر بالنَّظَر للتفكُّر والاعتبار والاستدلال علىٰ عظمَةِ الخالق جَلَّ جَلَالُهُ وكمال قدرته، وأنه الإله الواحد الأحد، الذي لا تنبغي العبادة إلَّا له وحده، دون مَن سِوَاه.

والآية إنما سِيقَتْ في مخاطبة المشركين ودعائهم إلىٰ الإيمان بالله تعالىٰ.

قال البغوي في قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾ [يونس: ١٠١]: «أي: قل للمُشرِكين الذين يسألونك الآيات: انظروا ماذا في السموات والأرض من الآيات والدَّلائل والعِبَر، ففي السموات: الشَّمس، والقمر، والنجوم، وغيرها، وفي الأرض: الجبال، والبحار، والأنهار، والأشجار، وغيرها»(١).

قلت: وتمام الآية دال علىٰ أنَّ الخِطَاب للمشركين، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، ونظير هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٨٥] الآية.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ

---

(١) «تفسير البغوي» (٤/ ١٥٣- ١٥٤).

﴿... ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾

[الأنبياء: ٣٢].

قال القرطبي في «تفسيره»: «﴿وَهُمْ﴾ يعني الكُفَّار: ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، بين أنَّ المُشرِكين غفلُوا عن النَّظَر في السموات وآياتها مِن ليلها ونهارها، وشمسها وقمرها، وأفلاكها، ورياحها، وسحابها، وما فيها من قدرة الله تعالىٰ، إذ لو نظروا واعتبروا؛ لعَلِمُوا أنَّ لها صانعًا قادرًا واحدًا، فيستحيل أن يَكُون له شريك». انتهىٰ(١).

وأمَّا حَمْل الآية علىٰ ما قاله الصوَّاف مِن البحث والعلم والتحقيق -يعني البَحث عمَّا في الأجرَام العُلوِيَّة مِن جبالٍ وبِحَار وسُكان، وتحقيق ما غلب علىٰ ظنون أهل المَراصد مِن ذلك والعلم به-، فهو مِن الإلحاد في آيات الله، وتحريف الكلم عن مواضعه.

* * *

فصل

ثُم ذكَر الصوَّاف ما نقله الآلوسي في صفحة (٤٦ و٤٧) عن ابن الهيثم أنه

---

(١) «تفسير القرطبي» (١١/ ٢٨٥).

قال في القمر: «يحتمل أن يكون كُرة، نصفها مضيء ونصفها مظلم، ويتحرَّك علىٰ نفسه؛ فيرىٰ هلَالًا، ثم بدرًا، ثم ينمحق، وهكذا دائمًا».

والجواب أن يقال: هذَا الاحتِمَال بعيد مِن الصَّواب، ومَن أمْعَنَ النَّظَر في القمَر، ولا سيما من الليلة التَّاسعة إلىٰ ليلة إحدىٰ وعشرين، لم يشك أن وجهه الذي يقابل الأرض لا يزال مقابلًا لها، وإنَّما يزداد نوره وينقص بحسب مقابلته للشمس.

وقد روىٰ الحاكم في «مستدركه» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦] قال: «وجهه إلىٰ العرش، وقفَاه إلىٰ الأرض»، قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي في «تلخيصه»: علىٰ شرط مسلم(١)، وهذا يرد ما قاله ابن الهيثم، والله أعلم.

* * *

فصل

ثُم ذكَر الصواف ما نقله الآلوسي في (صفحة٤٨) عن ابن قتيبة في ذكر منازل القمر الثمان والعشرين.

وعَدَّ منها: السماك الرامح. وليس هو من المنازل، وأسقَطَ: سعد السعود.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٥٦).

وهو مِن المَنازل.

وهذا غلط، إمَّا مِن الآلوسي، أو مِمَّن قبله مِن النُّساخ، ويبعد أن يكون ذلك من ابن قتيبة.

* * *

فصل

وهُنا أَوَدُّ أنْ أتِمَّ ما بدأت بنقله حول ما قالوه عن عدد الأرضين، حيث قال المؤلف:

«**وقد قالوا -أيضًا-**: إنَّ هَذِه الشَّمس في عالم هي مركز دائرته، وبلقيس مملكته، بمعنىٰ أن جميع ما فيه مِن كواكبه السيارة تدور عليها فيه علىٰ وجهٍ مخصوص، ونمَطٍ مضبوط، وقد يقرب إليها فيه، ويبعد عنها إلىٰ غايةٍ لَا يَعْلَمُها إلا الله تعالىٰ، كواكب ذوات الأذناب، وهي عندهم كثيرة جدًّا، تتحرك علىٰ شكل بيضي.

وأن الشَّمس بعالَمِهَا مِن توابع كوكب آخر، تدور عليه دوران توابعها مِن السَّيارات، وهو فيما نسمع أحد كواكب النجم، ولهم ظنٌّ في أنَّ ذلك -أيضًا- مِن توابع كوكب آخر، وهكذا.

وسماء كل عالم كالقمر عندهم ما انتهىٰ إليه هواؤه؛ حتىٰ صار ذلك

الجرم في نحو خلاءٍ فيه لا يعارض، ولا يضعف حركته شيء.

والجسم متىٰ تحرَّك في خلاءٍ لا يسكن؛ لعدم المعارض، فلتكن كل أرض من هذه الأرضين السَّبع محمولة بيد القدرة بين كل سمَاءَيْنِ، وهناك ما يستضيء به أهلها سَابحًا في فلك بحر قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، ونسبة كل أرض إلىٰ سمائها نسبة الحلقة إلىٰ الفلاة، وكذا نسبة السماء إلىٰ السماء التي فوقها كما ذكرنا سابقًا».

قال: «ولقد ختم الآلوسي قوله في الأرضين بما يأتي: وفي الجملة، مَن صدَّق بسعة ملك الله تعالىٰ، وعظيم قدرته لا ينبغي أن يتوقف في وجود سبع أرضين علىٰ الوجه الذي قدَّمناه، ويحمل السبع علىٰ الأقاليم، أو علىٰ الطبقات المعدنية والطينية ونحوهما، وليس ذلك مما يصادم ضروريًّا مِن الدِّين، أو يخالف قطعِيًّا مِن أدلة المُسلمِين».

والجواب أن يقال: كل ما نقله الصوَّاف هَهُنا عن الآلُوسِي؛ فهو بَاطِل، وقد نبهتُ علىٰ بطلان كل جملةٍ منه في موضعها؛ فأغنىٰ ذلك عن إعادته ههنا.

فأما ما ذكره عن أهْل الهَيْئةِ الجَدِيدَة أنَّ الشَّمس هي مركز العالم، وأن جميع الكواكب السيارة تدور عليها؛ فقد تقدَّم بيان بطلانه في أول الكتاب، وفي مواضع كثيرة في أثنائه.

وأما قولهم: «إن الشَّمس بعالَمِهَا مِن توابع كوكب آخر تدور عليه» إلىٰ

آخره؛ فقد تقدم رده مع الأمثلة علىٰ نقصان كتاب الآلوسي، وفي المثال (الثامن عشر) من الأمثلة علىٰ بطلان الهيئة الجَدِيدَة.

وأما قوله: «إنَّ كل أرض مِن الأرَضِين السَّبع مَحمُولة بِيَدِ القدرة بين كل سمائين»، إلىٰ آخر كلامه.

فقد تقدَّم ردُّ كُلِّ جملة منه علىٰ حِدَة، مع الأمثلة علىٰ نقصان كتاب الآلوسي، وهذا آخر ما تيسر إيراده، والحمد لله رب العالمين.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه، ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وقد وقع الفراغ مِن تسويد هذه النبذة في يوم الأربعاء،
الموافق لسِتٍّ مضَيْنَ مِن جُمادَىٰ الثانية سنة (١٣٨٦هـ)
علىٰ يد جامعها
الفقير إلىٰ الله تعالىٰ
حِمُود بن عبد الله التُّوَيْجرِي
غفر الله له، ولوالديه، ولجميع المسلمين
والمسلمات الأحياء منهم والأموات
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات